أشعة الفنون الجميلة

تأليف

حبيب زكي

A. M. C. "London"

الكتاب: أشعة الفنون الجميلة

الكاتب: حبيب زكي

الطبعة: ٢٠٢٠

صدرت الطبعة الاولى ١٩٤٧

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٦ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
APA
E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

زكي ، حبيب
أشعة الفنون الجميلة/ حبيب زكي
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
٢٣٦ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ١ – ١٠ – ٦٨١٨– ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ٧١٧٩ / ٢٠٢٠

أشعة الفنون الجميلة





الإهداء

إن كان للذكر حقاً أي مقدار

فصورة المرء دوماً خير تذكار

لأن صاحبها من صنعة الباري

وها هي صورتي مع بعض آثاري[1]

قدمتها للعدا والصحب والجار

مشفوعة بمقالات وأشعار

بنيت أبياتها من خير أفكاري

لنفع أهل الحجى في هذه الدار[2]

على أوفى بهذا فضل أخياري

من علموني وزانوا بالتقى غاري[3]

المؤلف

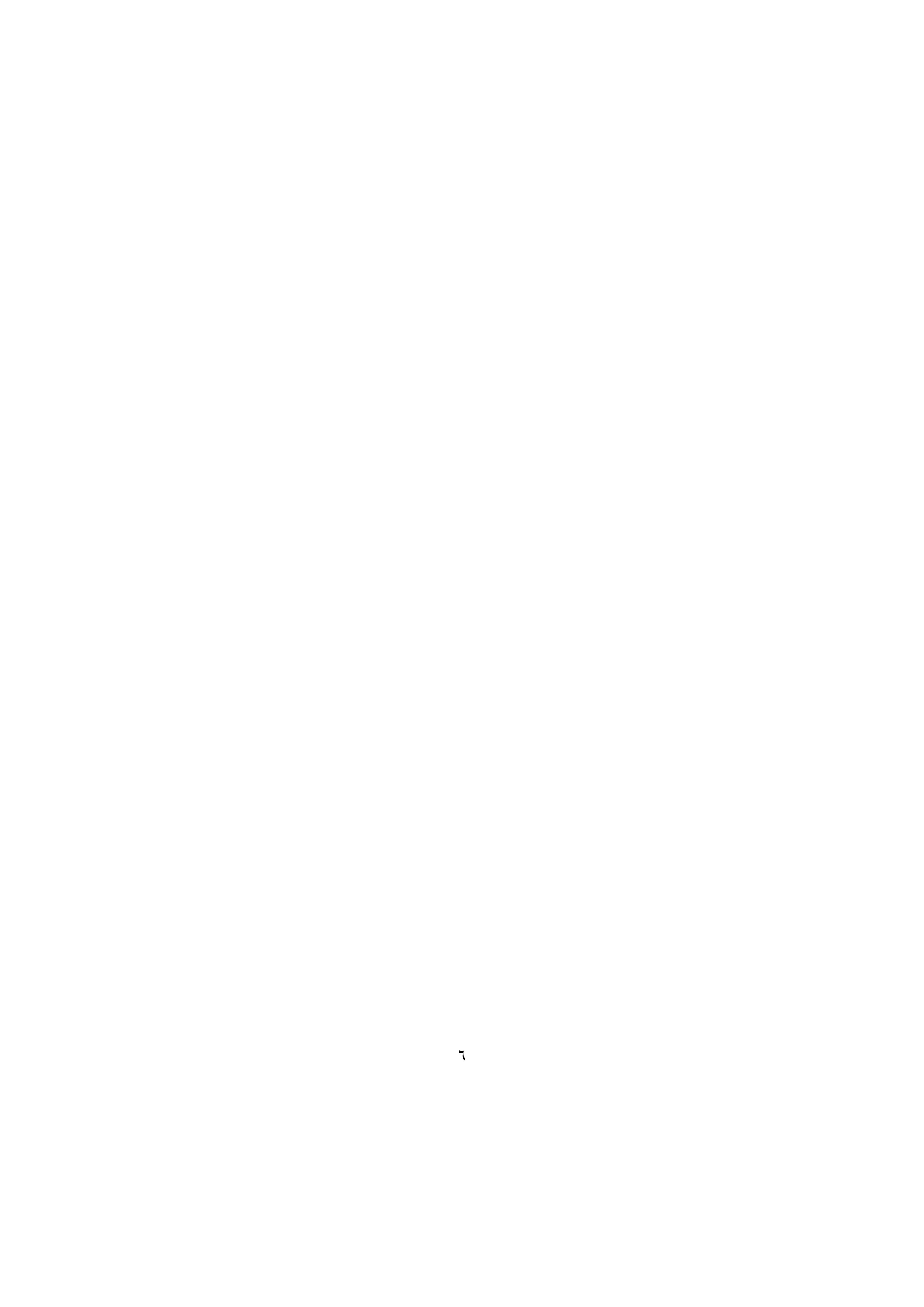
---

[1] آثاري: الصور والتماثيل واللوحات الزخرفية والخطية وبقية المطبوع في كتابي هذا.

[2] والحجى العقول – وهذه الدار هذه الدنيا.

[3] كلمة غار في الأصل شجرة والمقصود بها هنا الإكليل المعقود من الزهر والتاج المصنوع من الورد وقد استعمل المعنى الأخير شوقي بك أمير الشعراء بقوله في رواية كليوباترا:

ردي على هامتي الغار التي سلبت   فقبلة منك تعلوها هي الغار.



مقدمة

أتشرف بأن أتقدم إلى كل قارئ من حضرات القراء لا كنسر من نسور الأنبياء ولا كصقر من صقور الشعراء ولا كورقاء تحلق في السماء ولا كعندليب برع في نظم الغناء – بل كفرخ أخضر شرع يتعلم الحداء وكفروج أصفر.

أشـــدو لإذكـــاء المـــوا	هــب فـــي الشـــباب النـــامي
وأقـــول إيحـــاء لـــــ	كـــل همامـــة وهمـــام
أملـــي أكـــون محـــررًا	مـــن عليـــة الأعـــلام
وأعـــيش بـــين عشـــيرتي	فـــي العـــز والإكـــرام
ومنـــاي أصـــبح عالمـــاً	يـــا ســـادة الأقـــلام
فـي الشـعر أو فـي الفـن أمـ	لـــك روعـــة الإلهـــام
فـــإذا نظمـــت قصـــيدة	حفـــظ الزمـــان كلامـــي
فيظـــل بعـــدي دائمـــاً	يـــروى علـــى الأيـــام
وإذا رســـمت تخلـــدت	صـــوري مـــدى الأعـــوام
تختـــال باســـمي كالســـما	فـــــي رفعـــــة ودوام

وبعد: فما لا شك فيه أن لكل فن وعلماً يبحث في اصوله وفروعه وتاريخ وجوده وطرق الاشتغال به وما دام الكل قد أجمع على أن العلم

نور فلا مشاحة حينئذ في الاعتراف بأن الفنون أنوار والأنوار لها أشعة تبدد بها ظلمات الجهل وتنير السبل أمام الناس فيتعلمها البعض ويرتزق منها البعض ويرفه بها البعض عن أتعابهم الأمر الذي أعجبني بالفنون وفروعها وبتعدد فوائدها فألفت فيها كتابي هذا على هيئة مقالات صحفية شعبية تناسب جمهرة القارئين. وأسميته (أشعة الفنون).

ولقد جمع هذا السفر بين غلافيه أشهر الفنون كما تجمع الدجاجة أفراخها تحت جناحيها وضم هذا الكتاب كلامي بين جنبيه كما يضم الكوثر العذب ماء الحياة بين ضفتيه في فردوس النعيم. وحمل هذا المؤلف بين أوراقه ثمار (عقلي) مثل شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها في حينها.

و(العقل) هو مصدر الإحساس والتفكير والإرادة في الإنسان ومركزه في الرأس ويتصل بجميع أجزاء الجسم بأعصاب تنقل الإحساسات من البدن إلى المخ ومثلها في ذلك كمثل العروق تنقل الدم من أجزاء الجسم إلى القلب وتوزعه من الفؤاد إلى سائر الأطراف وهي لا تختلف في وظيفتها هذه عن أسلاك التليفونات إذ تنقل الكلام إلى المركز الرئيسي Central.

وكل الانفعالات النفسية كالغضب والحلم حب الانتقام والميل إلى التسامح والشجاعة والجبن والخوف والفرح والحزن والألم والمسرة يختص بها الإحساس أي الشعور ويسمى الوجدان وينازعه عاملان أحدهما لخير ويسمى الضمير conscience والثاني للشر ويسمى

الوسواس temptation والذكاء والغباوة والاستنتاج reasoning والتعليل والحكم judgment وما أشبه ذلك يختص به الفكر.

أما النية والرغبة والعزيمة والتصميم وتنفيذ الأعمال و... فيختص بها الإرادة، وهذه المظاهر النفسية الثلاثة غير مستقل بعضها عن بعض فكثيراً ما يسوق شعور الإنسان صاحبه إلى التفكير والإرادة فالمظلوم مثلاً يدفعه وجدانه وإحساسه بالظلم إلى التفكير في التخلص منه ومن ثم يعزم على تنفيذ فكرة السعي لدى المنصفين.

وقد يتزعم الحالة فكر المرء فيتحكم في الوجدان وفي الإرادة كما نجد في مصلح رأى سائلاً قادراً على العمل فلم يحن عليه على الفور بل فكر فيما عساه ينفع هذا السائل: أيعطيه إحساناً أم يمنع عنه الصدقة ليضطر إلى البحث عن عمل يقتات منه؟. وإذا لم يحسن إليه هل يضمن بحثه عن العمل أن يستجدي من غيره أو يدفعه تفكيره إلى السرقة؟ وأخيراً هداه تفكيره وحبه للصلاح والإصلاح إلى أن يتصدق على السائل موجهاً إليه النصيحة بالبحث عن عمل شريف يغنيه عن السؤال ويوفر عليه مذلته.

وقد تتسلط الإرادة على صاحبها كما نرى في القواد والمستبدين.

ومما فات نرى أن كلام الإنسان وأفعاله تدلان على أخلاقه وتدينه وعلى عقله وما يحوي من وجدان وتفكير وإرادة ولذلك أقدم كتابي هذا للقراء الكرام ليعلموا ما يكنه وجداني من الخير والمحبة والتفكير

للصالح العام ولا أريد إلا أن يستفيد منه قراؤه دون أن يكون دعاية لي ولزملائي وسيجد فيه أهل الدين نصيباً لا يقل في أهميته عما اكتنزه للأدباء والمثقفين. وكفاني تضحية رخص ثمنه مع إن البعض أشار على اطباعه في ثلاثة أجزاء تباع بمبلغ ٤٥ قرشاً إذا كبر بنط الحروف.

والله أسأل أن يوفقنا إلى ما فيه الخير إنه السميع المجيب.

المؤلف

الفنون وأربابها

تمهيد:

عاش الإنسان الأول على البداوة وسكن الكهوف وستر جسمه بأوراق الأشجار وجلود الحيوانات وتغذي بالفواكه والخضروات النيئة واللحوم المشواة على الصخور المعرضة لحرارة الشمس. وقد أعجبه ما رآه في الطبيعة من مناظر الجبال والتلال والبحار والأنهار والغابات والآكام وألوان الشموس والنجوم والأقمار وألوان الزهور بعد تفتحها في الأكمام وأشكال الحيوانات والأنعام وأصوات الأطيار والهوام فافتتن بها ومال إلى محاكاة أصواتها وتمثيل حركاتها كما مال إلى التزين بما زينها الله به ليتجمل بجمالها ويتمتع بحسنها فعمل من ريش الطيور تيجاناً ومن جلود الحيوان قمصاناً ومن الأصداف أسورة لمعصمه وعقوداً قد حلي بها نحره ومن الحصى قلائد زين بها صدره ومناطق لف بها خصره ولم يقنع بهذا بل هذب ما حوله من نباتات لم يرقه شعث فروعها فقلمها وأحجار مبعثرة فرتبها أمام كهفه ونظمها حتى دبت فيه الروح الفنية فهذب نتوء الحجارة التي كان يستعملها في رمي الحيوان وصيد الطيور أو محاربة من يعاديه من بني جنسه.. ورسم من الحيوان والنبات والجماد ما زين به جدران مغارته وزخرف ما استعمله من أدواته ورماح بأشكال قد اقتبسها مما رآه في الطبيعة.

واستمرت به الحال على هذا المنوال حتى تدرب أيما تدريب قد

أفرحه فتغنى به وطرب وأخذته النشوة فتمايل ورقص.. وهكذا تعلم الإنسان الرسم من تصوير وزخرفة وهندسة وخط وصناعة التماثيل من نحت وحفر وصنع قوالب (Forms) والأدب من شعر ونثر والموسيقى من غناء وتلحين والتمثيل بنوعيه المسرحي والسينمائي والرقص والفنون الطرزية من تفصيل وتطريز وتريكو ولاسيه وكرشيه وبرودريهوفستون وأجور وفيليه وما أشبه ذلك. ولما لاحظ أن الجمال يحددها دعاها فنوناً جميلة وعلى هذا يكون الفن هو كل ما يبتكره الإنسان وترتاح إليه الحواس ويلتذ به الإحساس مع الإعجاب بما فيه من جمال. وهو دليل الحضارة ومقياس المدنية في الشعوب وعلى قدر ما تبلغه أي أمة من الرقي في الفن يكون الحكم على رقيها أو انحطاطها.

والفنون هبة ينعم بها الله على بعض من يزاولها حتى يكتسبوا فيها ملكة ونبوغاً على أن من يدأب في الدراسة والتمرين يبلغ من الروح الفنية نصيباً على قدر اجتهاده وقد يصبح بعد طول المران وكثرة الاطلاع وسعة الخبرة مثل الفنيين بالطبع لا بالصنع.

وقد ذكر أرسطو أن المصور ذيوكيس (Zeuxis) النابغة الذي عاش قبل ميلاد المسيح بنحو أربعمائة سنة كان ينقل عن كل فاتنة حسناء في عصره ما تمتاز به عن غيرها ثم يصنع من مجموع ما اختاره الصور المطلوبة وقد رسم بهذه الطريقة صورة هيلانة ابنة المشترى فجاء رسمه آية في الجمال والإبداع وهكذا فعل المثالين في صنع تمثال فينوس إله الجمال عند الإغريق.

ويمكن للموسيقى أن يترسم هذه الطريقة بأن يحفظ الكثير من الألحان والأنغام ويؤلف من أحسنها أنشودته بعد التحوير والتصرف كما فعل اللغويون في لفظ بعلبك وكلمة حضرموت واسم سيبويه إذ ركبوها تركيباً مزجياً على النحو الذي تكون به تمثال أبو الهول من جسم أسد ورأس إنسان وعلى المثال المتكونة منه ابنة البحر من جسم سمكة ورأس امرأة وعلى النحو المحور به الديك في هذا الكتاب إذ تجد العرف مكوناً من قبعة جندي محارب والمنقار من نفير والرجلين على هيئة بندقيتين والذيل راية قد داعبها الهواء.

وهذه التراكيب وتلك الأناشيد والألحان والأنغام أو هذه التماثيل وتلك الصور مهما عدها البعض كالثوب المرقع في تركيبها هذا فهي تنم عن مجهود عقلي قد بذله صاحبه في التفكير والإنشاء وكفى أنها تظهر لنا بصورة جديدة لم تكن من قبل في الوجود غير أجزاء مبعثرة. هذا علاوة على ما لطريقة تكوينها من قيمة فنية يقدرها أهل الفن وقد لا يشد في ذلك غير الشعراء فهم لا يشجعون الشاعر الناشئ على النسج على هذا المنوال بالإغارة على أبيات غيره لفظاً ومعنى ليبني منها قصيدته ولكنهم يريدون منه توليد معاني جديدة مما حفظه ويسمحون له باستعمال التلميع والتضمين والاقتباس إذا أراد أن يطعم شعره بشيء من شعر غيره كما يسمحون له بنظم التخميس والتشطير وهو أن يذكر الناظم شطراً من بيت شاعر غيره ويكمل معناه بشطر من شعره هو أو يذكر شطرتين لغيره ويضيف إليهما ثلاث شطرات من شعره من نفس الوزن والقافية وبذلك يكون المجموع خمس شطرات والشعراء يحثون الناظم

الناشئ على الإلمام بشتى العلوم وبالمستحدث من أوثق المعلومات ويحضونهعلى استيعاب قواعد النحو والصرف وأفانين البيان والبديع والمعاني وضروب العروض وأوزان النظم الستة عشر ليستعملها في نظمه فيسلم مبناه ويعظم معناه.

وقد قال ابن خلدون في مقدمته صفحة ٥٢٣ طبع بيروت ما معناه إن الأديب الناشئ يقرأ ما كتبه المجيدون حتى يستقر ما قد اطلع عليه ويثبت في عقله الباطن حيث تجتمع المعلومات والقصائد بما فيها من معاني إلى أن يولد الشاعر منها بمعرفته شعراً جديداً ومعاني تشبه الأولى في الوزن وقواعد النحو والصرف وتختلف عنها في تكوين العبارات. وفي المعاني ومثلها في ذلك مثل الزيجوت أي الجنين إذ يتكون من اجتماع الذكر بالأنثى بالطريقة التي وصفها علم التاريخ الطبيعي في باب التلقيح والإخصاب وبذلك يظهر في الوجود شخصاً جديداً يشابه أبويه في أمور منها النوع والجنس واللغة وتركيب الأعضاء و.... ويختلف عنها في أمور منها الملامح واللون والحجم والطبع و.... والفضل في توليد المعاني من ذهن الشاعر يرجع إلى تمرنه على نظم الشعر في كل موضوع حتى تتكون عنده ملكة تهضم ما قرأه وتمثله مثلما يمثل الكائن الحي بمعدته وأمعائه ما يأكله من خبز ولحم وخضر وفواكه كما يقول علماء وظائف الأعضاء إن التمثيل هو تحويل طبيعة الأطعمة المأكولة إلى طبيعة الأجسام الآكلة وإلى خلايا الجسد والدم.

والبيتان الآتيان قالهما أحد الشعراء:

الحمـــد لعـــلام الغيـــب خلـــق الأشـــياء بـــلا ريـــب
غفـــار ســـتار العيـــب القـــادر أن يمـــلأ جيبـــي

فولدت منهما الأبيات الآتية:

الحمـــد لغفـــار الـــذنب والشـــكر لســـتار العيـــب
والســـبح دوامـــاً لـــك ربـــي ولـــك التمجيـــد مـــع الحـــب
والخلـد لـذاتك فـي الملـك ولـــك التقـــديس بـــلا شـــك
اللهـــم اشـــرح لـــي صـــدري واحفـظ جســمي وأطـل عمـري
واذكـــر أهلـــي وذوي الطهـــر حتـــى يـــأتي آخـــر دهـــر
وصـن الأوطـان مـن الضـنك ومـــن الأشـــرار ذوي الســـفك

وهكذا كل متفنن ناشئ يفعل كما يفعل الصائغ الماهر الذي يجمع المصوغات التي اشتراها كالخواتم القديمة والأقراط والأسورة مثلاً ثم يصهرها ويزيل شكلها الأول ثم يعيد سبكها خواتم وأقراطاً وأسورة في أشكال قد ابتكرها هو وصور قد أحدثها هو .... أقول هذا لأني أعد الشاعر مصوراً والشعر تصويراً ناطقاً كما أعد المصور شاعراً والتصوير شعراً صامتاً وكلاهما له ميزاته ومواهبه فالشاعر بفضل علوم البيان والبديع والمعاني يمكنه في وقت قصير أن يصف المعنويات والخواطر النفسية وبواعثها ونيات صاحبها ويمكنه أيضاً أن يعبر عن حالات لا يتأتى للمصور أن يعبر عنها إلا بتصوير عدة صور تستغرق منه الزمن الطويل

وتستنفذ التكاليف الباهظة وتبذل الجهد المضني.

وفي أحوال أخرى نجد صانع التماثيل أو المصور يمكنه في لحظة واحدة أن يرسم إشارة صغيرة بها يعبر عن حالات لا يمكن للكاتب أو الشاعر أن يفيها حقها من التعبير إلا بالمقالات الطوال والقصائد العراض التي تضني الفكر في أيام وأسابيع وشهور وربما لا تتم بعدها قصيدته وها هو ذا ابن كعب الشاعر العربي العظيم مع شهرته بحضور البديهة ومع طول باعه في النظم كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر وينقحها في أربعة أشهر أخرى ويعرضها على الناقدين خلال أربعة أشهر ثالثة رغبة منه في الإجادة وبذلك تتم القصيدة الواحدة في حول الأمر الذي جعل العرب يسمون قصائده بالحوليات.

وعلى عكس ذلك نجد في تمثال المسيح لوحة ٥٢ أن التمثال بمجرد وضع أصبعه على صدره قد دل بهذه الإشارة على المئات من الكلمات والآيات المذكورة مع التمثال – وعلى كل حال فلكل من التصوير والشعر تأثير قد يذكي الحروب الضروس كحروب داحس والغبراء عند العرب ويفني الزرع والضرع كما يزيل البغضاء والضغينة ويلين الأفئدة والقلوب ويوطد المحبة والسلام.

وكل فن هذا تأثيره تجب ملازمته ومزاولته ومباشرته والإلمام به الأمر الذي حض الأمم على الاشتغال بالفنون من قديم الزمان وحبب إلى الناس ومنهم العرب أن يقرضوا الشعر ويورثون صناعته لأبنائهم ولأحفادهم إلى أن امتدت الأجيال وصار الناس يباشرون النظم دراسة لا

وراثة وقد تألفت فيه الكتب الضخمة والمجلدات النفيسة ومن هذه المؤلفات كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني وقد وضع لعلاقة البيان والنحو بالشعر وكتاب شرح همزية البوصيري وقد ذكر فيه سليمان الجمل أمثلة مفيدة للمجاز والاستعارة وكتاب المثل السائر لابن الأمير وغنية الطالب للشيخ أحمد فارس في النحو والصرف وكتاب الجمانة في شرح الخزانة للشيخ ناصيف اليازجي وكتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى وكتاب نجمة الرائد للشيخ إبراهيم اليازجي وكتاب أساس البلاغة للزمخشري وكتاب الفروق لأبي البقاء وكتاب درة الغواص للحريري وكتاب أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الروض الأريض للمرحوم إسكندر قزمان وتفسير الجلالين للقرآن الكريم وسقط الزند لأبي العلاء المعري وحضارة الإسلام لجميل نخلة المدور وكتاب حسن السبك في شرح قفا نبك للشيخ إسماعيل الأنصاري وسر تقدم الإنكليز السكسونيين تأليف ادمون ديمولان وكتاب ليس في كلام العرب لابن خالويه النحوي والوسيط في الأدب العربي للإسكندري والعناني وكتاب كليلة ودمنة ومختار الصحاح والمصباح المنير وديوان الحماسة لأبي تمام وكتاب اللطائف والظرائف للمقدسي وقد ذكر فيه مدح الأشياء وذمها وكتاب المحاسن والأضداد للجاحظ وشرح المعلقات السبع للزوزني وكتاب البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين وقواعد اللغة العربية لحفني ناصف ونسيم الصبا لابن حبيب وقد عالج فيه بعض المواضيع بأسلوب يغلب عليه السجع وكتاب أدب الدنيا والدين لابن حبيب الماوردي ومجالي الأدب وكتب تعليم الإنشاء ورباعيات الخيام وكتاب ميزان

الذهب في صناعة شعر العرب للهاشمي وكتاب البسيط الشافي في العروض والقوافي لجبران ميخائيل وديوان البهاء زهير وروايات شوقي بك أمير الشعراء والمجلات السيارة وكتب التعليم على اختلافها.

وكل هذا بطبيعة الحال يجبر الإنسان على مواصلة الليل بالنهار في الاطلاع عليها ويرغمه على صرف السنوات في استيعابها ويلزمه باستذكار ما قرأه لأن حياة العلم المذاكرة وآفته النسيان يضاف إلى ذلك إرهاق الذهن في التفكير عند نظم المعاني وسبك الألفاظ ووزن العبارات الأمر الذي إن أسرف الشاعر فيه فقد صحته. ولما كانت وقاية الصحة قبل ضياعها خير من العلاج لاسترجاعها وجب على كل مفكر أن يتناول من الأطعمة ما يناسبه ويسهل على معدته هضمها ولا يكثر من الشرب حتى لا يخفف العصير المعدي المفرز لعملية الهضم وعليه أيضاً أن يلزم الراحة من الشغل قبل الأكل وبعده لأن التفكير بعد الأكل مباشرة يعيق الهضم ويضعف الذهن.

ومن الضروري السكنى في مكان نقي الهواء لكي تنقى الدم فيغذي العقل وخلايا البدن ولذلك كانت الرياضة غير المجهدة والتنزه في الحدائق ذات المناظر الجميلة والهواء الطلق من أهم الوسائل لتحسين الصحة وتنشيط الفكر عند المفكرين وإذ كان التفنن لدى المتفننين وتنبيه الشاعرية عند الشعراء.

وينبغي لكل مفكر أن لا يرهق أعصابه بالفكر بل يعين أوقاتاً للراحة وأوقاتاً للشغل بانتظام مع ملاحظة تدفئة أطرافه وقت التفكير في الشتاء،

ومتى بدأ عملاً نافعاً يحتاج إلى وقت طويل فلا يسأمه ولا ينقطع عن إتمامه لأن في ذلك إضعافاً لإرادته.

وأنا إذ أنصح بذلك لا أقصد من المفكرين الإفراط في العناية بصحتهم لأن ذلك يثنيهم عن القيام ببعض الأعمال ولا أبغي التفريط في الاعتناء بالصحة لأن ذلك يسبب لهم الأسقام البدنية والأمراض العقلية أو ضعف القريحة – علماً بأن الذهن هو أشرف ما في الأنسان ووقايته بالكسل عندي خير من تنبيهه بالمنبهات (Stimulants) مثل القهوة والشاي والتبغ وبقية المكيفات التي تحاربها الحكومات بعد أن بين الطب خطرها على خلايا المخ والمخيخ والنخاع الشوكي.

أما القهوة فقد اتسع فيها الخلاف بين الأطباء فمنهم من عدها مهيجة للأعصاب فحرمها على أصحاب الأمزجة العصبية أن يكثروا من شربها ومنهم من أباح تعاطيها لذوي الأمزجة الليمفاوية – وقد تعود فولتير الشاعر الفرنسي الشهير على الإكثار من شرب القهوة فأصيب بأرق اضطره إلى تعاطي الأفيون بكثرة فمات.

والشاي من المنبهات الشديدة المؤرقة لشدة تأثيره على القلب والمعدة والإفراط في شربها يحدث سوء الهضم – وهكذا التبغ يسد كثرة استعماله الشهية عن الطعام. وقد عب أحدهم فمه بنفس من الدخان ثم نفخه في منديل أبيض فاصفر موضع النفخة وظهر فيه أثر حرق هذا ما فعله التبغ في النسيج فكيف يكون تأثيره على أنسجة الخلايا الداخلية إن لم تكن ممتلئة بالماء.

هذه هي كلمتي للمفكرين كالمخترعين والمحققين والمشتغلين بالعلوم الرياضية mathematics وللمتفننين كالملحنين والمزخرفين والشعراء والمؤلفين وفيما يلي كلمة عن الرسم وفروعه.

الرسم

الرسم نوع من الكتابة يقرأه الأمي والمتعلم والأخرس والأصم والمتكلم يفهمه كل إنسان مهما اختلفت الجنسيات وتباينت الأوطان وتنوعت اللهجات فهو لغة عالمية يعرفها الصغير والكبير ويتفاهم بها أي إنسان مهما كان ضعيفاً في الرسم بدليل أن أي صغير من صغار أي جيل يمكنه أن يعبر بالرسم عما بخاطره قبل أن يعرف قراءة وكتابة أية لغة وعلى ذلك لم نكن قد أسرفنا في القول ولم نبالغ في التعبير إذ قلنا إن الرسم لغة حية – كثيراً ما يفوق باقي اللغات الحية قوة وحياة لا لكونه مستمداً من الطبيعة مباشرة فحسب بل لأنه لم يستمد من الخطأ السمعي ومن تبلبل الألسنة مثل اللغات التي نشأت بسبب حادثة برج بابل وهو في الوقت نفسه فن لغوي متربع على عروش القلوب في كل شعب وفي كل زمان. يعبر به كل فرد مختاراً مشتاقاً، بينما نجد كل لغة بسبب ما تشعر به من ضعف المركز أمامه وبسب الخوف عليها من الضياع تدفع المتكلمين بها على إعزازها والتحيز لها ضد باقي اللغات وغالباً ما تحرضهم على أن يرغموا غيرهم على التكلم بها قهراً وقسراً إن وجدت فيهم سلطاناً وسطوة.

والرسم فن جميل وكريم فلا يضن بمواهبه على غيره من العلوم

والفنون فهو يمد كتب اللغات والرياضة بالصور التوضيحية التي تساعد على تفهم قواعدها وقوانينها ويمون مؤلفات العلوم والآداب بما يبسط شرح ما غمض منها. وبدون مساعدة الرسم تكون بعض دروس التاريخ وغالبية الجغرافيا لغواً لأن المتعلم إن لم يدرك للشيء شكله ولونه وتركيبه وتفاصيله يتخيله بشكل لا يمت إليه بصلة وهذا التخيل يخرجه عن حقيقته ويفقده قيمته ولهذا عمدوا إلى التوضيح بالرسم حتى لا يظن التلميذ أنالمدن والأنهار في درس الجغرافيا هي نقط وخطوط يراها على الخريطة أو أن أفيال الهند وغابات المنطقة الحارة هي ألفاظ يعلم الله بمدلولها في حين أن التلميذ في درس الرسم والأشغال يشكلها بالتخطيط على الرمل أو على الورق ويمثلها بمنشار الثقابة (الأركت) على الخشب ويجسمها بالطين الأسواني والصلصال أو بالطين الأبليزيالبلاستسين ويلونها بألوانها الطبيعية ثم يقدر حجمها ويدرس طباعها في درس المعلومات العامة وأخيراً يعرف موطنها في الجغرافيا وهكذا يمكنه أن يعمل بالجص (الجبس) مرتفعات ووديان ومجاري مائية يصفها له المدرس مطابقة لتضاريس نهر النيل مثلاً ثم يعرف في الجغرافيا أطوالها وطبيعة الأقاليم المحيطة بها وغلاتها وطقسها وسكانها وأزياءهم وأجناسهم وعوائدهم وصلتهم بمواطنيه ولا محالة أن التلميذ يلتذ بهذه المحاولات التي تربط العلوم بعضها ببعض وتربي إحساسه وتشحن ذهنه بمعلومات لا يحصل على ربعها لو اعتمد على الجغرافيا وحدها بدون فضل الرسم ذلك الذي لا يستأثر بمحاسنه وبأفضاله على بقية الفنون أيضاً إذ يحبب المتصلين به والمشتغلين بفروعه في الموسيقى والغناء

ودراسة الشعر ومزاولة الصناعات وما إلى غير ذلك لأنه أبرع عنوان لكل من هذه الفنون وخير دعاية لها وكيف لا وتماثل الوحدات الزخرفية وتكرارها يقوم مقام القوافي في الشعر والأنغام في الموسيقى. أما قواعد المنظور فيه فتشبه تفاعيل البحور في النظم والنحو في النثر وغيره. ومسافات القرار والجواب في التلحين. وهكذا توافق ألوانه وتباينها تشبه انسجام الأنغام ونشازها او سلامة الأوزان وشذوذها المسمى عند أهل العروض بالزحاف والعلل.

هذا علاوة على أن فن الرسم يفوق فن التمثيل باتزانه في التأثير مع روعته وفي جمال الأداء وبهجته وفي خلود التعبير وسرمديته لأن التمثيل يعتبر بحركات وألفاظ ومناظر دقيقة لا تلبث أن تتلاشى بتلاشي مؤثراتها وتزول بزوال مكانها وزمانها، أما الرسم فيدوم تعبيره بدوام الصور والاحتفاظ بالمناظر ولهذا عمدوا إلى تخليد التمثيل بالتصوير السينمائي.

وإن أمعنا النظر ودققنا في المقارنة وجدنا أن الرسام والممثل صنوان يؤديان رسالة واحدة، كل منهما يمثل للناس الموضوع المراد، والثاني وإن كان يمثل للمتفرجين بصورته الحية الناطقة التي هي أرقى من الصور الصامتة التي يرسمها الأول، فهو في الوقت نفسه يستخدم بدنه في أداء التمثيل ويعرض ذاته أحياناً لإضحاك النظارة في حين أن الرسام يحفظ كرامة جسمه ويستخدم الفرجون (الفرشة) كخادم مطيعة لبنانه وخاضعة لإرادة أنامله. يوجهها كيفما شاء حينما يمثل المنظر المقصود، ويمكنه (بفرجونه) أن يسخر بأبدان غيره برسم الصور الكاريكاتورية لها دون أن

يعرض جسمه في تمثيل هذه السخرية كما يفعل الممثل ويضاف إلى ذلك أن المصور يمكنه أن يصور جميع ما في الطبيعة من إنسان وحيوان ونبات وجماد. أما الممثل فدائرة تمثيله محدودة بالنسبة للرسم.

والرسم بأنواعه من هندسي وتصوير فوتوغرافي أو يدوي بالفرجون أو القلم أو الريشة منظوراً كان أو من الذاكرة والخيال عمل لا يرهق الفكر ولا يتلف الصحة كالتأليف والشعر وبقية فنون الأدب، ولا يحبس صاحبه على مسرح قد اكتظ الناس أمامه فأفسدوا الهواء بازدحامهم لأن للمدرس ملء الحرية في اصطحاب تلاميذه إلى خارج الفصل للرسم في الهواء الطلق في أي حصة.

والرسم لا يتعب أعضاء الجسم ويهز لها كما يفعل الرقص ولكنه يعد لمن يزاوله الجلوس بين المناظر الجميلة ويهيئ له النزهات في الخلوات ذات الهواء النقي والشمس المشرقة والهدوء المريح.

ولهذا ولغيره من الأسباب كان الرسم جديراً بكل عناية ما دامت له هذه الفوائد وهو أكبر معين على تقدير الأشياء وما بها من جمال وتزويق أو اتساق وتنسيق، وأقوى مساعد للنفوس على التعبير عما يجول بخلدها علاوة على أنه يقوي القوى العقلية كالتخيل والتذكر والابتداع والملاحظة كما يربي فيها الطبع القويم والذوق السليم ويدعو إلى التحلي بجميل الخصال كاحترام الحرف والصناعات والتعاون مع الغير علاوة على كونه وسيلة من وسائل التعبير عن العواطف (emotions) ويشجع الراسم على التعبير عن الخواطر (Conseptions) بطرق شتى وبخامات

متنوعة (Various materials) ويمتعه بالسرور من جراء ما يبتكره من العمل ويمكنه من البحث والملاحظة بطريقة ناجمة ناجحة ويدرب يده على محاكاة ما يراه وما يدركه ويقدم الفرصة لذوي المواهب (talents) لأن يتخذوا مهنة الرسم كمستقبل لهم سعيد. ولذا ينبغي أن يبث روح الفن في سائر الناس بمباشرته وبزيادة متاحفه وبتشجيع معارضه ليقدروا الفنون ولينصفوا المشتغلين بها وليقتنوا الجمال في صورة بهية أو تمثال بديع أو أثاث حسن المنظر، أو في سماع صوت عذب بليل مشنف رخيم، أو في قراءة قصيدة ممتعة، أو فيما إلى غير ذلك مما قد بهى حسناً ورواء وزها نضرة وجمالاً وبذلك تنمو عندهم حاسة الجمال (easthetieSence) بما يحف بهم من مناظر جميلة قد حولت حجراتهم إلى متحف للجمال وصيرت مساكنهم بيئة للنعيم environment of paradise.

صالة الرسم: Drawing Gallary

هي صالة معدة له وقل أن تصلح لغيره ما دامت على حالها وترتيب مقاعدها. وأحسن مكان لها أن تكون في حديقة المدرسة حيث يتوفر الضوء الطبيعي مع تزويدها بالنور الصناعي أيضاً وحيث الهواء الطلق والهدوء والمناظر الجميلة والزهور والطيور والأسماك الملونة العائمة في حوض نافورة الحديقة وما إلى غير ذلك من الأمور التي تحبب إلى التلاميذ جمال الطبيعة وتنمي فيهم الذوق السليم.

ووجودها في أعلى البناء فوق سطح المدرسة يسمح بإيجاد شبابيك

في سقفها لتوفر الضوء ولتيسير رؤية السماء وألوانها ولكنه يسبب الضوضاء بصعود التلاميذ وبنزولهم بين الحصص، الحالة التي تنبري منها درجات السلم ويتسبب عنها انزلاق الأرجل ووقوع الحوادث إن لم يتجدد السلم بين آن وآخر.

وأليق شكل للصالة أن تكون مستديرة أو بيضية (oval) ذات سقف مقبي كسقوف الكنائس وقباب الجوامع لتقوية الإضاءة (illuminating) وللتحكم في الإشعاع ولتركيب انعكاسات الضوء (reflection of rays) في الوسط ولإمكان تنفيذ الضوء إلى الداخل من جهة يسار كل تلميذ. ولا مانع من أن يكون شكلها مربع أو مستطيل ذو سقف منحدر لا يبقى عليه قطرات المطر على أن لا يخلو سقفها والنصف العلوي من كل جدار من جدرانها من الشبابيك المجهزة بما يلزم من الستائر (Curtains) وذلك لوقاية التلاميذ من برودة الهواء في الشتاء ولاتقاء أشعة الشمس في الصيف مع إمكان تقليل الضوء أو منعه كلما تطلبت الأحوال.

ومن الضروري أن تكون المقاعد فردية مرتبة على شكل حدوة الحصان في صف أو صفين بحيث تكون تخوت الصف الخلفي أعلى من تخوت الصف الأمامي ليتمكن كل تلميذ من رؤية النموذج (object) في درس المنظور (perspective) وحول كل مقعد وتخته يجب أن يترك فضاء مناسب لتيسير انتقال التلاميذ ولمرور مدرسهم لإبداء الانتقادات اللازمة الصالحة (Fit criticism).

ومن المفيد للتلاميذ والمدرس ترقيم التخوت ولابد من أن يكون لكل تخته سطح مستو (flat surface) يمال بسهولة في الاتجاهات المطلوبة sloping required ليساعد ذلك على انحدار الألوان إلى أسفل وخصوصاً عن تدريجها (gradation) ويا حبذا لو وجدت في التخوت قماطر لحفظ الأدوات المستعملة يومياً، مثل طبق زنك وعلب الألوان المائية (colour Set) وعلبة الباستل والفراجين المختلفة الحجم وأقلام الرصاص والممحاة وقطعة الإسفنج وكراس الرسم وبذلك يتوفر على المدرس كل المتاعب التي يتجشمها في توزيع الأدوات في أول الحصة وفي جمعها في آخر الحصة ويتوفر أيضاً على التلميذ الوقت الضائع في ذلك.



لوحة (١)

وفي لوحة (١) نموذج قد ابتكرت تصميمه للتختة ذات القماطر وعلى فكرة تصميمها يمكن أن تصنع مناضد النماذج.

أما رف النماذج فيصنع من لوح زجاجي غير قابل للكسر يتدلى من وسط السقف على بكرة ينزلق عليها سلك متفرع من أربعة أسلاك يربط كل منها من أركان الرف الأربعة.

وهذا الرف يمكن إنزاله وإصعاده حسب المطلوب علاوة على أنه يظهر القواعد السفلية للنماذج الموضوعة عليه لأنه شفاف (transparent).

ومن المفيد أن توضع على جدران الصالة إطارات ذات غطاء زجاجي بمفصلات لتعرض فيها الرسوم الممتازة وليسهل تغييرها في نهاية كل أسبوع.

وينبغي أن يلحق بصالة الرسم مخزن صغير بجوارها يحفظ في صوانه وفوق رفوفه الأدوات. والنماذج من صناعية وطبيعية كالطيور والحيوانات والحشرات المحنطة (embambed) والأقمشة المختلفة الألوان (drapery) المستعملة كأرضية أمامية أو خلفية وفي مضاهاة الألوان والأحسن من ذلك أن تحفظ الخامات وما إلى غير ذلك من اللوازم مرتبة بقوائم مكتوب فيها كل مشتملاتها ليسهل على الأستاذ أو من يساعده إحضار المطلوب بسرعة.

أدوات الرسم:

يجب أن تكون من النوع الجيد كي لا تثبط الهمم وتؤدي إلى اليأس والفشل ولذلك لزمت أن تكون الأقلام الرصاص مناسبة لكل نوع من فروع الفن فالأقلام المكتوب عليها F أو HB هي أنسب الأقلام للرسم وكلما تدرجت من H إلى HH إلى 3H كلما زاد جفافها وصلحت للرسم الهندسي وما يشابهه أما إذا قد تدرجت من B إلى BB إلى 3B كلما زادت ليونتها وصارت أليق للتظليل وما يشابهه وأقلام مصانع فيبر (Faber) وكوهاينور (Koh – I – noor) من النوع الجيد.

ويجب أن تكون المماحي (الأساتيك) ناعمة لينة سهلة المحو بدون ضغط عليها وإلا أتلفت الورق وأنا لا أنصح المبتدئ باستعمال ورق (واتمان – wattman) لغلاء ثمنه ولكن هناك نوع من الورق رخيص وجيد مثل ورق كانسل أو كارتزدج أو جرامند وما يشابهه من الورق المتوسط الخشونة الذي يناسب الرسم بالألوان المائية وبأقلام الرصاص.

أما النوع الخشن الملون فيناسب الرسم بأقلام الباستل. والنوع الناعم كالبرستل يستعمل للرسم بالريشة والحبر الشيني الأسود.

وأحسن الفراجين ما كان مصنوعاً من شعر السنور (Sable Hair) أو من شعر الجمل لأن هذا الشعر لا ينثني بعد بله بالماء بل يستمر حافظاً لقوامه وهناك أنواع أخرى تعادل في الجودة جميع ما ذكرناه من الأدوات ويمكن تجربتها قبل الشراء..

وأنا أرى أن الألوان المائية أو الباستل المصنوع في مصانع وندسور ونيوتن أو ريف أو تالنت أو جريهند هي وما يشابهها أصلح الأنواع.

ويكفي للمبتدئ إحضار مجموعة من كل لا تزيد محتوياتها عما يأتي:

(١) **أصفر فاقع** Gamboge.

(٢) **أصفر أغره** Yellow Okre.

(٣) **أزرق بحري** Ultramarine.

(٤) **أزرق بروسي** Prussian Blue.

(٥) **أحمر قاني** Vermilion.

(٦) **أحمر قرمزي** Crimson Lake.

(٧) **سينا محروقة** Burnt Sienna.

(٨) **أبيض.**

(٩) **أسود.**

وهناك ألوان تسمى جواش (poster colours) **تشبه في طريقة استعمالها وعدم شفافيتها الألوان الزيتية ولغلاء أثمانها يعمد الرسامون إلى عجن الزنك الأبيض بالصمغ أو الغراء وإضافة الألوان المائية إليه** (pigments)**ويجوز أن نطلي بالورنيش أشغال الجواش المنفذة على**

الكرتون أو الخشب أو القماش أو الجص وما إلى غير ذلك مما لا يتلف بامتصاص الورنيش بخلاف الورق العادي فإنه يتلف إذا امتص أي نوع من أنواع الزيوت.

وقد يستعمل الورق المصمغ الملون أو الأقمشة الملونة كوسيلة أخرى غير القلم الرصاص والباستلوالجواش والألوان المائية والزيتية والحبر الشيني.

المنظور

عرفت أصول المنظور من عهد قريب غايته ٤٠٠ سنة ودامت قواعده مهوشة قبلاً إذا كان الأولون يرسمون ما ينظرونه اعتباطاً بدون أن يفطنوا إلى نقط التلاشي حتى جاء استشيلس (Aeschylus) اليوناني ووضع كتابه في رسم المنظور مبيناً اتجاهات الخطوط وأنواعها وقد رسم الملعب الأولمبي سنة ١٥٠٠ ق. م على قاعدة نقطة التلاشي الواحدة وعلى هذا المنوال قد نسج الرومان حتى كتب في فن المنظور العالم الإيطالي المشهور لوناردودافنسي ثم كثرت المؤلفات الإيطالية والفرنسية ولكنها لم تتعد نظرية نقطة التلاشي الواحدة حتى ظهر الدكتور بروك تيلر (Brook taylor) الإنكليزي ووضع نظرية نقطتي التلاشي وحرر الفن من كثير من قيوده القديمة وعلى نظريته ألفت المؤلفات الأوربية والأمريكية وأكملت هذا الموضوع في جميع نواحيه من مستوى النظر والأفق والخطوط الرأسية والأفقية ونقطة التلاشي وتعدد المستويات والتقصير (Shortening) وما إلى غير ذلك.

الأفق ومستوى النظر:

إذا صعدنا فوق سطح منزل عال أو فوق جبل رأينا السماء تنطبق على الأرض في خط أفقي منحن قليلاً سماه العلماء خط الأفق وعزوا سبب انحنائه إلى انحناء سطح الكرة الأرضية.

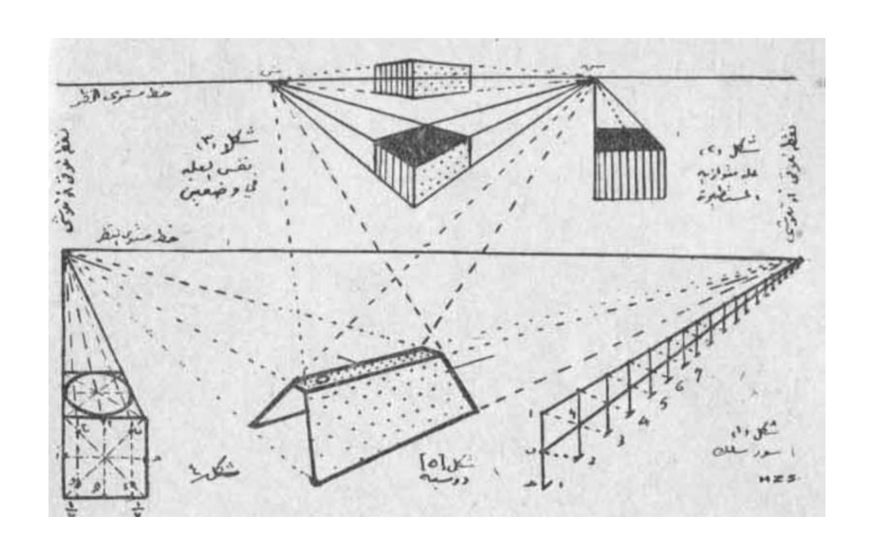
وإذا أخذنا قرصاً من الورق ووضعناه أمام نظرنا تماماً بحيث نرى دائرة القرص خطاً مستقيماً أفقياً (يسمى سطح القرص في ذلك الموضع مستوى النظر) ويقال إن القرص في تلك الحالة في مستوى النظر.

وهذا تمثيل يختلف عن الحقيقة في كون سطح القرص صغير محدود أما مستوى النظر فلا حدود له إلا عند أبعاد ينتهي فيها مدى نظر الرائي ويتلاشى فيها المنظور.

نقطة التلاقي أو التلاشي:

وإذا نظرنا إلى قضبان السكك الحديدية وجدنا كل اثنين منها (يتلاقيان) بعيداً في نهاية مستوى نظرنا عند الأفق في نقطة سميت نقطة (التلاقي) وعندها (تتلاشى) تماماً المسافة بين القضيبين ولهذا سميت أيضاً نقطة (التلاشي) وإذا أمعنا النظر في أعمدة التلغراف أو في ما يشابهها من الأشجار أو علامات الطريق (milestones) أو السور السلك المرسوم في لوحة (٢) شكل ١ فإننا نجد أن أعمدته القائمة الرأسية تقصر تدريجياً حتى تتلاشى والمسافات التي بينها تقل بنسبة مطردة تبعاً لطريقة الرسم الآتية:

نرسم العمود الأول ونمد من طرفيه ومن منتصفه الخطوط الثلاثة (أ، ج، ب) بحيث تتلاقى في نقطة التلاقي ثم نعين نهاية المسافة الأولى



لوحة (٢)

ونقيم منها العمود الثاني فينحصر مثل العمود الأول بالخطين (أ، جـ) ويتنصف بالخط (ب). نصل النقطة أ بمنتصف العمود الثاني في د ونمد أ د على استقامته حتى يلاقي خط جـ على الأرض في نقطة نقيم منها العمود الثالث موازياً للثاني بواسطة المسطرة والمثلث ثم نصل أعلى العمود الثاني بمنتصف العمود الثالث بمستقيم نمده على استقامته حتى يلاقي الخط جـ على الأرض في نقطة نقيم منها العمود الرابع موازياً للثالث بنفس طريقة المسطرة والمثلث وعلى هذا المنوال يمكننا رسم بقية الأعمدة حتى النهاية.

وفي شكل ٢ من نفس اللوحة نرى علبة متوازية المستطيلات في وضع ظهر منه الوجه الأمامي المخطط وقاعدتها العليا المسودة التي ظهر للنظر حرفها البعيد أقصر من القريب ولهذا تلاقي امتداد حرفيها

الجانبين في نقطة التلاقي وهكذا الحال في القاعدة السفلى الأفقية غير الظاهرة في الرسم.

وفي شكل ٣ نرى العلبة في وضعين أولهما مر في وسطه خط مستوى النظر وظهر طرفاها الجانبين أصغر من الطرف الأوسط ولهذا تلاقى امتداد الطرفين الأعلى والأسفل في الجانب المنقط عند نقطة التلاقي جهة اليمين كما تلاقى امتداد الطرف الأعلى والطرف الأسفل في الجانب المخطط عند نقطة التلاقي جهة اليسار.

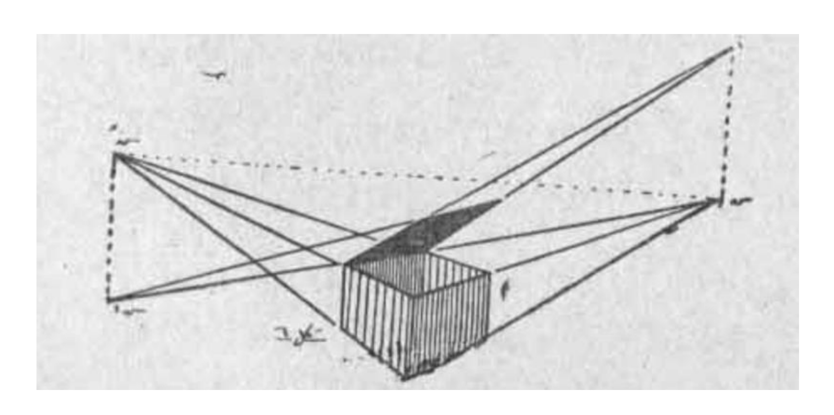
والوضع الثاني ظهر منه وجه العلبة العلوي المسود وجانبان أحدهما منقط والآخر مخطط وقد تلاقت امتدادات أطرافها في نقطتي التلاقي جهة اليمين وجهة اليسار بسبب ما يبدو للعين من قصر الخطوط البعيدة عن الخطوط القريبة.

وفي شكل ٤ نجد مربعاً رأسياً نصفت أضلاعه الأربعة بالمستقيمين المتعامدين أهـ، جز ووصل بين قطريه وقسمت قاعدته السفلى الأفقية إلى سبعة أقسام متساوية قد أقيم في السبع الأول والأخير منها مستقيمان قطعا القطرين في أربع نقط هي ب، ء، و، ح – وضع هذا المربع في وضع أفقي تحت مستوى النظر كما ترى ورسم فيه محيط دائرة تمس أضلاع المربع الأربعة من الداخل فمرت بالنقط الثمانية أ ب جـ ء هـ و ز ح وخضعت هذه الدائرة مع المربع لقواعد المنظور وعلى هذا لو اعتبرنا أن ذلك المربع الأفقي هو الوجه العلوي للمكعب المرسوم في شكل ٤ وأن الدائرة المرسومة فيه هي القاعدة العليا للأسطوانة

المتحدة معه في القاعدة والارتفاع لأدركنا أنه يمكن لنا أن نعامل الأسطوانية معاملة النماذج المكعبة في رسم المنظور.

وفي شكل ٥ من هذه اللوحة قد تعددت مستويات النظر إذ نجد ملفاً من الورق المقوى (دوسيه كرتون) مرتكزاً على حافتي غلافيه المائلتين على الأرض بميل جعل امتدادات أطرافها تتلاقى في أربع نقط تلاقي كل اثنتين منها على خط من خطوط مستويات النظر.

وفي لوحة (٣) شكل ٦ نجد أيضاً تعدد نقط التلاشي



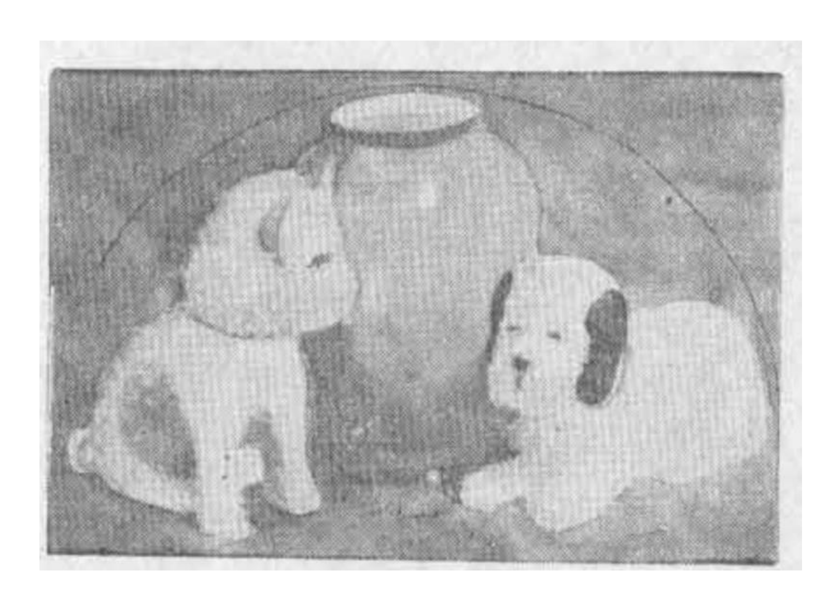
لوحة (٣)

إذ نجد علبة تلاقت خطوطها في نقطتي التلاشي على خط مستوى النظر جهة اليمين واليسار بينما خطوط غطائها المائل قد تلاقت في نقطتين أخريين إحداهما على العمود المقام من نقطة التلاشي اليمنى على خط مستوى النظر والثانية واقعة على العمود النازل من نقطة التلاشي اليسرى.

ولو قلبنا هاتين اللوحتين لرأينا الأشكال أصبحت فوق مستوى انظر وقد ظهرت قواعدها السفلى ومن ذلك يتضح أن دراسة مثل هذه النماذج فوق النظر لا تشذ عن دراستها وهي تحت مستوى النظر – انظر كتاب الرسم والزخرفة للأستاذ نجيب لوقا.

وما يسري على النموذج الواحد من أحكام المنظور يسري على المجموعة المتعددة النماذج مع ملاحظة أن رسم المجموعات (Groups of obyects) أفيد في التعليم من رسم النموذج المنفرد لأنها تساعد الناشئ وقت الرسم على ملاحظة الفروق بين النماذج وما يختص به كل نموذج من التفاصيل (details) وهذه المقارنة بين الأشكال المختلفة تمرن العين والفكر علاوة على تدريب اليد في محاكاة النماذج بالرسم غير أن رسم المجموعات يتطلب اتخاذ احتياطات في توزيع وحداتها لتظهر مثل كلمات بيت الشعر منسجمة موزونة ومثل كفتي الميزان في حالة التعادل. وهذا الاتزان أو ذاك التعادل في المجموعة هو عند العين الخبيرة الرضا Satisfaction من وضع كل وحدة في مكانها المناسب مع استراحة النظر إلى رؤية لونها بجوار ألوان الوحدات المجاورة لها – وإذا ما احتل أي نموذج مكاناً ما في ميمنة المجموعة سواء كبر حجمه أو صغر وسواء أقتم لونه أم فتح فإن العدل يتطلب بطبيعة الحال أن يقابله في الميسرة نموذج آخر يتعادل معه في الحجم ويتزن معه في اللون علماً بأن الألوان الحية الواضحة أجمل من الألوان القائمة المتربة (grayed down) ومهما كان التوافق (harmony) من الألوان حسن ومريح فإن التباين (Contrast) بين الوحدات في الحجم والوضع أحسن وألزم لأن

العين لا تمجه ولا تزهده كما تزهد الأشياء التي تكون على وتيرة واحدة (monotony) ولهذا ينبغي أن تختلف المسافات بين الوحدات الواجب ترتيبها على هيئة نصف دائرة كما هو مبين في مجموعة الزهرية ولعبتي الكلب والقسط لوحة (٤).



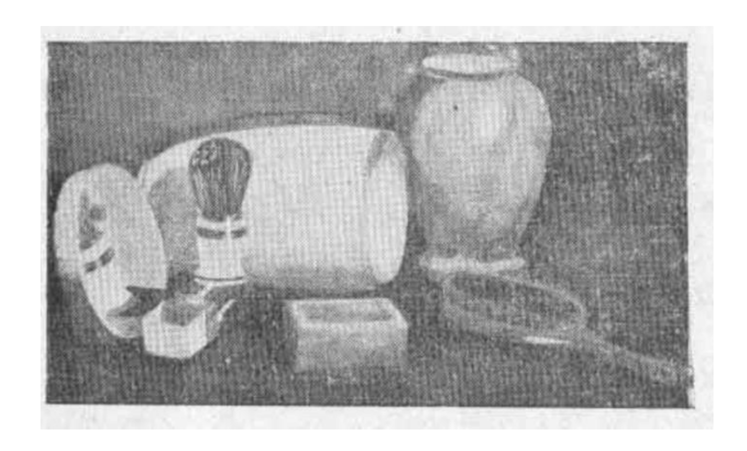
لوحة (٤)

حيث ترى اللون الرمادي في القط قد تعادل مع الأبيض والأسود في الكلب ولون الزهرية الأخضر الزرعي متوافق مع لون الأرضية (التركويز) القاتم أما مجموعة القدر والزجاجة والكسرولة لوحة (٥) فقد ترتبت فيها الوحدات على هيئة مثلث وقد انسجم فيها لون الأرضية الخضراء مع لون القدر الأصفر المجاور للون الزجاجة العسلي (Sybia) وتوافق لون الكسرولة الأزرق مع اللون الأخضر في الأرضية الأمامية والخلفية foreground and back ground



لوحة (٥)

ولون الظل الساقط (Cast shadow) **رغم اخضراره القاتم في النغمة** (Dark in tone) **فقد اتزن مع ألوان الكسرولة وظلالها ومع أسفل الجدار الملون بسينا محروقة** Burnt Sienna **ويضاف إلى ذلك أن لون الزجاجة يقابله لون أسفل الجدار في النغمة وفي الوضع.**



لوحة (٦)

وفي مجموعة أدوات الحلاقة نجد أن فرجون الشعر الملون خشبها بأصفر أغرة وشعرها بالبني والأصفر قد كون شكل مثلث بجوار الزهرية الخضراء والصابونة الملونة بالأصفر الفاقع المترب وهكذا كان ترتيب الزهرية الزرقاء المرتكزة على جانبها وفرجون الذقن القاتم فوق العلبة الحمراء المفتوحة الموضوعة بجوار المرآة. وحسبك ألوان المجموعة وتوافقها مع الأرضية الخضراء القاتمة أما عن تباين الوحدات في الحجوم والمسافات فحدث ولا حرج.

الشرح

يحسن بالمدرس أن يمرن تلاميذه على تكوين المجموعات مع الإدلاء بالانتقاد النافع والشرح غير الضار الذي لا يضيع الوقت بالتوسع فيه إلى درجة التعرض للحواشي والخروج عن الدرس بشرح قد يضيع على التلميذ المتشوق للعمل نشاطه وإقباله وقد يعمد المدرس إلى طريقة بها يجزئ الشرح إلى خطوات يتتبعها التلاميذ مترقبين ما بعدها بانتظار يعف عندهم روح التخيل والابتكار ويوهن فيهم قوة الاعتماد على أنفسهم ولهذا لا يحسن الالتجاء إلى الشرح إلا في الحالات التي تتطلب تعليم التلميذ كيف ينفذ عمله بسرعة وبأبسط طريقة مع بث النشاط فيه والاشتياق إلى مباشرة الشغل أو إلى توضيح الغوامض وجذب انتباهه إلى أجزاء المنظور وتفاصيله وخواص تركيبه وما إلى غير ذلك من الصعوبات والأخطاء العامة التي ينبغي تنبيه التلاميذ إليها حتى لا يقعوا فيها ولا مانع من أن يشرح المدرس للتلميذ خطأه في الكراس بجوار

رسمه متبعاً طريقة الاستنتاج ما أمكن.

وعند التصحيح ووضع الدرجات تجمع الكراسات وترتب ترتيباً تنازلياً من الأقوى إلى القوي إلى المتوسط إلى الضعيف إلى الأضعف ثم يقدر للممتاز درجته المستحقة ومنها يتدرج المدرس في الدرجات حتى يصل إلى تصحيح آخر ورقة وهذه الطريقة في نظري أحسن للتلميذ من تقدير رسمه بالنسبة إلى الرسم الصحيح الذي يعرفه المصحح الخبير. وأنا أرى أن رفع درجة النجاح من ٤ إلى ٨ يولد في التلميذ الاهتمام بالرسم بدلاً من الاستهتار به.

وإكمالاً للفائدة وتقوية للتلاميذ في اللغات ومصطلحاتها الفنية أورد هنا القطعة الإنكليزية الآتية رغم كونها من إنشائي وقت التلمذة:

الشرح Demonstration

Years ago teachers were to teach pupils how to draw lines in different directions and how to copy from printed models. They were to demonstrate and the pupils were to follow them, This method obliged the explainers to use the blackboard too much. Although it well trained the pupils how to draw fine lines and how to copy very well yet it deprived the pupils of observation, imagination and invention.

When teachers noticed the abuses of that method, they began to put natural or artificial objects in front of their pupils. They also used the blackboard in explaining how to draw these objects. They were to let their pupils draw the objects after cleaning the blackboard, but the pupils used to draw from memory what their teachers drew without studying the objects. This fact is due to the following reasons:-

a) The pupils gave his intention to what his teacher drew in front of him.

b) He has the desire of imitation his teacher.

c) It is easier for the young pupils to copy from drawn objects than to study their details from perspective.

At last art masters left the method of demonstration on the blackboard and began to teach their pupils by drawing visibles, accidents and stories, They also left their pupils free in their drawing and imagination. This is psychologically right in low classes Children are then in the time of imagination but I fear that if teachers go too far in that imaginative side of tuition, the pupils will be always far from nature and realism, and their drawing will be always full of faults and pitfalls.

Thus I see that absolute drawing from imagination with oral explaining and without demonstration on the blackboard is useful in first and second year, but teachers must use the blackboard in demonstration in higher classes when they want to explain how to compose a design for instance, or in lessons of plan and elevation (المسقط الرأسي والأفقي) and lessons of perspective to Conduct the lessons to the pupils minds and to make them easy and interesting.

هذا ويا حبذا لو درج المدرس في تدريس المنظور على منهج متدرج من السهل إلى الصعب كالآتي:-

١- نماذج سهلة ذات خطوط رأسية وأفقية Horizontal and Vertical lines **مثل الأقلام والمسامير والعصي والظروف وجلدات الكتب والبطاقات وورق الشجر وريش الطيور والأسماك والفراش والحروف الأبجدية.**

٢- نماذج كرية (sphere cal) كالكرة والبيضة والفواكه والخضر.

٣- نماذج أسطوانية (Cylinder) كالكوز والطبلة والفنجان والأواني. مع رسم الملاعق والشوك والسكاكين والمقصات.

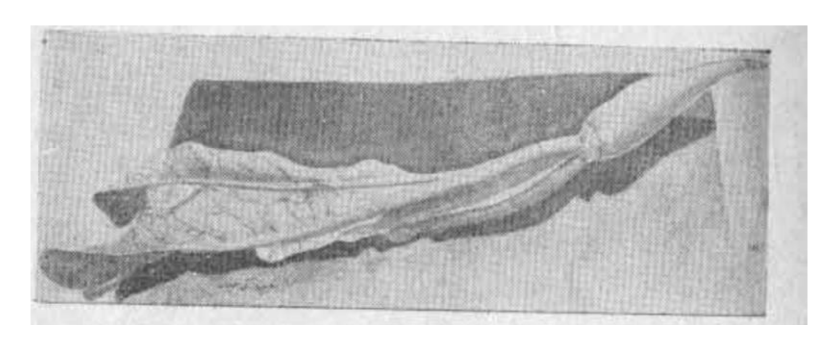
٤- مجموعة مكونة من نموذجين كفنجان وطبق وقلم في دواة وفاكهة في صحن.

٥- وأشكال أسطوانية وأشكال مكعبة تحت النظر (Eye level) مع استنتاج قواعد المنظور من التلاميذ.

٦- نماذج ذات مقابض وبلابل Handles and spouts مثل كنكة وإبريق و... مع بيان الظل والنور بالقلم الرصاص والحبر الشينيوالباستلوالجواش والألوان المائية.

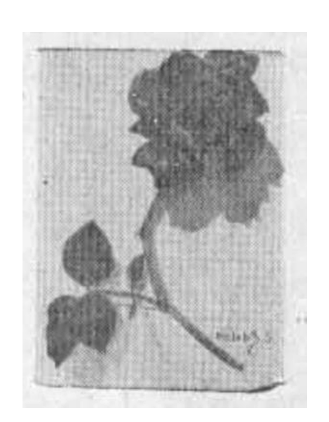
الظل والنور:

هما اللذان يظهران الأشياء (Obyects) على حقيقتها ويوضحان تفاصيلها ويبيان تجاويفها وبروزها. وللتظليل طريقتان: الأولى بتدريج نغمة



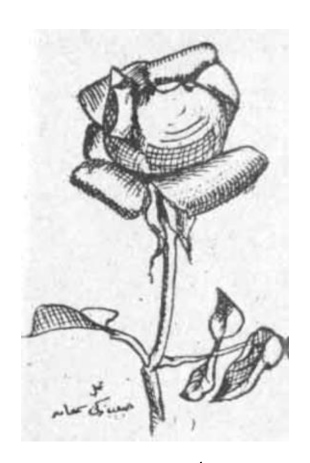
لوحة (٧)

اللون (**باللغة الدارجة طريقة التسييح** half tone or Smudging) **كما ترى في لوحة ٧ الفجلة المرسومة باللون الأسود وفي لوحة ٨ الوردة الملونة بالأحمر القرمزي وكان ظلها الساقط** (**الخيال**) **بنفسجياً. الوردة موضوعة على الأرض.**



لوحة (٨)

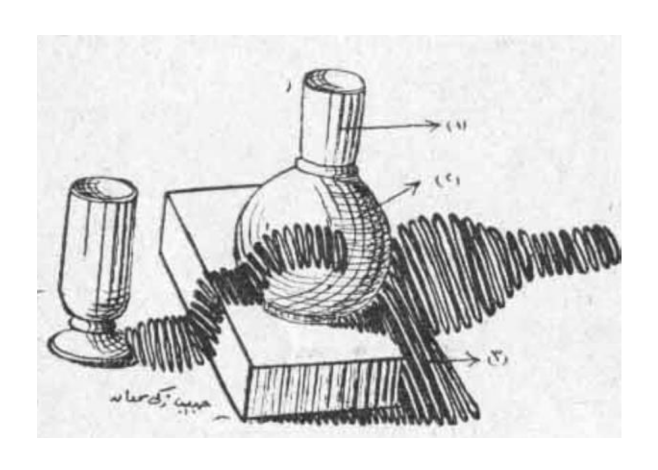
والطريقة الثانية هي طريقة الخطوط كما ترى في لوحة ٩ الوردة المرسومة بالخطوط.



لوحة (**٩**)

أنواع خطوط التظليل:

وفي لوحة ١٠ المرسوم فيها الكوب الفخاري، والقلة الموضوعة على القالب (المتوازي المستطيلات) نجد ثلاثة أنواع من الخطوط أبسطها الخطوط المتزايدة المسافات (Increased lines) التي نراها في الكوب وفي جانب القالب وفي رقبة القلة قد تقاربت بجوار بعضها لتعطي تأثير الظل فيها وتباعدت بالتدريج في الجهة اليسرى ليتخفف تأثيرها المظلل معطياً تأثير النور.



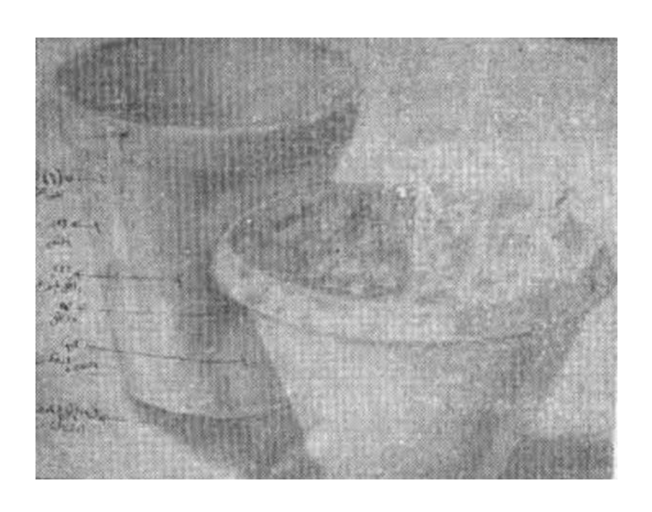
لوحة (١٠)

والنوع الثاني هو الخطوط المتقاطعة المتعامدة (Cross hatched lines) التي نراها في قاعدة الكوب وفي بطن القلة ويلاحظ توازيهما لخطوط التحديد في النماذج.

والنوع الثالث هو الخطوط المتصلة Touched lines ونجدها في الظلال الساقطة.

درجات النور والظل:

في مجموعة الماجور والأصيص المرسومة في لوحة ١١ نجد للنور ثلاث درجات أوضحها النور الساطع High light وأشدها لمعاناً وثانيها النور العادي (Ordinery light) وثالثها النور المنعكس (Reflected light) ونجده في منطقة الظل القاتم (shade) بدرجة مشابهة للظل المتوسط (half shade) وهذا النوع الثاني هو أخف الظلال ويوجد بين منطقتي النور العادي والظل القاتم. أما الخيال فهو المنطقة الثالثة من الظلال ويسمى بالظل الساقط (Cast shadow).



لوحة (١١)

ودرجات الظل والنور على الجسم المرسوم تتبع قوة مصدر النور ومادة الجسم ودرجة صقله وشفافيته فالأجسام الشفافة تكاد لا تظهر إلا اللمعان والإشعاع والأجسام غير المصقولة كالخشب الخام لا يظهر النور المنعكس.

أما الظل فيتشكل تبعاً لشكل النموذج ولسطحه ولاستدارته ولتكوره ويخضع أيضاً لوضع الجسم فالظل الساقط على جسم في وضع رأسي يكون رأسياً والذي على سطح أفقي يكون أفقياً وظل الأشياء المستديرة مستدير ولهذا قال الحكيم لا يستقيم الظل والعود أعوج.

الألوان

إن سرتك مناظر السماء عند الغسق بعد الفجر وعند الشفق بعد العصر وإن أشعرك الشروق بانشراح الصدر وإن بهرك الضياء وقت الظهر وإن سحرك سنى البدر في السناء ونور النجوم في العلاء وإن جذبت نظراتك ملابس الناس في المحافل والأفراح إذ تجعلهن كالأقمار في البهاء وإن شاقتك رؤية الأزهار ذات الحسن والرواء وإن أعجبك من الأطيار شكل الطاووس ومنظر الببغاء فما ذلك كله إلا بسبب ما تحويه من ألوان سواء أكانت متوافقة أم متباينة، فهي سحر خلال قد خلا من الزور وسر لا يفشيه إلا النور يظهرها في الكون فتكسب الكون جمالاً ووضوحاً وكمالاً وتتزين بها الحسان فيزددن حساً وبهاء وجلالاً.. وحيثما يغيب الظلام عنك رؤياها لا يروقك الكون إلا بذكراها وبسابق تأثيرها في وجدانك فالصور الفوتوغرافية لو أثر عليك ما فيها من حسن رغم تكوينها من لون واحد أسود في الغالب فما ذلك إلا لأن الصورة بما فيها من تباين درجات اللون تذكرك بجمال الطبيعة وما فيها من تباين الألوان ودرجاتها.

ولو تجردت الطبيعة من ألوانها لحرمتنا من النعم المذكورة ولما أمكننا رؤية الأشياء على حقيقتها ولما قدرنا على تمييز تفاصيلها ودقائقها فهي وسيلة من التعبير كما أنها بهجة للنفس وراحة للأعصاب ولها على العواطف تأثير يمتد سلطانه على الإنسان والحيوان والطيور فهي تحرك

ميول الأطفال إليها فيلونون كتبهم متلذذين بتلوينها وتدفع القبائل التي تعيش على الفطرة للتحلي بها فيجمعون ريش الطيور والحصى الملون ليعملوا منه تيجاناً يزينون بها رؤوسهم وقلائد يطوقون بها أعناقهم وها هم أجدادنا الأولون قد لونوا جدران معابدهم بكل لون زاه زاهر أكسبها حسناً ونوراً بدل الظلام والوحشة. وها هو ذا الشاعر العربي ساكن الصحاري والقفار قد صرخ مكتئباً من سواد الليل فقال حقاً ثلاثة يذهبن الحزن. الماء والخضرة والشكل الحسن.

ولشدة تأثير الألوان على الطير وعلى الحيوان تميل القردة إلى اللون الأحمر كما تميل الدجاجة لعرف الديك في حين أن الديوك الرمي وثيران إسبانيا تتهيج من رؤية الأحمر والنحل ينجذب نحو اللون البنفسجي في الأزهار أكثر من أي لون آخر مع أن الأشعة البنفسجية تقتل الجراثيم ولهذا اهتم العلماء بدراسة الألوان فعرفوا أن أساسها ثلاثة رئيسية متباينة هي (الأصفر والأحمر والأزرق) ومنها تتكون جميع الألوان حتى الأبيض بدليل أن المطر يحلل ضوء الشمس الأبيض إلى هذه الألوان الرئيسية الثلاثة وما يتفرع منها من الألوان الثانوية كالأخضر والبرتقالي والبنفسجي الموجودة في قوس قزح ولو عرضنا منشوراً زجاجياً ثلاثياً لشعاع من أشعة الشمس فإن بياضه يتحلل إلى هذه الألوان الستة وإن وضعنا منشوراً آخر مقلوباً بجوار المنشور الأول لتجمعت الأشعة المحللة الستة في شعاع واحد أبيض .. ومن الصعب أن يحدث هذا التحليل والتجميع باستعمال مواد الألوان (pigments).

اللون الأبيض: هو رمز النور والسلام والطهارة ولذا استخدمه رجال الدين بلبس الملابس البيضاء في كنائسهم واستعملها الدراويش في معيشتهم ويضيف الرسامون اللون الأبيض إلى بقية ألوان الجواشي أو الزيت لتفتيحها (to be tint) بينما يستعمل الماء في تخفيف الألوان المائية بظهور بياض الورق في خلالها. واللون الأبيض متباين مع بقية الألوان. والتباين بين الألوان يزيد في وضوحها ولذلك تستعمل الألوان المتباينة في الإعلانات.

اللون الأصفر: يلي الأبيض في النغمة وهو لون الذهب رمز الغنى وينم عن المرض والخجل والخبث بدليل نفور الناس من الضحكة الصفراء. وهذا اللون إذا أضيف إلى الأحمر صيره برتقالياً ولو أضيف إلى الأزرق حوله إلى أخضر وله تأثير أيضاً على بقية الألوان. ويستعمله الطب في علاج المجانين إذ يهدئ أعصابهم برؤيته .. والأصفر يتمم البنفسجي المكون من الأزرق والأحمر ويتباين معه أي يختلف ولا يدخل في تركيبه ولكنه يزيده وضوحاً بتجاوره وهو يتوافق مع الأخضر ومع البرتقالي لما له من دخل في تكوين كل منهما. والتوافق يريح النظر إليه ولهذا يستعمل في الملابس والأثاث وما إلى غير ذلك.

اللون الأحمر: هو رمز الحب المتقد وإلى الخطر والحرب ولذلك يعده أهل الفن لوناً دافئاً هو والأصفر والبرتقالي والبنفسجي المحمر. ويقال إن رؤيته تفيد المرضى بالحصبة وهذا اللون يتوافق مع البرتقالي والبنفسجي ويتباين مع الأخضر ويتممه.

اللون الأزرق: هو لون السماء. لون الهواء المتكاثفة طبقاته بعضها فوق بعض ولهذا يعده أهل الفن لوناً بارداً هو والأخضر والبنفسجي المزرق. ويقال إنه رمز الخلود ولكونه لون الدم الفاسد المتعكر شبهوه بيوم الغم في قولهم (نهار أزرق) وهذا اللون يتوافق مع البنفسجي والأخضر ويتباين مع البرتقالي ويتممه.

اللون الأخضر: يعتبره العرب رمز الشرف والنبل ويعتبره غيرهم رمز الحياة الأبدية في النعيم. كما أن رؤيته في الحلم تدل على البركة وطول العمر.

اللون البنفسجي: يعتبره البعض رمز الحزن مثل اللون الأسود.

مما فات نعرف أن اللون الثانوي متكون من لونين وهناك ألوان ثلاثية مثل اللون الرمادي فإنه يتكون من الأحمر والأخضر والأزرق. والبني يتكون من البرتقالي والبنفسجي. والزيتي من البرتقالي والأخضر. والزيتوني من الأخضر والبنفسجي وهكذا.

وإذا تتبعنا دائرة الألوان مع عقرب الساعة لوجدنا أن الألوان تتدرج من الفاتح إلى الغامق في النصف الأيمن ومن الغامق إلى الفاتح في النصف الأيسر إذ أن اللون الأصفر هو أخفها وأفتحها ويليه الأخضر المصفر فالأخضر المزرق فالأزرق فالبنفسجي المزرق فالبنفسجي المحمر.

وهنا ترجع الألوان في التدرج من الغامق إلى الفاتح مبتدئة من

البنفسجي المحمر فالأحمر فالبرتقالي المحمر فالبرتقالي المصفر فالأصفر ولو ظهر في أي رسم أن الأخضر أفتح من الأصفر مثلاً أو البنفسجي أفتح من البرتقالي لاعتبر ذلك نشازاً في النغمة أو شذوذاً في الترتيب (discord).

ومن السهل الميسور أن ينبغ الناشئ في الرسم بالألوان وذلك بكثرة تمرنه على استعمال الفرجون في تلوين:

(١) مساحات غير محدودة.

(٢) مساحات محدودة ويملئها بأي لون.

(٣) إيجاد الألوان الثانوية.

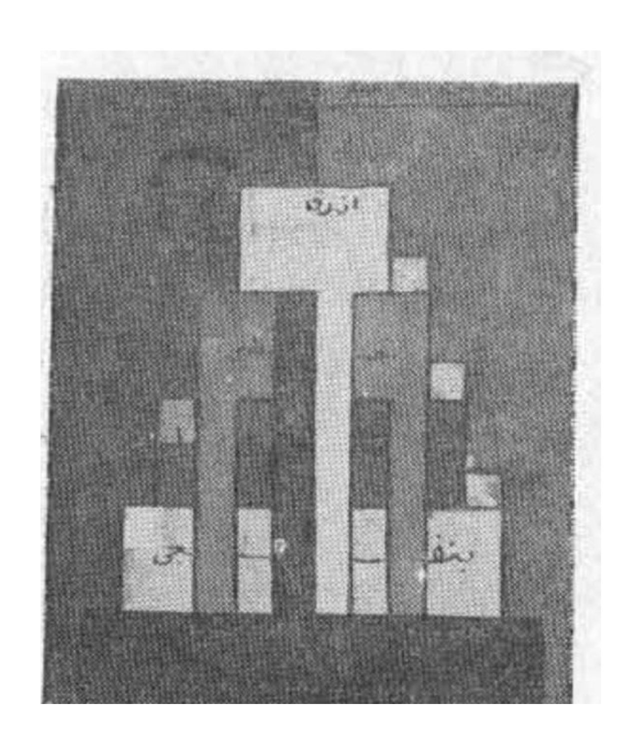
(٤) إيجاد الألوان الثلاثية.

(٥) مخففات الألوان.

(٦) تدريج اللون.

(٧) إدماج لون في لون على الورق.

(٨) إيجاد لون يضاهي لوناً.



لوحة (١٢)

وفي لوحة ١٢ تجد خريطة ابتكر تصميمها المؤلف ورتب فيها الألوان بحيث يمكن مضاهاة أي لون فيها بجميع الألوان الباقية علاوة على أنها تجمع بين معظم التمارين المذكورة هنا.

مع ملاحظة عدم عصر شعر الفراجين بالأصابع للتخلص من بقايا الألوان العالقة بها بل يكفي غمسها في وعاء الغسل ونثر ما علق بشعرها من الماء وبهذا يحتفظ شعرها بقوامه دون أن ينثني أو يسقط ويجب مواصلة التلوين من الشمال إلى اليمين بانحدار إلى أسفل مع دوام امتلاء الفرجون خوفاً من أن يجف اللون قبل إتمام تلوين المساحة المراد تلوينها.

وبعد التلوين ينبغي عدم الرجوع إليه قبل أن يجف على الورق حتى لا يتبقع بسبب ترسيب اللون في الأجزاء المبتلة دون الأجزاء التي جفت.

ويحسن تحضير كمية من اللون كافية للعمل حتى لا يتغير قوامه في كل غمسه وحتى لا يتغير نغمة اللون المستعمل في التلوين.

رسم النبات والفراش والأسماك والطيور والحيوانات

علاوة على ما للنبات من فوائد روحية جمة منها تحويل هواء الزفير إلى أكسجين ينقي الدم ويحفظ الحياة ومنها إنعاش النفوس بعاطر الروائح المستخرجة من بعض الأزهار ومنها رفع بخور اللبان في الصلوات التي لو قبلها الخالق لضمن المخلوق سعادته الأبدية وهذا زيادة على ما له من منافع مادية كثيرة منها تحضير الغذاء منه للأجسام والدواء لشفاء الأسقام والخامات لصنع الكساء والأخشاب لإقامة المساكن وعمل الأثاث فإنه مظهر من مظاهر الجمال في الكون وأكبر مساعد على تعليم الرسم ودراسة الألوان وإذكاء موهبة تقدير الجمال في الطبيعة ودراسته كدراسة الفراش والأسماك والحيوان والأطيار شيقة فيها لذة ومسرة وخصوصاً لصغار التلاميذ ولهذا ينبغي على المدرس أن يدبر خطة حكيمة للتعليم يبدأها باصطحاب التلاميذ خارج الفصل بين الحدائق والمناظر الجميلة للتملي من جمال الطبيعة ولدراسة الأشجار من حيث التكوين والإنشاء والاتزان للمقارنة بين الأزهار من حيث الأشكال والألوان وللمضاهاة بينها وبين ألوان العلبة ويا حبذا لو تزودت هذه الدراسة بمعلومات تثبت ما درسه التلميذ في حصص مشاهد الطبيعة وفي علم النبات ومن ثم يرجع التلاميذ إلى الفصل للتمرن

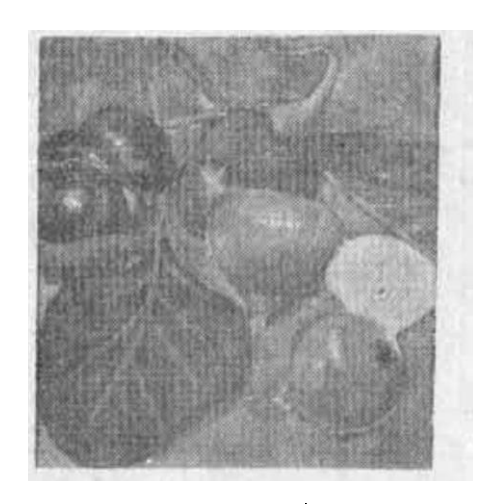


لوحة (١٣)



لوحة (١٤)

على محاكاة ما رآه من النبات بالباستل وبالقلم الرصاص بطريقة التسييح كما ترى في لوحة ٨ وبطريقة الخطوط كما ترى في صورة حنك السبع في لوحة ١٣ وبعدئذ باستعمال الفرجون مباشرة في رسم مبسط لأوراق الأشجار ثم لزهرة مع أوراقها مع لف عرقها بسلك يقومه في كوب به ماء يحفظها من الذبول بسرعة. ومن ذلك يتدرج التلميذ إلى رسم أزهار في زهرية كما ترى في لوحة ١٤ زهرة حمراء شبه عباد الشمس قد وضعت في إناء زجاجي أزرق فوق لوحة من الخشب الممسوح وقد ظهر في تجزيع عروقه النخاعية. وإلى رسم مجموعات من الخضر مع تجسيم الشكل وإظهار الظل والنور كما ترى في لوحة ١٥ مجموعة من الخضروات ظهرت فيها بصلتان بقشرهما البصلي الجميل ونصف بصلة ظهر فيه الأوراق الحرشفية البيضاء وباذنجانة رومي بجوار جزرة برتقالية اللون وطماطمة كالياقوتية الحمراء فوق بضع أوراق من نبات السلق الأخضر.



لوحة (١٥)

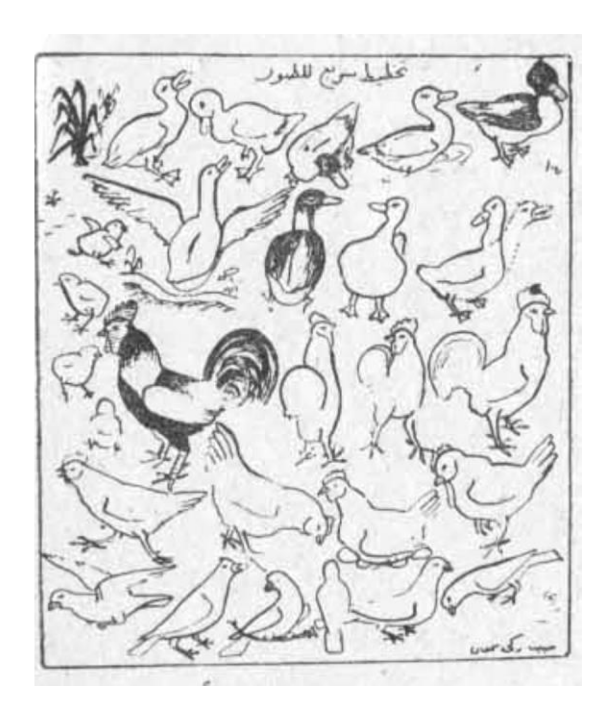
وبعد ذلك يتدرب التلميذ على رسم الأقمشة والملابس والأعلام مع محاولة إظهار ثناياها وتجاعيدها حينما يداعبها النسيم ويلاعبها الهواء وفي صورتي المسيح الموجودتين في باب التصوير مثال لدراسة الأقمشة.



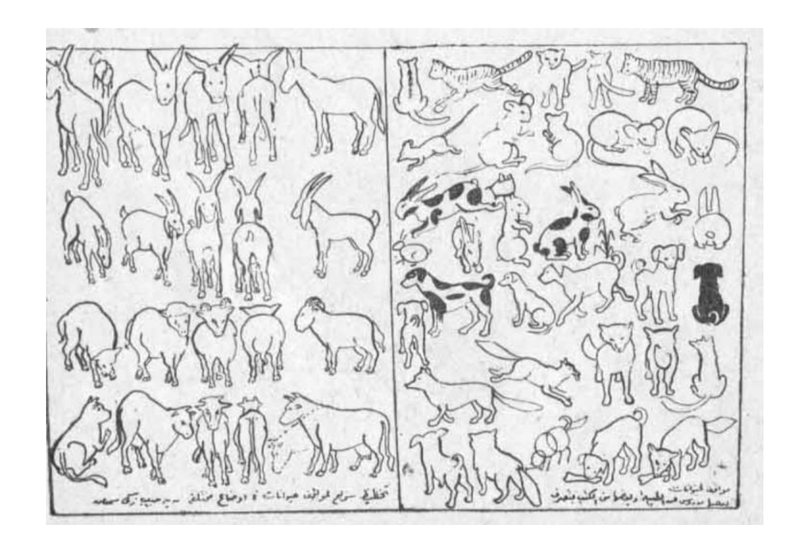
لوحة (١٦)

هذا ولا تصعب دراسة رسم الفراش والأسماك والطيور والحيوانات المحنطة عن دراسة النباتات وفي لوحة ١٦ تجد صورة فوتوغرافية منقولة عن مجموعة من الفراش طبعها بالألوان الأستاذ عطية محمد.

ويا حبذا لو تمرن الناشئ البطئ على رسم كل عضو من أعضائها في أوضاع مختلفة ومن ثم يتدرب على رسمها بكامل هيئتها من المرسوم في الكتب أو من التماثيل والنماذج المحنطة مع الرسم من الذاكرة إلى أن يمهر ويقوى على الرسم من ذاكرته فيذهب إلى حديقة الحيوان لرسم الطيور والحيوانات في أوضاعها المختلفة بالتخطيط السريع كما هو مبين في لوحتي ١٧ و١٨.



لوحة (١٧)



لوحة (١٨)

الرسم من الذاكرة

هو الرسم الذي يتطلب التفكير في تصور أي شكل قد سبق للمرء أن رآه مع محاولة رسمه من الذهن ولا يقل هذا النوع في أهميته عن الرسم من المنظور بل يمتاز عنه بما له من فائدة في تقوية الذاكرة وفي تنمية الملاحظة وفي التدريب على كيفية دراسة الأشياء وفي شحن الحافظة بذخيرة يحتاج إليها المرء وقت الرسم التوضيحي وتصميم الزخرف وعمل الإعلانات ولهذا يهتم الفنانون خاصة بتقوية الذاكرة لأن التصوير الخاطئ والتصميم الناقص يعزي إلى ضعف الذاكرة. ومن الممكن تنمية قوة الذاكرة في الرسم بمواصلة التمرين والدراسة ومباشرة الطرق الآتية:

١- يكلف المدرس تلاميذه بإعادة رسم نموذج من الذاكرة بعد رسمه في درس المنظور.

٢- يعرض المدرس نموذجاً على التلاميذ ويناقشهم في أجزائه وتفاصيله ونسبه ثم يأمرهم بإغماض عيونهم ويرسمه في الهواء على أن يسمح لمن نسى شيئاً منه أن يعيد النظر إليه ويحاول رسمه بعدئذ وهو مغمض العينين على أن لا يسمح المدرس له ثالثة برؤية النموذج لكي يضطر أن يلتفت فيما بعد إلى تفاصيل النموذج من أول وهلة ولكي لا يعتمد على أنه سيراه مرة أخرى وبعد ذلك يرسم التلاميذ النموذج من الذاكرة في كراساتهم بدون تردد.

٣- يعرض المعلم النموذج على تلاميذه لدراسته في أوضاع مختلفة دراسة وافية ثم يطلب منهم رسمه من الذاكرة في وضع يختاره كل تلميذ لنفسه.

٤- يكلفهم بدراسة نموذج خارج المدرسة لرسمه من الذاكرة في الفصل في وضع يعينه هو لهم.

٥- يكلفهم بدراسة عدة نماذج خارج المدرسة ثم يطلب منهم رسم نموذج يختاره من بين النماذج المدروسة.

٦- يكلفهم بدراسة زخارف الأبواب والأسوار الحديدية المحيطة بالمدرسة مثلاً أو يكلفهم بدراسة أي حديقة ثم يطلب منهم رسم ذلك من الذاكرة.

٧- يصف لهم وضع أي شيء رأوه قبلاً ثم يطلب إليهم التعبير عن ذلك بالرسم وهذه الطريقة تقوي عندهم الخيال.

الرسم من الخيال Imagination

هو إخراج صورة يكونها العقل من مجموع مشاهدات مكتسبة من قبل عن طريق النظر ومعنى ذلك أن هذه الصورة هي كما يقول "كتاب التربية الفنية" استحضار مستحدث لصور قديمة وصلت إلى العقل عن طريق الحاسة ولكنها مع هذا تختلف عنها بسبب ما يحدثه العقل فيها من تحليل واختيار وتكوين جديد والخيال قد قسمه الأستاذ حبيب

جورجي بك عميد مفتشي الرسم في كتابه المذكور إلى الأنواع الثلاثة الآتية:



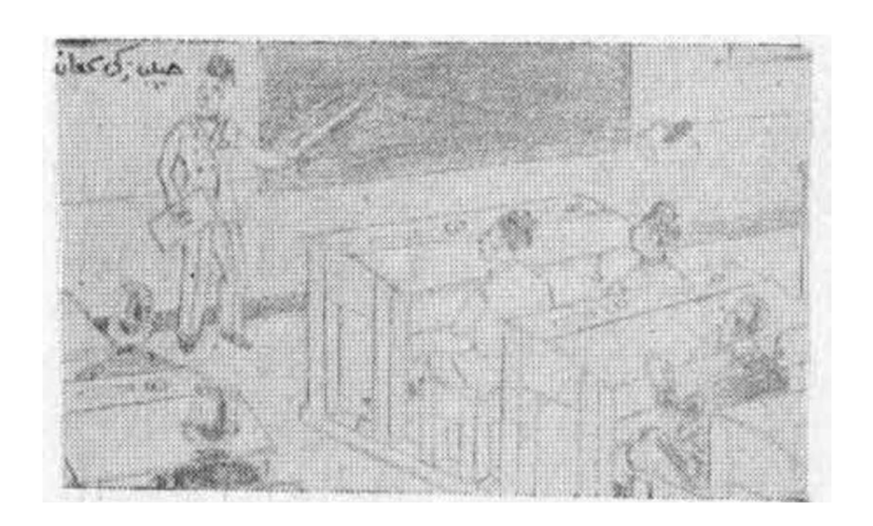
لوحة (١٩)

١ – الخيال الاستحضاري:

وهو أبسط أنواع هذا الرسم وهو أشبه ما يكون بالرسم من الذاكرة ويتعين معه رسم المرئيات كما شوهدت في الماضي ولكنه يختلف عن الرسم من الذاكرة بالحرية في تخيل أوضاع للمرسوم مألوفة وغير مألوفة مع الاحتفاظ بكنه الشيء وبأصول تركيبه وفي لوحة ١٩ نجد مثالاً لذلك.

٢- الخيال المترجم:

وهو تكوين صورة بعد قراءة قصة أو سماع وصف دقيق لتفاصيل مشاهده بحيث لا يترك للتصرف والتغيير والتبديل مجال يذكر كأن يطلب من التلميذ رسم جزء من حجرة بعد وصف محتوياتها وصفاً تاماً قد تناول ذكر الأبعاد ويتجلى هذا النوع من الرسم في الصور التوضيحية في الكتب وغيرها وهذا النوع أيضاً. وإن لم يختلف عن الرسم من الذاكرة فهو يضفي على الموصوف تصوراً لا يطابق الحقيقة ولكنه يقربه منها. أما التمثيل وقت الرسم من الذاكرة فيغلب عليه طابع المحاكاة طبق الأصل الذي رأته العين وعرفت حقيقته وصورة الفصل المرسوم في لوحة مثال لذلك.



لوحة (٢٠)

٣- الخيال الابتداعي:

هو إنشاء صور في تكوينات جديدة كرسم حيوان ليس له وجود تنشأ فكرته من الرجوع إلى مختلف الأحياء الموجودة المعروفة واختيار أجزاء دون غيرها من أجسام هذه الأحياء ثم تجمع الأجزاء المختارة في تكوين جديد وفي تركيب لم يسبق له مثيل وفي تمثال أبي الهول شاهد لذلك.

وتتوقف عملية إنشاء الزخارف إلى حد كبير على هذا النوع من التخيل وفي لوحة ٢١ نرى منظراً زخرفياً لمدرسة قد تكونت محتوياته من أهم محتوياتها إذ نرى السبورة قد وضعت على حاملها كما توضع لافتة المدرسة (اليافطة) فوق بابها العمومي وخففت حدة سوادها بوضع الكرة الأرضية بجوار كتاب مفتوح تنظر إليه عين تلميذ ظهرت أذنه بجوار الجرس لشغفه بسماع دقاته التي تصرفه عن عناء الدرس بينما نجد رأسه قد شغلت في المنظر مكان قبة من قباب (السطح) المنسجمة في شكلها مع شكل السحاب. وفي أعلى الصورة ظهر برج المدرسة يرفرف عليه العلم كما ترفرف الطيور في السماء.



لوحة (٢١)

ومن المفيد إقرار أبسط أنواع الخيال في تدريس صغار الأطفال بمدارس الروضة في العالم دون محاسبتهم على ما هو معقول أو غير معقول لأنهم وقتئذ في طور خيال إن ظهر لنا جامحاً وبعيداً عن الحقيقة فهو من الوجهة الأخرى سائر في طريقه حسب طبيعته ولذا كانت المحاولات في تقييده بوجهة نظر البالغين تصدمه ولا تفيده إلا المسايرة والتشجيع وقص القصص الخيالية المهذبة النافعة ولا خوف على الأطفال من هذا الطور لأن تقدمهم في السن وانتقالهم من مدارس الروضة إلى التعليم الابتدائي سينقلهم من دور الخيال الابتداعي والتعبير بالرموز إلى

دور الخيال الاستحضاري في السنتين الأولى والثانية وإلى دور الخيال المترجم في السنتين الثالثة والرابعة على أن يراعي المدرس البساطة في تدريسه حتى يصل التلميذ إلى مرحلة التعليم الثانوي فيتقدم بطبيعة الحال في رسمه وفي ميله إلى الرسم من المنظور إلى أن يبلغ سن المراهقة وتجري في عروقه الحيوية الجنسية فينتكس ثانياً بنزوعه إلى الرسوم المليئة بالعواطف الجنسية ويميل إلى تمثيل الجمال أينما كان وإلى التعبير عنه بأسلوب تصويري أو زخرفي وهنا يجب على المدرس أن يساير التلميذ على هواه ولكن بحكمة تحفظ عليه صحته وأعصابه عائداً به إلى الخيال الابتداعي وإلى الرسم من تداعي الخواطر بأن يناقشه في الشروط التي يجب أن تتوافر في العروس المناسبة ويطلب منه تكوين صورة جميلة من بين الخواطر التي تداعت في ذهنه ومن الصور التي توالت في مخيلته بهذه المناسبة وسيجد المدرس إنتاجاً مدهشاً وصوراً رائعة لحفلات الخطوبة أو لشراء الحلي ولاختيار الأثاث أو لجمع آلات الموسيقى ومناظر الطرب أو لحفلات الرقص أو لإبراز الطقوس الدينية أو ليالي الدخلة عند الفلاحين أو العرب أو الزنوج وقد يصل به تسلسل الخواطر إلى التعبير عن حفلات (سبوع) المواليد.

ومهما اشتط التلميذ في جموح خياله أو امتدت به سلسلة التفكير فإن قلة درايته في الرسم وضعف كفايته في التنفيذ سيوقفانه عند حد قدرته ولهذا وجب اهتمام المدرس بتدريس تصوير الطبيعة الصامتة والحية بما تحويه من إنسان وحيوان ونبات.

هذه كلمة موجزة عن الرسم من الخيال سنختمها بالكلام عن الأحلام وقت النوم ما دام التصوير الخيالي هو أحلام قد تصورتها الأذهان وقت اليقظة وصورتها الأيدي بعدئذ.

الأحلام وتحليلها على ضوء علم النفس

الأحلام هي مشاهدات يراها النائم ببصيرته وتتكون صور هذه المشاهدات من المرئيات التي يراها الإنسان ببصره وقت اليقظة أو مما يتخيله بمخيلته وقت التفكير، إذ يسترجع من عقله الباطن تصور المرئيات بعد ما رأتها العين بانعكاس الأشعة أولاً على سطحها الظاهري الشبيه بزجاجة ساعة كبيرة التحدب كسطح كرة القدم تقريباً – وبتجمع الأشعة ثانياً ودخولها من فتحة موجودة في وسط القزحية اسمها إنسان العين أو النني – وبانكسار الأشعة ثالثاً في سائل مالح مذاب فيه كلور الصوديوم وموجود داخل العين – وبوصول الأشعة رابعاً إلى غشاء حساس اسمه الشبكية حيث تنطبع صور المرئيات مقلوبة لأن الأشعة المارة بأعالي صور المرئيات تدخل العين مائلة إلى أسفل والأشعة المارة بأسافل تلك الصور تدخل مائلة إلى أعلى مثل حرف إكس (letter X) أو مثل علاقة (في) الحسابية المستعملة في ضرب الأعداد. وبذلك تنطبع على شبكية العين صور أسافل الأشياء المرئية فوق وأعاليها تحت وبذلك تكون مقلوبة.

ومثل العين في ذلك كله مثل الآلة المصورة (الفوتوغرافية) وشبكية العين كمثل الألواح الحساسة التي تنطبع عليها عفاريت الصور (Negatives) وبعد ذلك تنقل الأعصاب هذه الصور المقلوبة إلى المخ معتدلة. وكلما تكررت رؤية هذه الصور نقلها المخ إلى المخيخ فتحفظ

في الذاكرة وتستقر في اللاشعور إلى أن تنسى بعد مدة طويلة أو تنطمس معالمها بعد إرهاق الذهن بكثرة الاستذكار. ومثل الأعصاب في نقل الصور إلى المخ كمثل المذياع (جهاز الراديو) في نقل الصور بالتليفزيون أو مثل الأسلاك التي تنقل الكلام في التليفون وأمثاله.

بعد ذلك يفكر الإنسان في أشياء لها علاقة بتلك الصور التي استقرت في اللاشعور، فيلفظها وقت النوم على هيئة حلم إما مطابقة للمرئيات الأصلية التي نظرها الإنسان بعينيه في اليقظة، وأما مغايرة لها إذ يركب خياله المبتدع أجزاءها تركيباً مزجياً من صور مختلف المرئيات. ومثل هذه التراكيب المزجية كمثل (أبي الهول) المكون من جسم أسد له رأس إنسان. وكمثل (بنت البحر) التي ابتدعها الخيال من جسم سمكة لها رأس امرأة. وكمثل (الغولة) المصورة من شكل الغوريلا بالمبالغة والتهويل. وكمثل (العنقاء) المؤلفة من رأس وحش له شعر امرأة محسور عن قرنين مدببين وجسم زنجي له أطراف ذات أظلاف قوية وذيل شبيه بذيل قرد ينتهي بذيل عقرب.

وكل واحدة من هذه الصور الأربع المركبة قد تكونت على غير حالة أصلية بل استعانت النفس على تكوينها من إدراكاتها الحسية السابقة.

وهي كما ترى تزعج الحالم بها فتقلقه من نومه وقد تسبب له الوهم والتشاؤم والاضطراب في حياته، وربما تورثه الجنون لأن الوهم يضعف تفكيره ويوهن ذاكرته ويرهق أعصابه ولا ينجو من هذه الأخطار إلا إذا ارتاد المتنزهات وتريض في الخلوات ذات الهواء الطلق والمناظر

الجميلة، وتناول الأطعمة المغذية، وخفف وجبة العشاء، ونام بعد أن يستريح من عناء أعماله العقلية والبدنية التي زاولها طيلة النهاء. ويستحسن أن يريح معدته بالصيام الانقطاعي مدة تسع ساعات في يوم معين من كل أسبوع.

أما إذا تناول الإنسان وجبة عشاء ثقيلة وأتخم معدته بالطعام تمددت وضغطت على أسفل القلب فتضعف دقاته وتخل بالدورة الدموية فتؤثر على الصور غير الثابتة في العقل الباطن وتكون منها الأحلام المزعجة. هذا إن لم يتوقف قلب النائم المريض بالضغط الدموي بسبب تمدد المعدة المملوءة بالطعام.

وبناء على ما ذكرناه تكون للأحلام علاقة بحالة الحالم الصحية وبقواه العقلية وقدرتها على تفسير إحساسات الحواس وتأويلها وقت النوم.

أقول هذا لأن الإحساس الواحد تختلف في تفسيره العقول في الحلم وتتباين في تأويله الأذهان وقت النوم، بدليل أن شقيقين وقد وضعا بينهما على الفراش وسادة مقامة على جنبها كالحائط ليتقي بها كل منهما رائحة أنفاس أخيه، فتنقلت أعصاب كل منهما إحساسه بلمس الوسادة وقت النوم إلى مخه، ففسر هذا الإحساس ذهن أحدهما بأن الوسادة هي عروس حلم بأنها نائمة بجواره وهي مرتدية ثياب العرس البيضاء. وأوله ذهن الآخر بأنها حية طويلة حلم بوجودها بجواره على السرير فقام منزعجاً من النوم.

وقد تتناسب أيضاً أحلامنا مع سلامة المظاهر النفسية كالتفكير والوجدان والميول وما يتبع ذلك كالغرائز. إذ أن غريزة المحافظة على الحياة تجعلنا نحلم بالدفاع عن النفس، وغريزة حب الامتلاك تدعونا إلى الاقتناء والعمل على جمع الثروة وما شاكل ذلك، وغريزة الاطلاع تزجينا في الحلم إلى قراءة الكتب أو البحث في سبيل إدراك ما نجهله، وغريزة التناسب تدفعنا إلى الاحتلام به والسعي في مباشرته، وغريزة الاجتماع تزكي في نفوسنا الحلم بوجودنا مع بني جنسنا لأي غرض اجتماعي .. وهكذا نجد للغرائز تأثيراً كبيراً في الأحلام. وأنا كإنسان يميل إلى نظم الشعر كثيراً ما كنت أحلم بنظم قصائد كنت أتذكر معظم أبياتها في اليقظة فأجده سليم المبنى مفهوم المعنى، وليس إقواء في قوافيه كما كنت أحاول بإجهاد ذهني في ذلك وأنا مستيقظ.

وكما أن الأحلام تتأثر بالغرائز والميول فهي أيضاً تتأثر بالعادات لأن العادات هي أساس الغرائز الإرادية، إذ أن العادة هي عمل يتكرر حتى يتأصل في النفس ويصبح غريزة، ولهذا نرى المدمن في العادة السرية كثيراً ما يحتلم بها.

وللأحلام علاقة بالسن إذ أن الحلم الذي يراه الطفل يختلف بطبيعة الحال عن الحلم الذي يراه الكهل، وهكذا العلم والأخلاق أيضاً تؤثران في الأحلام لأن الإنسان على قدر ما يتعلم يشحن ذهنه بما يساعد قواه النفسية على تكوين الصور في المخيلة الواعية وإرجاعها من الذاكرة الحافظة وفيضها من العقل الباطن وقت الحلم أو في غير وقته. ومما لا

شك فيه أن الحلم الذي يحلمه الرجل الرحالة العالم غير الحلم الذي تراه المرأة الساذجة القعيدة في عقر دارها ولم تشاهد غير الموجود من أتفه الأشياء وسقط المتاع. والحلم الذي يراه رجل الآداب غير الحلم الذي يراه رجل العلوم، والحلم الذي رآه الخباز السجين مع يوسف الصديق غير الحلم الذي رآه زميله السقا المظلوم.

وقد تكون الأحلام في الأصل خواطر مكبوتة تفيض من العقل الباطن وقت النوم على هيئة ما نشاهده في اليقظة، والخواطر المكبوتة هي التأثرات الكامنة في النفس المتسببة عن الشعور بالألم أو بالمسرة، وبعبارة أخرى هي انفعالات نفسية يكتمها صاحبها فلا تلبث إلا أن ينفس بها وجدانه عنه بتحويلها إلى علم وقت النوم أو بتصريفها وقت اليقظة على هيئة أفكار معنوية أو تصورات حسية مثل أفكار الموسيقيين والفلاسفة والشعراء ومثل تصورات المصورين والمزخرفين وأرباب الفنون على اختلاف أنواعها. وقد تفيض الخواطر المكبوتة على هيئة رؤى يراها الرائي وقت الغفوة والسنة أي النوم الخفيف. ورؤية بطرس الرسول للمائدة السماوية هي نوع منها وقد لا تختلف عنها رؤى دانيال النبي وبولس الرسول ويوحنا اللاهوتي وغيرهم.

وقد تكون هذه الخواطر المكبوتة آمالاً يرثها لا شعور الخلف عن لا شعور السلف حتى تتحقق بأي كيفية. أو آمالاً شخصية يترجى صاحبها تحقيقها من آن إلى آخر فتستمر كامنة في النفس حتى يلفظها العقل الباطن أي اللاشعور في صور أحلام إن لم تتحقق في اليقظة. ومن النوع

الأول حلم (ال طغرل) جد الأتراك العثمانيين إذ كان يترجى أن يكون امبراطوراً يحكم شعوب الأرض. ولما تمكنت هذه الخواطر من نفسه حلم بأنه نام على الأرض وخرجت من قلبه شجرة أخذت تنمو حتى ظللته وظللت الأقاليم المحيطة به وقد ورث أحفاده عنه آماله هذه وحققوها بمحارية الشعوب المجاورة وبتكوين الإمبراطورية العثمانية.

وقد تكون الأحلام صنيعة مكملات النقص تبلغها النفس في المنام بعد أن تعييها الحيل في اليقظة على التستر بها عن نقائصها الذاتية أو البيئية المنسوبة إلى الأسرة أو الوطن بوجه عام. وقد لا تتم مكملات النقص بالأحلام ولكنها تتغلغل في صميم النفوس فتدفع من شعر بخموله إلى التظاهر، وتلجئ الفقير إلى السرقة ليتمكن من التظاهر بالغنى، وتزجى المغيظ إلى الإجرام لينتقم، وتملأ الحر بروح الجهاد والعمل على تنفيذ مآربه مثل أحمس الذي طرد الهكسوس من مصر ومثل جان دارك التي حررت فرنسا من الاستعمار الإنكليزي.

وقد تكون الأحلام وحياً من الروح القدس يتجلى في نفس الرائي لأمر يريد الله أن يعلمه به أو يجريه على يديه، كما كانت الحال مع يوسف الصديق الذي رأي الشمس والقمر والنجوم ساجدة له في الحلم إشارة إلى خضوع أفراد أسرته له، ومثل يوسف النجار الذي حلم بالهروب مع باقي الأسرة المقدسة إلى أرض مصر ليبعد يسوع وقتما كان في مهده عن شر هيرودس قاتل الأطفال، ومثل الملك قسطنطين الذي حلم برؤية الصليب ليظهره الله على يدي والدته الملكة هيلانة بعد ما

تبحث عنه في أورشليم. ومثل الملك نيوخذ نصر الذي أراه الله حلماً أعجز فلاسفة المملكة عن تفسيره لكي يمجد النبي دانيال بتأويله وبشرحه للملك. ومثل فرعون الذي أراه الإله حلماً عن سني القحط لكي يمجد يوسف الصديق بتفسيره وتدبير شئون المملكة بمعونة الله القائل: "ويحلم شبابكم أحلاماً ويرى شيوخكم رؤى" ...... إلى آخر الآية المذكورة في رسالة بطرس الرسول.

وللأرواح الشريرة داخل في الأحلام لا يقل عن تداخل الملائكة النورانية في تشكيلها بأمر الله مع أتقيائه بطريقة ربما تكون بنقل صور روحية للمرئيات المراد رؤيتها وعرضها على روح النائم كعرض شريط السينما على المتفرج؛ أو بمصاحبة روح الحالم نفسه إلى حيث يشاهد تلك المرئيات كما يكلف المنوم المغناطيسي روح وسيطة بالذهاب إلى رؤية المطلوب رؤيته؛ أو بدبيب الروح المرسل وبسريانه بين مفاصل النائم وأمخاخه حتى تصل إلى اللاشعور وتؤلف من الصور الموجودة فيه موضوع الحلم المراد – وكيف لا نصدق بهذا وقد قال الكتاب المقدس إن الشيطان يمكنه أن يظهر بشكل ملاك نور دليلاً على أن الأبالسة يمكنهم أن يعملوا عمل الملائكة النورانية. وفي رسالة يهوذا الرسول تنويه عن المحتلمين الذين يدنسون ثيابهم بالأحلام الشيطانية التي غالباً ما تتسبب عن تعلق الحالم بها بفكره أو بنظره أو بقوله أو بفعله.

وختاماً أقول أنه يمكن لأي إنسان أن يحلم أحلاماً سماوية سعيدة كأحلام تلاميذ الرب القديسين إذا رعى جسمه بالصحة، وراعى نفسه

بالعلم والتدين أو إذا وافقت آماله وأمياله مشيئة الله الطاهر العلام. وليس بكثير على المرء أن يعني بصحته ويتعلم ويتدين ليهيئ نفسه لرؤية أحلام سماوية كهذه تنبهه في المنام إلى ما قد يحدث له في اليقظة من شرور ومكايد ليخلص نفسه منها. يضاف إلى ذلك ما لهذه الأحلام من تأثير في فلاح المتفائل بها ونجاحه في الحياة بسببها.

تصوير الأشخاص وغيرهم

لا يختلف رسم أطفال أي أمة عن رسم أمثالهم في أي أمة أخرى، إذ تكاد تكون رسومهم متشابهة كأنها رموز قد اصطلحوا على وضع أشكالها وعلى تعميمها بينهم في العالم أجمع، فالطفل في مدارس الروضة سواء أكان شرقياً أم غربياً، زنجياً أم مصرياً يرسم رأس الإنسان مستديراً وقلما يهمل رسم الأعين، في حين أنه كثيراً ما يهمل رسم الأنف والفم وبالتدريج يأخذ في رسم الوضع الجانبي للجسم وأعضائه بأن يبدأ برسم القدمين في هذا الوضع ثم الرأس ثم يرسم الجذع معبراً عنه أولاً برسم مستقيمين متوازيين بينهما خطين متقاطعين مثل حرف إكس (letter X) وفي الآخر يرسم خطين قائمين يرمز بهما إلى الرجلين وفي نهايتهما يعبر عن القدمين برسم خطين صغيرين متعامدين أو برسم بيضاويين أو دائرتين أما الذراعين فيرسمهما خطين مائلين إلى أسفل أو أفقيين يخرجان من تحت الكتفين وأخيراً يرسمهما خطين متصلين بهما ومحاذيين للجذع في وضعه الرأسي وفي نهايتهما يرسم الأصابع متشععة بأي عدد أو برسم دائرة يعرج نصف محيطها ليعبر بها عن الكف والأصابع.

والطفل بطبيعته يمكنه أن يفرق بين الوضع الرأسي لجذع الإنسان والوضع الأفقي لجذع الحيوان إذ يرسمه هكذا وينزل منه أربعة قوائم وذيلاً عمودياً على الأرض.

ولا يرسم من الأشجار إلا جذعها رأسياً متوجاً بفروع يعبر عنها برسم

خطوط منحنية وأخيراً يبين فيها الأوراق والثمار وهو لا يعرف في كل ذلك أي ملاحظة أو مقارنة أو تمييز ولا يخضع لقواعد المنظور جهلاً بها ولكنه مع ذلك محب للعمل مندفع إليه اندفاعاً من تلقاء نفسه (automatism).

أما في السنين الأولى والثانية من المدارس الابتدائية فيمثل التلميذ أي شخص أو أي حيوان بمربع أو بمستطيل من الورق الملون متصل به أطراف فاقدة الحركة ثم يتدرج في التحسن حتى يمكن للطفل أن يعبر عن حركات الإنسان في حالة الوقوف والمشي أكثر من تعبيره عن الجلوس ويكاد يجيد في الحيوان حركة الوقوف والمشي أكثر من الجري أما جذع النبات فيمثله بشريط من الورق تتفرع منه قصاصات رفيعة طويلة يعبر بها عن الفروع. وإذا رسم بالقلم الرصاص أو الباستل فإنه يحدد رسومه بخطوط محيطية (outlines) ويترك داخلها فارغاً دون أن يلاحظ النسب وقواعد المنظور بل ينتج كل رسومه حسب سابق معرفته لمحتوياتها ولا يرسمها كما هي أمام عينيه مهما أمعن النظر فيها.

وفي هذه المرحلة يحاول أن يرسم الأشياء كاملة إذ يرسم الشخص الراكب على الحصان مثلاً مبيناً رجليه ويديه ولو كان في وضع جانبي.

ويرسم المنازل مظهراً لك ما بداخل حجراتها من محتويات ولكنه لا يحسن وضعها بل يرسم الخوانات مائلة والكراسي مقلوبة كما لو كانت ملقاة على الأرض وهذا راجع إلى ضعف قوة التجميع هذه (Synthesis) والأضعف من ذلك هو تمثيله لحركات الأيدي والأرجل إذ يطيلها في خطوط مستقيمة أو منحنية للتعبير عن حالات الأخذ والعطاء والركل والرفس.

أما في السنتين الأخيرتين من التعليم الابتدائي فتتحسن رسومه وتتقارب من الحقيقة ويبتدئ يهضم مبادئ قواعد المنظور وهنا يحسن بالمدرس أن يحاول تبيان أغلاط التلميذ ويقرب وجهة نظره إلى الحقيقة.

وعلى الرغم من جميع ما ذكرناه ينبغي لنا أن لا نحتقر رسوم الطفل لأنها عنوان شخصيته وأصدق تعبير عن نفسيته ومخاوفه وآماله اللاشعورية Unconscious hopes إذ أن الطفل يجنح إلى تصوير التأثيرات الحادثة في نفسه أكثر مما يحاول تصوير الأشياء على طبيعتها ودائماً يرسم الوضع الواضح المبين لمحتويات الجسم ولهذا كانت صورة أكمل في التعبير والدلالة من صور الفوتوغرافية أو الصور التي يعملها البالغون في الفن (Adults) هذا على أن إقباله على العمل مع اندفاعه إليه من تلقاء نفسه يكسبه حرية مطلقة تساعده على التعبير بغير خوف من الوقوع في الخطأ وبدون أن يخشى الانتقاد ويعاونه على التفنن بلا كلفة أو عناء – الأمور التي يعانيها الكبار ويعملون ألف حساب لكل خط يرسمونه.

ومن الغريب أن أعاظم أساتذة الفن في العالم يقدرون قيمة رسوم الأطفال بقدر خلوها من عمل الكبار أو تدخلهم، أو تأثيرهم على الطفل وعلى أفكاره لأن الفن لا يأبه بالمهارة في الرسم وبالنقل الأمين طبق الأصل أو بمطابقة الرسم للطبيعة ولكن الفن هو الابتكار الشخصي ورسم الطفل من تلك الناحية مستند ثمين (precious document) لا ينبغي أن نصححه بأيدينا أو نقيسه بالنسبة لمستوانا أو ننتقده بوجهة

نظرنا بل يجب علينا أن ننظر إليه بعين نزيهة تقدر قيمته بالنسبة لصاحبه وبالنسبة لمداركه ولقدرته على تنفيذها.

وعلى المعلمة في فصول الروضة أن تتساهل معه إذا عبث بنظام الفصل حتى لا تشل حركته أما في التعليم الابتدائي فينبغي على المعلم أن يعتبر تلاميذه كزملاء له في العمل يتعلم منهم ويصغي إلى آرائهم ويسمح لكل منهم أن ينتقل من مكانه كلما أمكن ذلك ليزور زملاءه ويطلع على أعمالهم.

وقصارى القول يعدهم لمرحلة التعليم الثانوي حيث ينتجون صوراً مقبولة تحدوها الملاحظة وجمال الإنشاء وضبط النسب لأنهم في هذه المرحلة ينشأ فيهم الميل إلى الرسم من المنظور حرفياً ولهذا يجب على المدرس أن يهتم بالتصوير ويتقدم معهم في قواعد المنظور متتبعاً الخطوات الآتية:

(١) عرض صور للفنانين والنقل عنها.

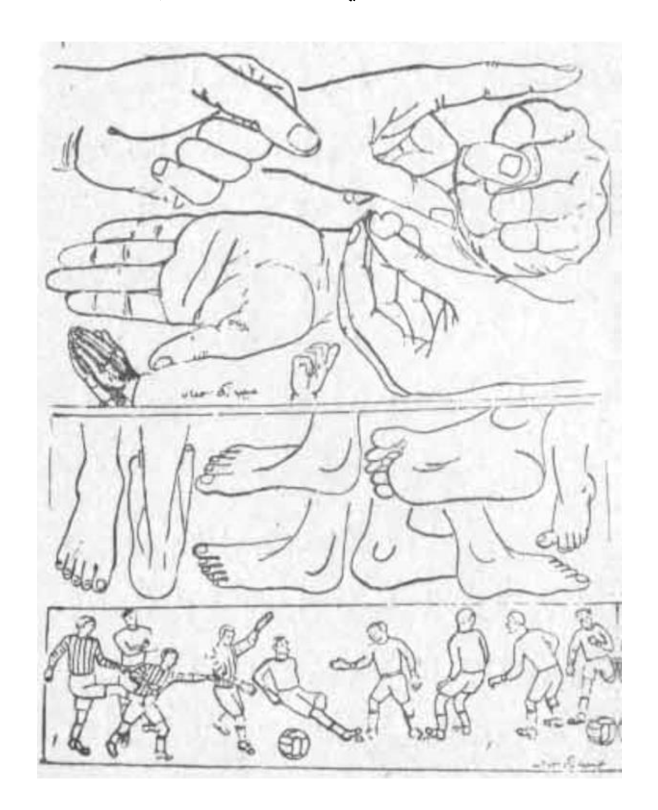
(٢) استعمال الفوتوغرافية في التقاط المناظر على أن تنتقد لمعرفة المحاسن والتزود منها ولإدراك المساوئ والابتعاد عنها.

(٣) إنشاء صور وتكوين مناظر لرسم توضيحي بجمع أجزاء المنظر من مختلف الصور المقطوعة من المجلات وغيرها.

(٤) رسم خيال الظل (Silhouette) بأن يقف شخص أمام نور قوي

ويرسم التلاميذ ظله الساقط على الأرض أو على الحائط.

(٥) رسم عرائس لها أطراف تتحرك حسب المطلوب ويستحسن التمرين على رسم الأعضاء كل عضو على حدة كما نرى في لوحة ٢٢ للتمرن على الأوضاع المختلفة والحركات المتباينة مع استيعاب النسب ورسم الأشخاص الأحياء في أوضاع بسيطة أولاً بالتخطيط السريع ثم يتدرج التلميذ في الإتقان وتبيان التفاصيل (details) كما نرى في نفس اللوحة ما يشاهد من حركات في مباراة كرة القدم.



لوحة (٢٢)

نسب الأجسام البشرية:

كلنا يعلم أن أجسام البشر مختلفة الطول متباينة العرض وأن كل جسم يتغير تبعاً لأطوار حياته ومع هذا فإن الأجسام الكاملة النمو الخالية من الشذوذ والعاهات غالباً ما يكون طول كل منها متراوحاً بين ٧ أمثال وثمانية أمثال طول الرأس فيها. ومن الغريب أن طول الإنسان من سمت رأسه إلى أخمص قدميه يساوي عرضه وقتما يمد ذراعيه على استقامتهما أفقياً كما هو موضح في لوحة ٢٤ المرسوم فيها فراش صالة الرسم حيث ترى على السبورة إنساناً قد قسم طوله إلى سبعة مناطق كل منها يساوي طول الرأس من السمت إلى ما تحت الذقن.



لوحة (٢٣)

ثانياً: طول طفل مقسم إلى أربعة مناطق كل منها يساوي طول الرأس ثالثاً رأس إنسان من أول منبت الشعر على الجبهة إلى أسفل الذقن ويساوي طول اليد من أول المعصم إلى أعلى طرف السبابة وهو مفرود ويساوي أيضاً طول القدم بدون أصابعه وإذا أمعنت النظر وجدت أن وجه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أجزاء متساوية أولها من منبت الشعر على الجبهة إلى الحاجبين وثانيها من الحاجبين إلى أسفل الأنف وفيه توجد الأذن وثالثها من أسفل الأنف إلى أسفل الذقن حيث تنتهي المنطقة الأولى في جسم الإنسان والمنطقة الثانية تنتهي عند عظمة القص بين الثندوتين أي النهدين وفي منتصف هذه المنطقة يوجد الكتفان أما المنطقة الثالثة فتمر بالخصر وتنتهي عند السرة والمنطقة الرابعة تنتهي عند ملتقى الفخذين وبعد ذلك بقليل تنتهي أطراف اليد، وفي



لوحة (٢٤)

المنطقة الخامسة والسادسة والسابعة تجد الفخذين والركبتين والساقين لغاية رسغ القدم (بز القدم) ونصف المنطقة الأخير من الرسغ إلى أخمص القدم.

وغالباً نجد المسافة بين الكتفين تزيد عن طول منطقتين بقليل. والمسافة بين أطراف الأصابع إلى الكوع تزيد قليلاً عن المسافة من الكوع إلى الكتف. والمسافة من أعلى الفخذ إلى مفصل الركبة تساوي المسافة من المفصل إلى أسفل القدم. وطرفا العينين القريبين من الصدغين يصنعان زاوية قائمة رأسها عند أسفل الأنف. وحوض الأنثى أوسع من حوض الذكر. وخصر المرأة أرفع من خصر الرجل. وعضلاته أبرز من عضلاتها.

التصوير الفوتوغرافي

يمتاز هذا النوع من التصوير باليد بامتيازات كثيرة منها:

١- ما من كتاب يحتاج إلى صور توضيحية إلا وللفوتوغرافية دخل فيه وخصوصاً عند الزنكوغراف.

٢- مطابقة الصور الفوتوغرافية للطبيعة بشكل أضبط من التصوير باليد.

٣- لا يعاني المصور الفوتوغرافي في رسم منظر من الطبيعة بقدر ما يعانيه في تصويره باليد.

٤- قد يستغرق المصور باليد أياماً وأسابيع في رسم منظر يمكنه أن يلتقطه من الطبيعة في أسرع من لمح البرق ولا يبقى عليه غير وضع

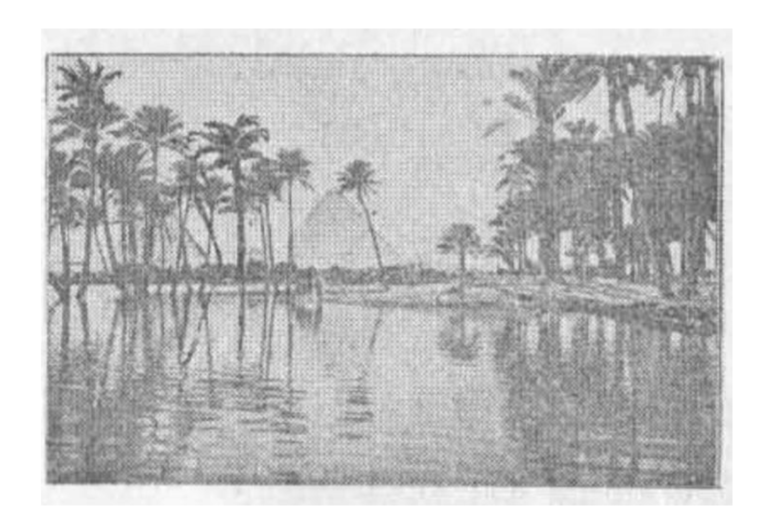
الفيلم في ماء مذاب فيه بعض الأملاح لتثبيت المنظر في مدة لا تتجاوز بضع دقائق وبذلك يكون التصوير الفوتوغرافي في أسرع وأوفر في الوقت.

ولا يكلف التصوير الفوتوغرافي نفقات كثيرة في تصوير منظر كما يكلف التصوير باليد ولو حسبنا ثمن الفيلم والورق الحساس وسائل التحميض لوجدنا ذلك يقل كثيراً عن نفقات الخشب أو اخيش (Canvas) مضافاً إلى ذلك أثمان الألوان والزيت والنفض والسكاتيف وما إلى غير ذلك.

وما دام للتصوير الفوتوغرافي كل هذه الفوائد يكون إنتاجه أكثر وأرباحه أوفر ومع ذلك فإن المتعة التي يشعر بها المصور طيلة المدة الطويلة التي يستغرقها في التصوير باليد من الطبيعة لهي أعظم عند الكثيرين من امتيازات التصوير الفوتوغرافي المذكورة علاوة على ما للتصوير باليد من قيمة فنية وإن خاماته لا تضر بالأظافر والعيون كما تضر أحماض التثبيت في التصوير الفوتوغرافي وما يتطلبه الطبع من الحبس في الظلام.



لوحة (٢٥)



لوحة (٢٦)

وفي لوحتي ٢٥، ٢٦ ترى صورتين فوتوغرافيتين لأهرام الجيزة إن أمعنت النظر فيهما تجد أولاً – أن الأهرام وهي رأس الموضوع في الصورتين قد ظهرت في الأرضية الخلفية كشيء ثانوي وهذا عيب إذ ينبغي أن تحتل الوحدات المهمة في الصورة مكانها اللائق في الأرضية

الأمامية. ثانياً – خط الأفق يكاد يقسم الصورة في لوحة ٢٦ إلى قسمين متساويين وهذا عيب آخر قد خلت منه إلى حد ما، الصورة في لوحة ٢٥ التي يمتاز منظر السماء فيها بسحب بيضاء ظهرت في توزيع جميل وتباين له فنيته.

ثالثاً – وجود الأهرامات الثلاثة في صف أفقي واحد في لوحة ٢٥ عيب لم يخفف حدته إلا اختلاف ارتفاعاتها.

رابعاً – امتلاء يمين الصورة بالنخيل في لوحة ٢٥ وخلوها منه جهة اليسار جعل وحداتها على هيئة مثلث له اعتباره في الفن بينما تجد أن امتلاء الصورة الأخرى بالنخيل في جانبيها جعل فيها تماثلاً عير مستحب.

ومع هذا فإن الصورتين مؤثرتين ولا يعرف الفن قواعد ثابتة لترتيب الوحدات في الصور ولا يوجد أصول موضوعة للحكم على محاسن المنظر أو معايبه إنما كل شيء يرجع إلى الذوق الشخصي وقد يختلف اثنان من أعاظم أساتذة الفن في تقدير صورة واحدة.

الزكوغرافEtching

هذا نوع من الفنون مفيد جداً في تهيئة الصور التوضيحية للطباعة ويختص بالحفر على المعادن ويعتمد على التصوير الفوتوغرافي في اعتماد الأبنية على أساسها إذ توضع الخطوط والصور المراد عمل أكليشهاتها أمام عدسة آلة فوتوغرافية بها زجاج مطلي بمادة حساسة ويسلط على الصور نور قوي جداً فتنطبع أشكالها على الحساس وبعدئذ

توضع هذه الأشكال في الشمس فوق ألواح من النحاس أو الزنك المطلي بالمادة الحساسة فتنطبع عليها. وأخيراً توضع ألواح المعدن التي انطبعت عليها الأشكال في أحماض تتفاعل مع المواضع الخالية من الخطوط المطبوعة فتحفرها، وتترك خطوط الشكل بارزة.

وهناك طريقة ثانية للحفر بالزنكوغراف تمرر فيها شبكة عند التصوير الفوتوغرافي لتحفظ نغمات اللون في الصور على حالها من حيث التدريج من الغامق إلى الفاتح وبعد وضع هذه الأكليشهات في الأحماض تظهر كأنها غير محفورة لدقة الحفر فيها وقد لا تظهر أشكالها للعين المجردة إلا بوضع مسحوق (pouder) أبيض في مسامها.

هذا وصف عاجل لأعمال الزنكوغراف ومنه تبين أن هذه الصناعة لا تخلو من الأضرار المذكورة في التصوير الفوتوغرافي بسبب استعمال الأحماض علاوة على التعب الناجم من نشر المعادن وقطع الأخشاب في صنع الأختام وغيرها وعلى كل حال فأرباحها مناسبة ويكفيها فخراً أنها صناعة صك النقود وعمل أكلشيهات الأوراق المالية .. ولولاها في سبك الحروف الهجائية للمطابع لما انتشرت العلوم والمعارف بهذه الحالة.

الرسم التوضيحي

يعتمد الرسم التوضيحي على دراسة جميع فنون الرسم من المنظور والذاكرة والخيال ودراسة الألوان والظل والنور والتصوير الفوتوغرافي واليدوي وما إلى غير ذلك كالرسم الزخرفي والهندسي وغيرهما.

وله فوائد معنوية ومادية لا تنكر وخصوصاً في فن الإعلان للدعاية وترويج التجارة وتبسيط ما غمض من العلوم والمعارف وفي رسوم هذا الكتاب عينات وافية من الرسم التوضيحي نضيف إليها لوحة ٢٧ حيث نرى المصور قد عبر عن حادث حدث للسيد المسيح مع تلاميذه في ليلة خميس فرسم لهم وضعاً قد وصفه الوحي في الإصحاح ١٤ من إنجيل مرقص قائلاً: (وجاءوا إلى ضيعة اسمها جتسيماني فقال لتلاميذه اجلسوا ههنا حتى أصلي ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب وقال لهم: اجلسوا ههنا واسهروا ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض وكان يصلي .. ثم جاء فوجدهم نياماً فقال .. اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة).



لوحة (٢٧)

هذا منظر الصورة التي صورتها أنا بالألوان المائية بحجم ٥٠ × ٦٥ سم منقولة طبق الأصل عن صورة صغيرة من تصوير مصور أجنبي – وقد أهديت المكبرة إلى كنيسة مار جرجس بجمعية الإيمان بجزيرة بدران بشبرا فنشرتها مجلة الإيمان في أبريل سنة ١٩٤٧.

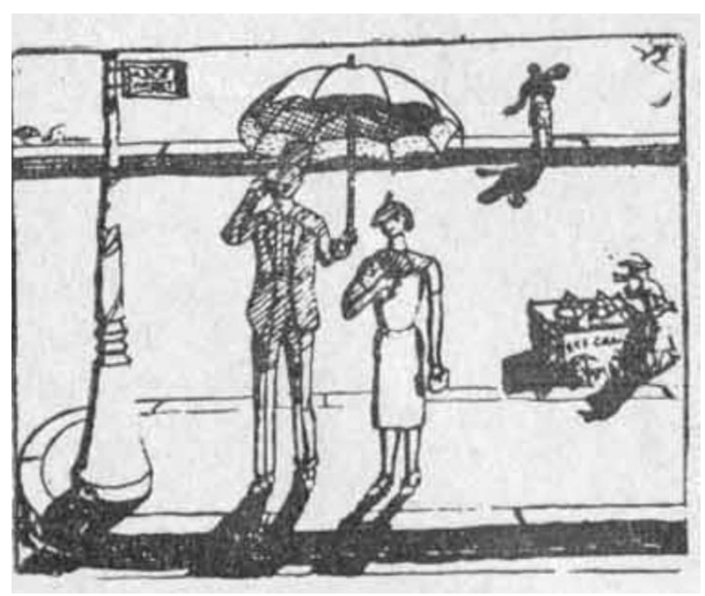
وفي لوحة ٢٨ نجد مصوراً آخر قد عبر عن نفس هذا الحادث الذي عبر عنه أيضاً الوحي في الإصحاح ٢٢ من إنجيل لوقا قائلاً عن المسيح:



لوحة (٢٨)

(وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه أيضاً تلاميذه ولما سار إلى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى .. ثم قام من الصلاة فوجدهم نياماً من الحزن فقال لهم لماذا أنتم نيام قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة).

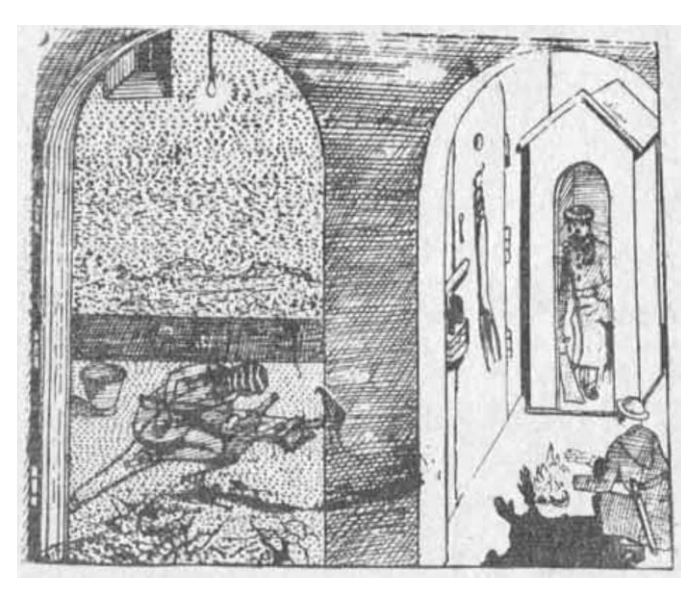
وقد كبرت أيضاً هذه الصورة بالأكوريل من صورة أخرى أجنبية صغيرة إلى ٥٠ × ٦٥سم وأهديت المكبرة إلى دير العذراء الشهير بدير السوريان خلف الكنيسة البطريركية المرقسية الكبرى بالقاهرة. فنشرتها جريدة الأنوار في أبريل سنة ١٩٤٧ علماً بأني قد تصرفت هنا في الألوان ومنظر الأرضية.



لوحة (٢٩)

وفي لوحة (٢٩) نجد منظراً يمثل الصيف ومشاهد الحر وقد ظهرت

فيه محطة ترام وقفت عندها امرأة تروح عن نفسها بمروحة وتستظل مع رجلها بمظلة أمسكها بيسراه وراح يمسح عرق جبينه بمنديل في يمناه وفي الأرضية الخلفية قد ظهر اثنان من بائعي المثلجات أحدهما يدفع أمامه عربة الجيلاتي بيده اليسرى وينفج في الصور (النفير) الذي أمسكه بيده اليمنى بينما الثاني قد وقف على الطوار يرش قدر العرقسوس من إبريقه في يده وينصع الصاجات بيده الأخرى وقد ارتمت من الشمس ظلال الجميع على الأرض.



لوحة (٣٠)

وفي لوحة ٣٠ نجد منظر يعبر عن الظلم والاستبداد (Tyranny) وقد ظهر فيها رجلان من خفر الليل يرتديان معاطف الشتاء ولف أحدهما لفافة حول رقبته من شدة البرد واستكن في كشكه الخشبي ممسكاً بندقيته وقباله قد جلس زميله القرفصاء يصطلي ناراً أشعلها في موقد

وأمامهما باب مقفل بقفل حديدي ومعلق بجواره سوط بثلاثة ألسن بينما نجد في الغرفة الثانية امرأة مسكينة نحيلة الجسم عارية البدن مقيدة اليدين والرجلين بالأغلال والسلاسل الحديدية. ركعت لترضع طفلها المطروح على الأرض عرياناً يقاسي البرودة ويعاني الرطوبة لا لشيء جناه غير وجوده مع أمه التي جثت تحنو عليه كما يحنو عليها مصباح الغرفة بنوره الخافت الذي يوجس الخيفة أكثر مما يبدد الظلام والوحشة وأمامه شباك مفتوح يدخل البرد مع ظلام الليل الدامس من خلال قضبان حديدية لا تلين لمظلوم وفي ركن السجن جردل لا أعرف لماذا بقي موضوعاً بجوار السجينة المعذبة ألتشرب منه أو لتبول فيه؟ وكيف يمكنها هذا وهي مقيدة اليدين والرجلين؟ أنا لا أدري ولذا أترك هذا (الموضوع) لأرفه عن القارئ الكريم بدراسة الرسم الزخرفي.

رسم الزخرفة

الفن كائن حي لم يترك أي وطن إلا واستوطنه وحل في أرضه حلول الروح في البدن ولم يترك أية أمة إلا وتربع على عروش قلوب أبنائها باختيارهم ومحض رضائهم إعزازاً له واعتزازاً به حتى الشعوب الضاربة في المجاهل والكهوف فقد ظهر بأنهم عرفوا الزينة والتزويق ومارسوهما حتى فطنوا إلى معرفة بعض أصول الزخرفة واعتزوا بها اعتزازاً أودي بهم إلى تحمل الآلام من وخز إبر الوشم في سبيل التنافس في تزويق أجسامهم به كما أدت بهم الحال إلى زخرفة أدوات معيشتهم كالأسلحة والأواني الفخارية والسلال وما إلى غير ذلك.

ومن التاريخ نعلم أن المصريين هم أول شعب أوجد الزخرف وعنهم نقل الكلدانيون وغذوا به الأشوريين والبابليين والفارسيين والفينيقيين والإغريق والرومان والبيزنطيين ومن ثم إلى بقية شعوب أوربا – أنا لا أقول هذا تحيزاً للوطن أو تعصباً لجدود ولكني أسوقه للقراء نقلاً عن العلامة الأثري الكبير السير فلندرس Sir. W. M. Flinders petrie في كتابه الفن الزخرفي المصري (Egyptian decorative art) إذ قال: "إن العالم مدين بزخارفه للمصريين الذين أوجدوا أول مدنية على الأرض".

وقد أمن على قوله العلامة الإنكليزي جون رسكن (john Rushin)في كتابه (The Bible of amiens) إذ قال: لقد كانت مصر في غير أدنى شك أم العلوم الهندسية والفلك والعمارة التي لقنتها لجميع الشعوب والأجيال ولقد كانت أيضاً بما حباها الله من مادة وفن سيده العالم في فنون الأدب.

ولم يقتصر الأمر على اعتراف هذين العالمين بل أن فريرو (Ferrero) المؤرخ الإيطالي قال في كتابه (ارتقاء رومة) إن الفنون والصناعات المصرية انتقلت بعد الفتح الروماني من الإسكندرية إلى رومة على أيدي العمال المصريين.

ولقد ورث الأقباط فنون آبائهم بعد أن انقرضت الديانة الوثنية من مصر وحلت محلها الديانة المسيحية فاتجه الفن إلى طور جديد كان وللأسف للبيزنطيين وصاية عليه في مصر بعض الوقت ثم نشط الأقباط نشاط الأحرار ونزعوا عنهم تلك الوصاية واستقلوا بفنهم استقلالاً شهد

له العلامة البيرجايية (Albertgayet) في كتابه (الفن القبطي) إذ قال: إن هذا الفن صارت له شخصية قائمة بذاتها بعد أن نزعت عنه وصاية الفن البيزنطي.

ولما فتح العرب مصر دخل الفن في طور آخر يتجلى فيه الأسلوب الزخرفي وهندسة البناء واستعملت فيه الآيات الكتابية والأشكال الهندسية والفنان القبطي في كل ذلك هو الذي كان سائداً حتى أن مسجد الكعبة قد سممه مهندسان أحدهما قبطي والآخر يوناني كما يقول المسيوباسكال كوست (pascalcoste) في كتابه (L'architecturearabe) انظر كتاب تاريخ الأمة القبطية أيضاً صفحة ٢٢٧.

ولقد أخرجت لنا اليد المصرية فناً جميلاً سهل المأخذ نماذجه العذوبة والمرونة وخفة الروح وسلامة الخيال كأنما للوحي والإلهام سر في تكوينه على حد تعبير الأستاذين أحمد يوسف ويوسف خفاجي في كتابهما (الزخرفة المصرية القديمة). ومن يتصفح هذا الكتاب أو يطلع على كتاب الزخرفة التاريخية للأساتذة واسيلي حبيب أميرهم ومحمد توفيق ورضا حسين يجد أقوى مصداق وأبدع الشواهد.

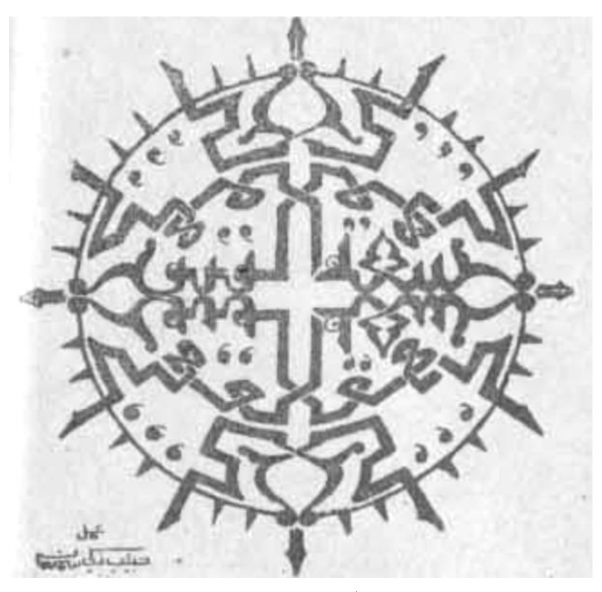
ومهما أشدنا بالزخرفة المصرية أو بغيرها فالفضل فيها يرجع إلى الطبيعة فهي نعم المعلم كما يقول الإنكليز nature is the best teacher ومن الطبيعة قد اقتبس الإنسان الأول وحدات زخارفه إذ عرف وحدة النقطة من الندى والمطر. والخط من جذوع الأشجار ومنها تعرف أيضاً على الخط الرأسي والمائل والأفقي أما المنكسر فقد عرفه من موج

البحر بدليل أن المصريين كانوا يعبرون عن الماء بخط منكسر. والخط المموج اتخذوه عن الكثبان الرملية وسلاسل التلال والخط المنحني من الهلال والدائري من البدر والفواكه والخطوط الحلزونية تقلوها عن الأعاصير والزوابع.

ولقد عرف المزخرف التماثيل من الكائنات الحية لتشابه النصف الأيمن بالنصف الأيسر فاستعمله في تصاميمه his pattern designs كما ترى في لوحة ٣١ تماثلاً أساسه النعامة. ولقد عرف التكرار من أوراق الأشجار على فروعها ومن تجاور حبيبات الفول والبسلة والخرنوب وغيرها في قرونها. ولقد لاحظ التنويع من الحجوم والمسافات من تباعد الأشجار بعضها عن بعض ومن تباين ثمارها حتى الجدل والتضافر (Interlacing) قد عرفه من تداخل الفروع في الغابات ولهذا نجد العرب بعد أن زخرفوا العقال والعباءة وخرج الجمل في البادية بوحدات بسيطة أبدعوا في الزخرف وقت أن سكنوا الوديان المزروعة ورأوا الحدائق والغابات فصمموا منها زخارفهم ومخطوطاتهم على النحو المبين في لوحة ٣٢ بدائرة زخرفية مكتوب فيها بالخط الكوفي (أشعة الفنون) وبعد أن اتخذ المزخرف وحداته من الطبيعة على حالتها الأولى تناولها تدريجياً بالتبسيط والتحوير على النحو الذي تراه في الديك شكل ٦ و٧ و٨ و ١ و٤ و٢ و٣ و٥ و٩ في لوحة ٣٣ مع ملاحظة أن كل وحدة زخرفية محورة تمت إلى الأصل بصلة ويغلب عليها تبسيط شكلها وحفظ اتزانها وتنفيذ تصميمها بأنواع الخطوط المستقيمة أو المنحنية.



لوحة (٣١)



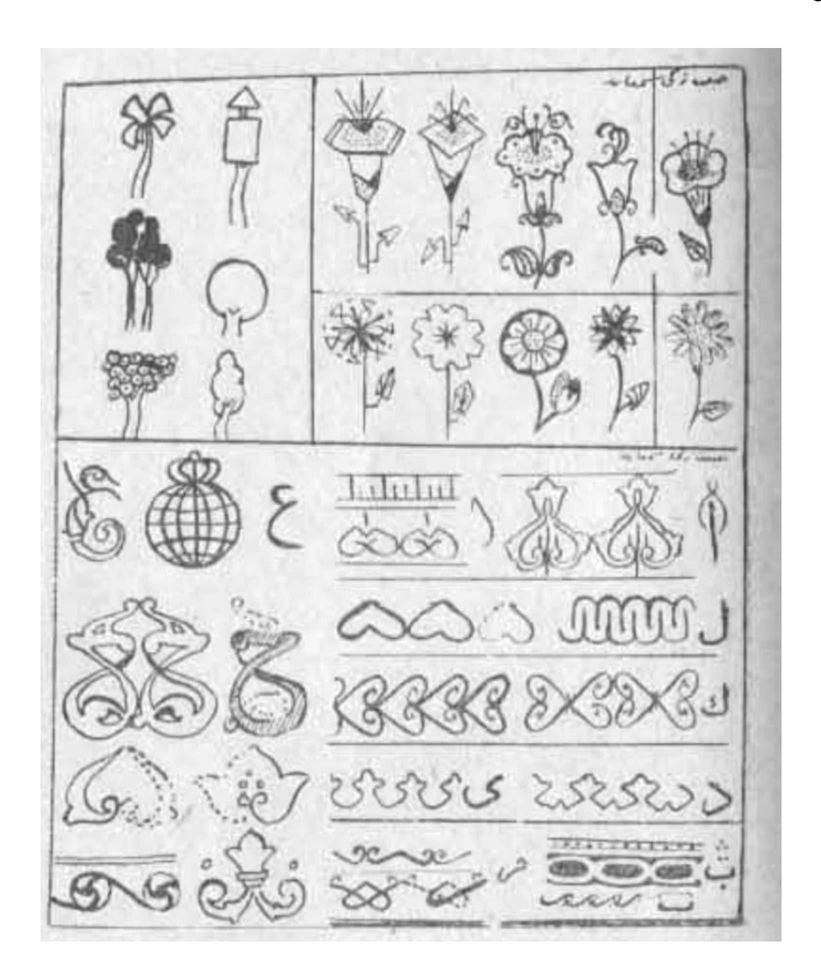
لوحة (٣٢)

وفي لوحة ٣٤ تجد في الحروف الهجائية مثالاً لتبسيط الوحدة وتكرارها وفي الأشجار والأزهار نجد كيفية التنفيذ بأنواع الخطوط مع الاحتفاظ بالملامح الأصلية.



لوحة (٣٣)

وفي لوحة **٣٥** نلاحظ في الأسماك تحلية الوحدة بتقسيمها إلى مناطق خالية ومنقطة ومخططة ومسودة كما نلاحظ منتهى البساطة في رسم الصدفة والقارب والإسفنج والقوقعة والسنارة ومغرفة الصيد والشبكة.



لوحة (٣٤)

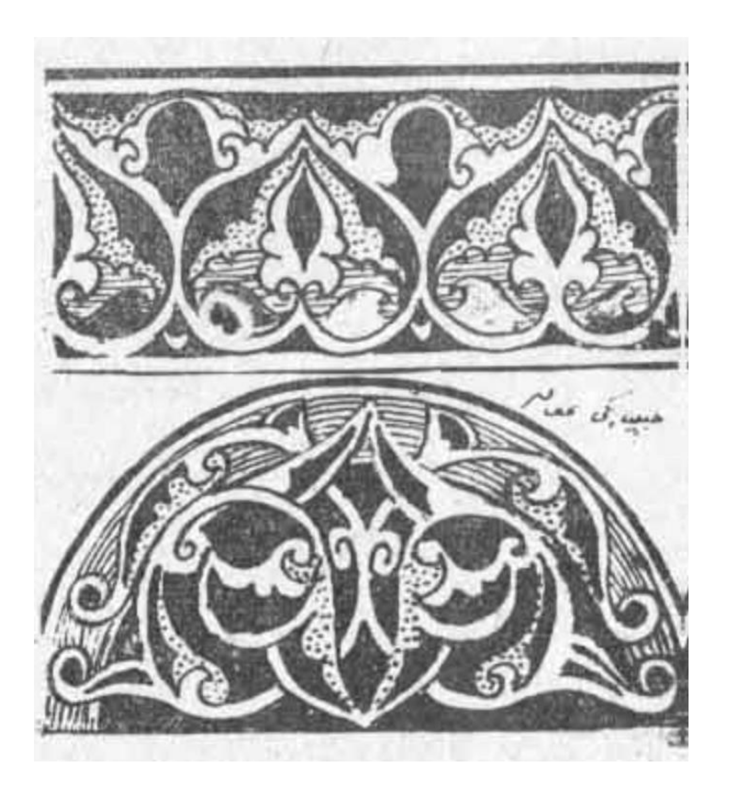


لوحة (٣٥) (اللوحة على جنبها)

والزخرف يكون بطرق كثيرة. أهمها التكرار والنشر والتوزيع، كما سنوضحه.

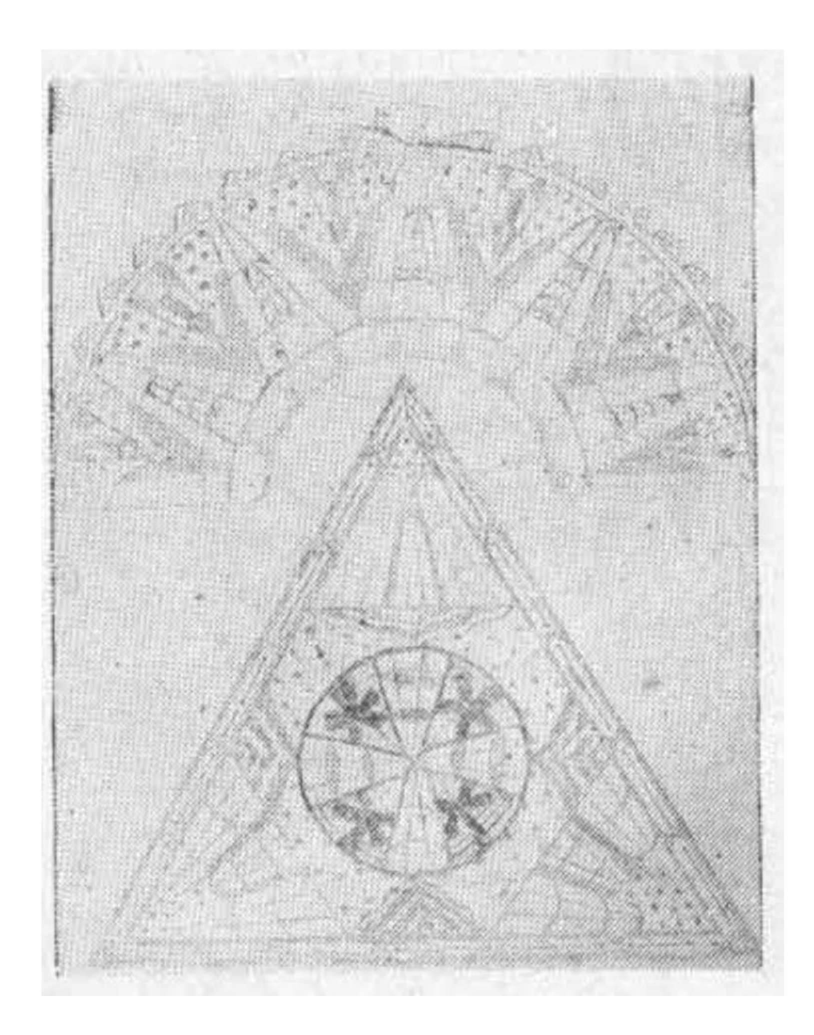
التكرار: هو تجاور الوحدات بعضها بجوار بعض على وتيرة واحدة لا تشذ مهما غير المزخرف الأوضاع بقلب وحدة وعدل الأخرى أو ميلها فإنه ملزم بتكرار كل تغيير يحدثه وغالباً ما ينفذ التكرار في إطارات

والإطار في الأصل هو البرواز (friezle = boarder) المثلث أو المربع أو المستطيل أو الدائري أو البيضاوي إلا أنه غالباً ما يقتصر الأمر على زخرفة جزء صغير من محيطه توفيراً للوقت.



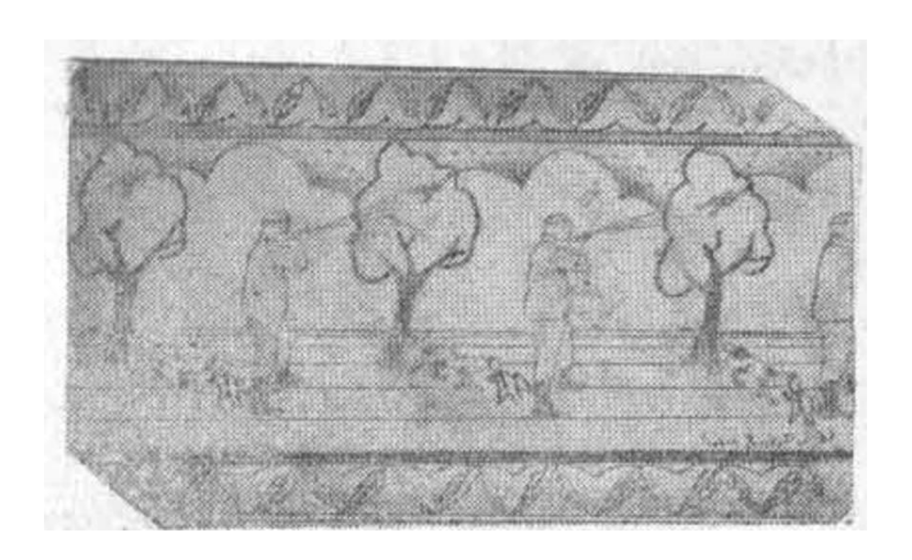
لوحة (٣٦)

كما ترى في لوحة ٣٦ الشكل الأعلى عينة في جزء من إطار أساسه الزخرفة العربية.



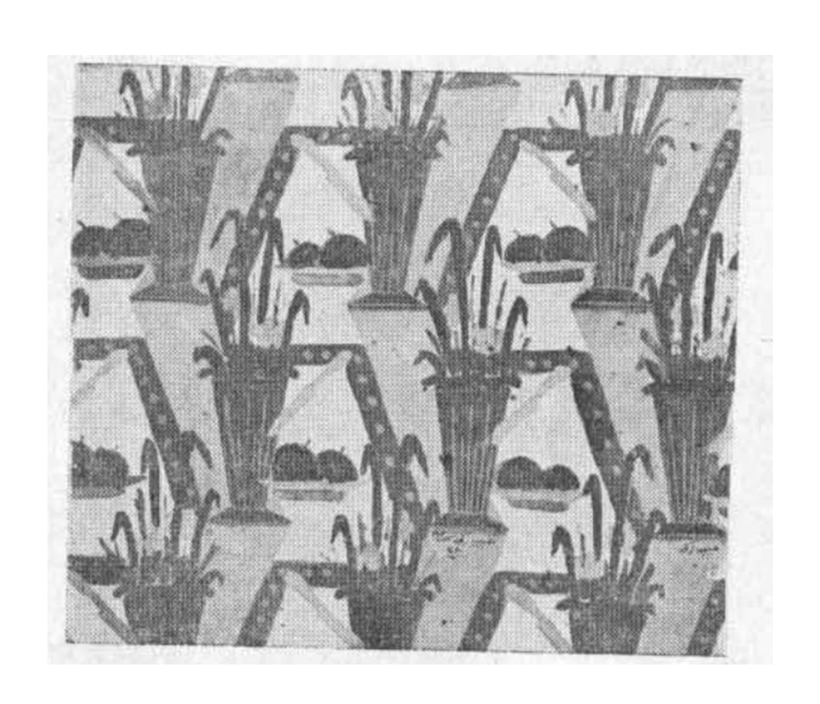
لوحة (٣٧)

وفي لوحة ٣٧ جزء من إطار منحن أسسه أحد تلاميذي على قمع السكر.



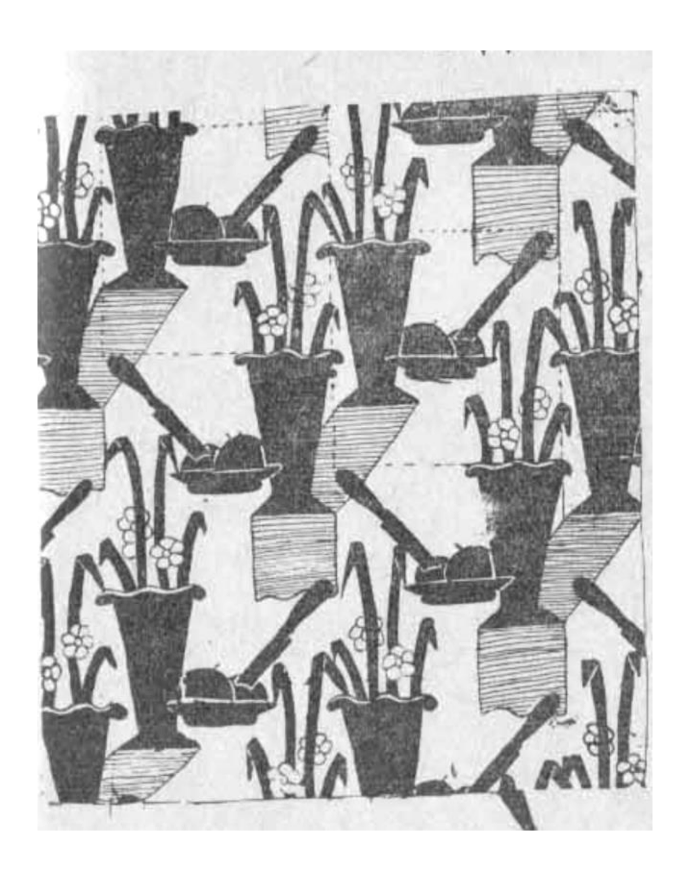
وفي لوحة ٣٨ جزء من إطار أسسه تلميذ آخر على وحدات منظر خيالي لصياد طيور ويلاحظ فيه أن أقواس السحاب قد ربطت الأشجار وطلقة البندقية ربطت الطائر بالصائد المرتبط بالشجرة بواسطة الكلب والطائر الموجود في فمه.

النثر All over pattern: **هو ملء مساحة بتنسيق ونظام تتكرر فيه الوحدات صفاً صفاً حتى تمتلئ المساحة المراد زخرفتها وقد يكون الترتيب مماثلاً لترتيب خلايا النحل أو قوالب الطوب في البناء.**



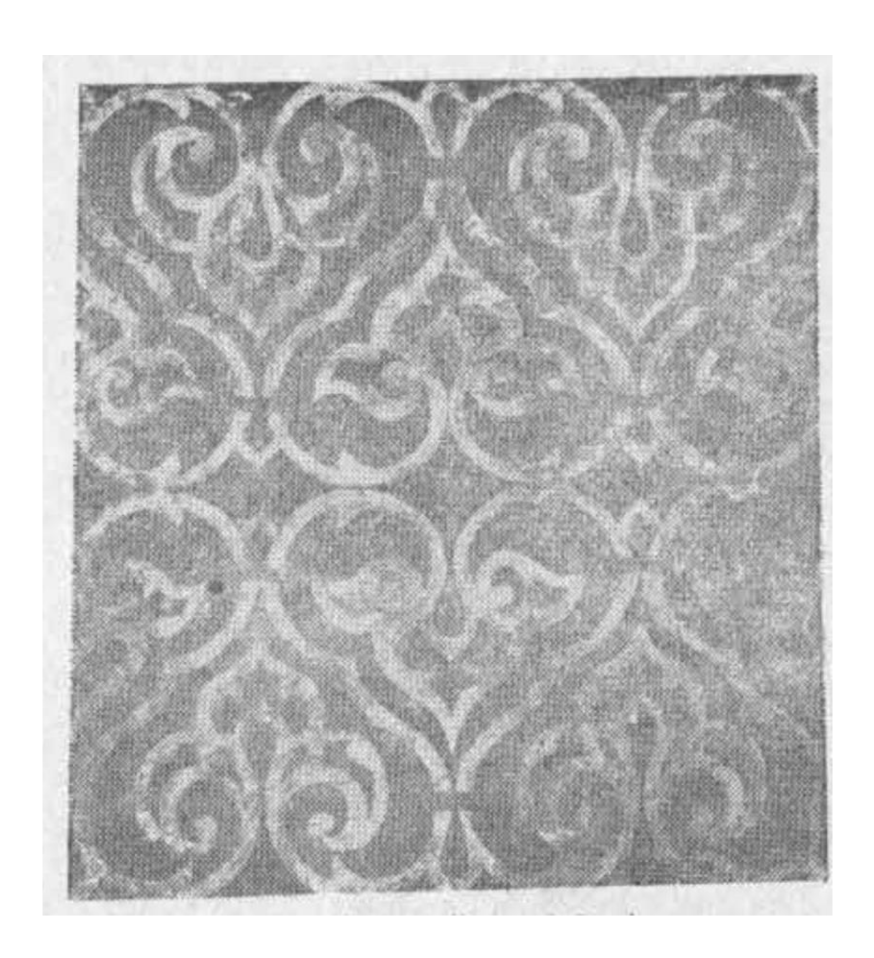
لوحة (٣٩)

إذ توضع كل وحدة من وحدات الصف الثاني تحت نصفي وحدتين متجاورتين في الصف الأول ويسمى هذا الترتيب بطريقة نصف الإسقاط (halfdrop) كما ترى في لوحتي ٣٩، ٤٠ زخرفين مؤسسين على وحدة واحدة مكونة من نبات مزهر في زهرية فوق مفرش وبجانبها صحن به سكين وفاكهة – لاحظ أن السكين ربطت المفرش بالصحن الذي ارتبط بالزهرية بواسطة التجاور.



لوحة (٤٠) الزهرية نفسها بالحبر الأسود

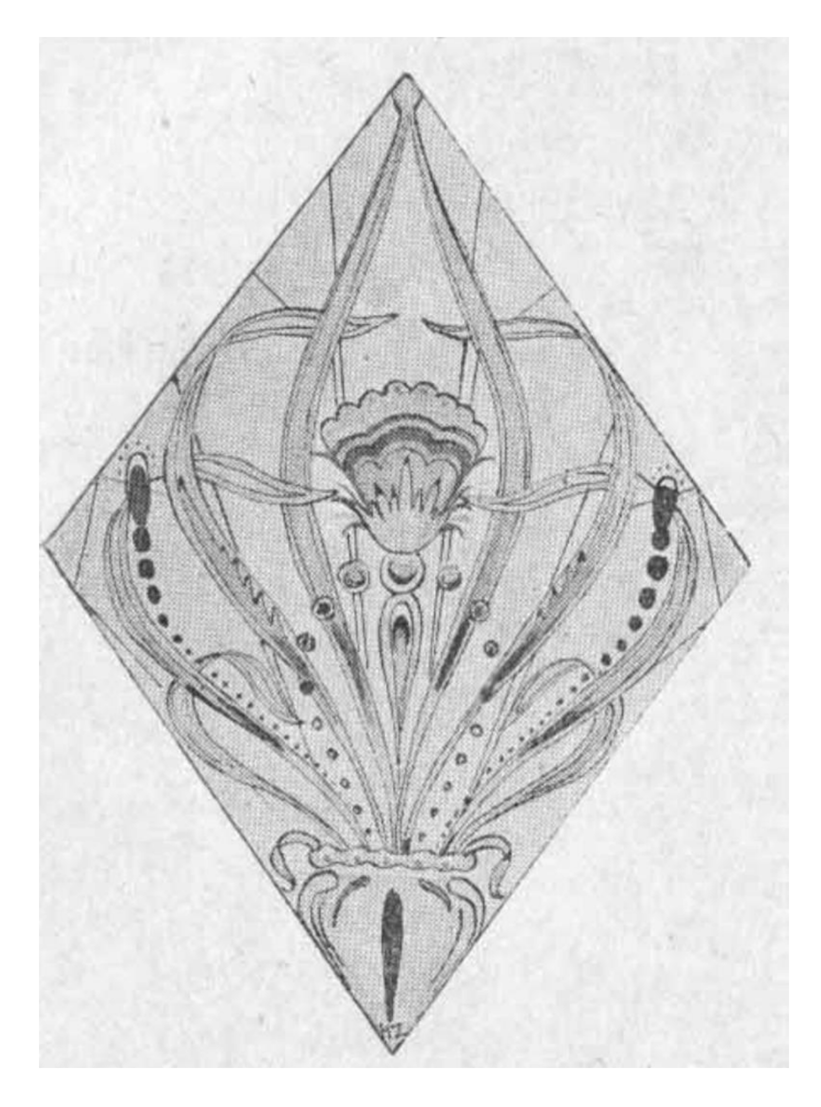
وفي لوحة ٤١ نموذج لزخرف عربي قد نفذ باللون الذهبي فوق أرضية خضراء مرصعة باللون الأحمر القرمزي في مربع.



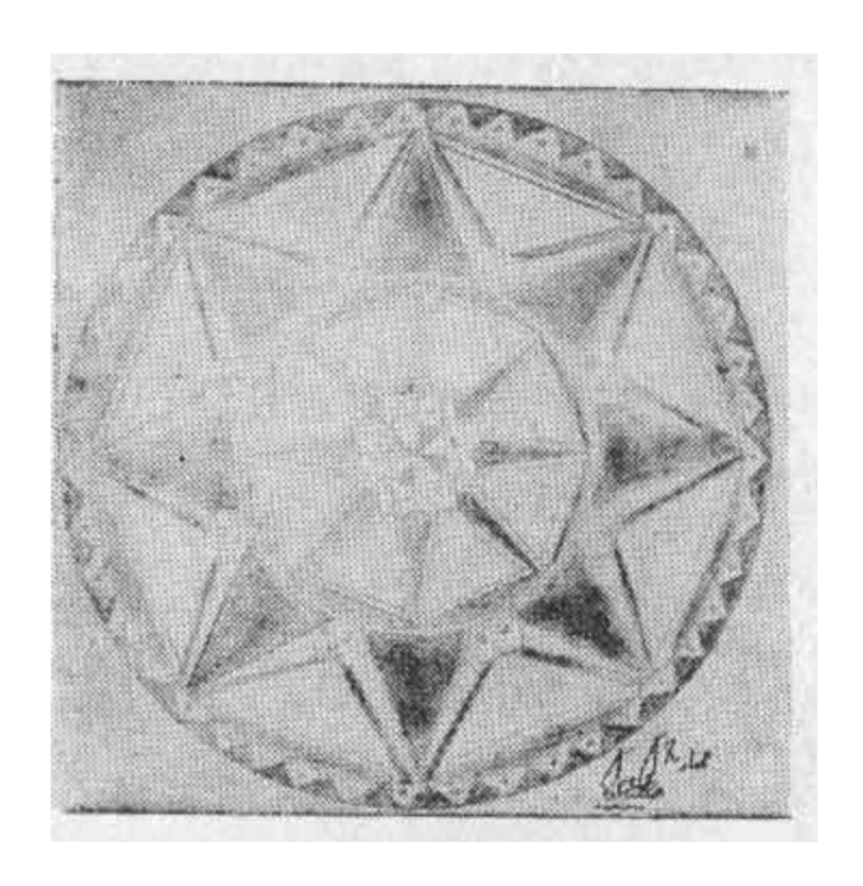
لوحة (٤١) الزخرف المذهب)

التوزيع: (Filling spaces)

هو ملء مساحة بطريقة يقبل الذوق السليم توزيع الوحدات فيها وقد يغلب عليها التماثيل كما ترى في لوحتي ٤١، ٤٢ وقد يؤسس الزخرف على التشعع كما ترى في لوحة ٤٣ زخرفاً كونه أحد التلاميذ من تحوير شخشيخة إلى وحدة زخرفية هندسية.

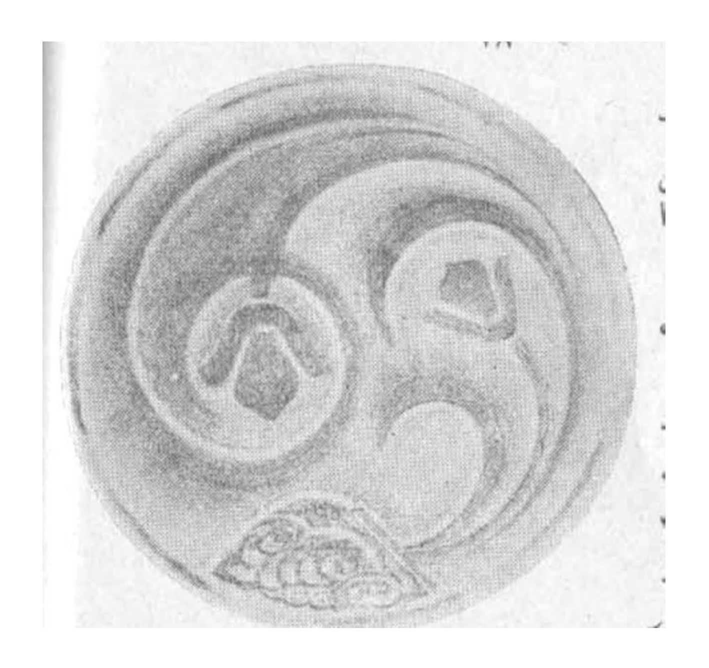


لوحة (٤٢)



لوحة (٤٣)

وفي لوحة ٤٤ تجد زخرفاً من زهرية في دائرة روعي فيه التبسيط لطبعه على الجلد وفي لوحة ٤٥ تجد زخرفاً آخر لزهرية ظهر فيها التضافر وتجلت فيها قوة الخطوط.



لوحة (٤٤)



لوحة (٤٥)



لوحة (٤٦)

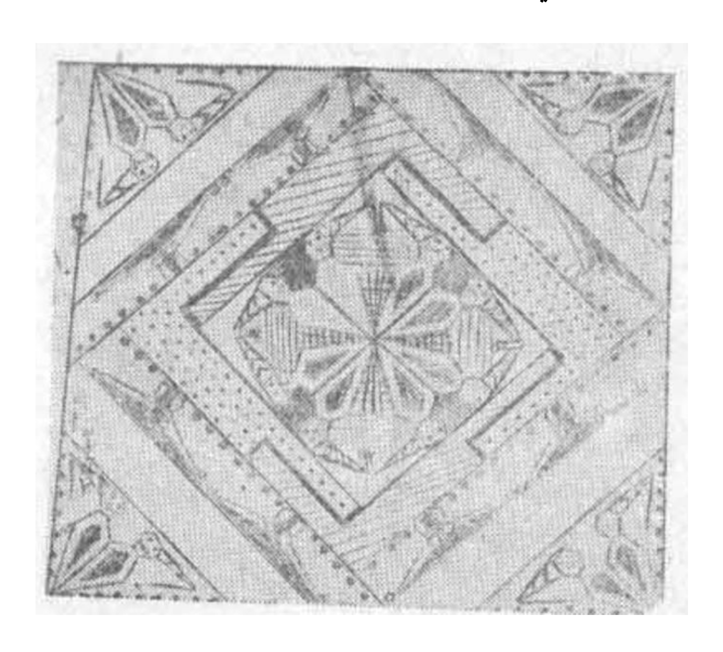
وفي لوحة ٤٦ تجد زخرفاً مؤسساً على غزالين تشعبت قرونهما في الدائرة.



لوحة (٤٧)

وفي لوحة ٤٧ زخرف لزهرية في بيضاوي.

وفي لوحة ٣٦ تجد زخرفاً عربياً في نصف دائرة وفي لوحة ٣٧ تجد زخرفاً أنشأه تلميذ في مثلث.



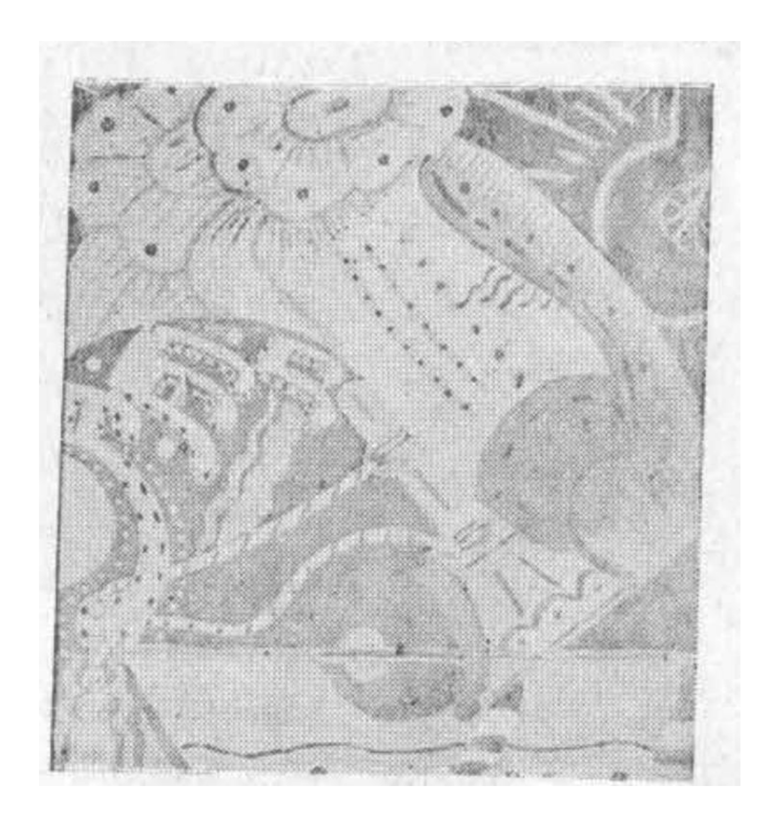
لوحة (٤٨)

وفي لوحة ٤٨ تجد التلميذ قسم المستطيل إلى مساحات صغيرة وزع عليها وحداته المكونة من الشخشيخة السالفة الذكر مستعملاً التشعع في المربع الأوسط والتكرار في إطار حوله وقد حالفه التوفيق في ملء الأركان بوحدة كونها على شكل مثلث.

التصوير الزخرفي:

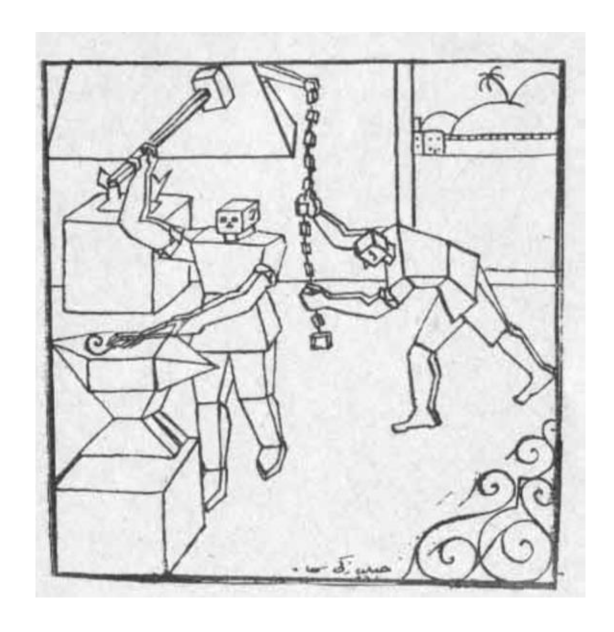
قد يخلو هذا النوع من التكرار والنشر ولكنه لا يخلو من التحوير

الزخرفي في تصوير المناظر وملء المساحات بها ولهذا سميت باللوحات الزخرفية (pannels).

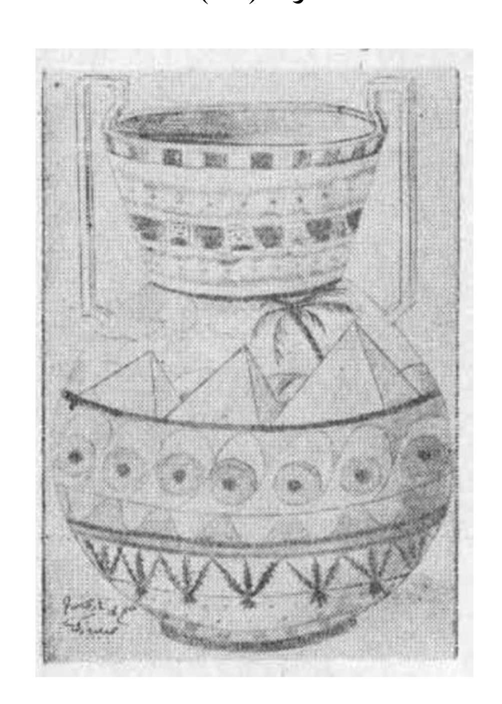


لوحة (٤٩)

كما ترى في لوحة ٤٩ منظراً لقط يلغ في حوض به ماء وبجواره نفير مربوط بحبل ينتهي بشرابة خيط وزهرية امتلأت فوهتها بزهور تداعبها أشعة المصباح الكهربائي وفي لوحة ٥٠ ترى منظراً زخرفياً لحانوت حداد قد رسم على الطريقة التكعيبية ومن الممكن جعل اللوحة الزخرفية وحدة تتكرر في تصميم آخر.



لوحة (٥٠)



لوحة (٥١)

وفي لوحة ٥١ إناء زخرفه أحد التلاميذ بإشرافي ولولا غلاء الزنكوغراف والطباعة لأوردنا أشكالاً أكثر من ذلك مع عينات لزخرفة المباني والملابس والأواني وغيرها دون أن يفوتني أن أورد هنا كلمة كتبتها أيام التلمذة باللغة الإنكليزية متمماً موضوع الزخرفة هذا وتفيد التلاميذ لغوياً وفنياً وها هي:

PATTERN is a creative art.

It creates the good taste. It develops the senses of imagination and creation. It teaches the pupile how to appreciate beauty and how to look al life its plaasent views.

To develop the dense of pattern in a child you must study with him the flowers, trees, insects, animals, birds and their feathers: each one from is colour, shape, and form Let him look for the secret of its beauty. Let him study an acacia leaf for instance to notice that the desert of its beauty is in its cymitrical shape, its balance and in the repeating of its units. Give him a leaf of a rose plant to see that the cause of its beauty is the repeated units and the variety of their size. Let him look at his hand or give him a flower to separate its petals and put them side by side, then ask him whether it lost its beauty by means of losing its beamy **مشعع** shape.

Show him also many speciments of ornamented vessils, patterned cloths and decorated walls or floors. Explain to himhow they are designed. Let him look at the units and the back ground, showing if there is cymitry, repetition, variety or beamy shape. It is better if you accompany him in visting the meusiums to arise in him the admiration which drives him to emitate but create.

After that elementary study teach your popil how to compose a pattern by arranging coloured balls on sand, pencils or nibs

trying all possible ways.

Let him fold an ordinary white oblong paper twice, thrice and fourtimes, order him to tear some pieces of it at any shape, tell him to spread it again and then he will find a design formed from similer shapes. Let him fold a gummed coloured paper four times also to cut it in a shape of any thing. The paper will be divided into many similar units. Let him arrange these units as he desires and fix him to his copybook.

Teach him how to cut units on a piece of potato to print them with decorative arrangement. Let him attempt to design suitable patterns based on dots and lines in pastel first, with water colours second and then with pencils.

Teach him how to conventionalize **يحور** or how to simplify the natural units and then how to simplify the natural units and then how to design patterns in various types of work such as designing boarders, filling spaces, all.

Over patterning ovals and other different areas such as oblong shapes, rectangles, triangles, circles and semi circles.

Teach lim to tie his units how to ornament his pattern and how to decorate furniture's and vessels. Let hin visit churches and mosques to see their pattern designs. At last let him creates his patterns and encourage him during his work,

ولا أظن أن أحداً يعيب على ما أشرت به هنا فهاهم أرباب الفنون ومنهم الأساتذة شفيق بك زاهر وحبيب بك جورجي ومحمد بك عبد الهادي ينادون في كتاب الزخرفة والألوان بمثل ما ناديت به إذ نجدهم في صفحة ٥ يقولون: إن الزخرفة كالشعر والموسيقى من حيث إتباعها قواعد خاصة فالشاعر يتبع الأوزان الشعرية إذا ما أراد نظماً والموسيقى

يسير على مقتضى فترات خاصة من الزمن في أثناء توقيعه الألحان وكذلك الزخرفة ينسق وحداته مراعياً أبعاداً ومسافات خاصة وترتيباً ونظاماً أو توزيعاً يشترط فيه جمال الشكل وكل منها ينمو ويزدهر بالتعلم والإرشاد والمران (ويستفيد بما أخرجه السابقون وما ينتجه المعاصرون).

خطة لتدريس الرسم على مدار السنة:

يستحسن أن تكون دروس الرسم متصلاً بعضها ببعض شيقة لا تخلو من مناظر الطبيعة الحية ومن النماذج الصناعية ولا من التعبير عن المناسبات والمشاهدات وغيرها مما يمرن التلميذ على الرسم من المنظور والخيال والذاكرة مع مزاولة الألوان والزخرفة ولهذا حبكت الخطة الآتية فلاقت من تلاميذي في الفصول النهائية نجاحاً أعجب به حضرات المفتشين لإحكام ربط أجزائها مع توفر الغرض منها:-

١- التعبير بالرسم الخيالي عن زيارة خطيب لخطيبته يدرس في المنظور رسم مجموعات من كوب وزجاجة وليمونة وسكينة وملعقة ومصفاة الليمون وما شابه ذلك. رسم بعض هذه الوحدات من الذاكرة. زخرفة من هذه الوحدات بالقلم الرصاص وبالألوان المائية. تنتهز هذه الفرصة لدراسة الألوان الأساسية والثانوية مع مضاهاة ألوان الشراب والكازوزة بألوان العلبة.

٢- التعبير بالرسم الخيالي عن ذهاب الخطيبين إلى الصائغ. رسم مجموعة من الحلي من الذاكرة .. لفت أنظار التلاميذ إلى كيفية

ترتيب الحلي في حوانيت الصائغين بشكل زخرفي يجذب أنظار الشارين.

٣- مظاهر الفرح خارج المنزل وداخله - الزينة والموسيقى - إقامة المراسيم الدينية ومد الولائم وحفلات الرقص وتنفيذ ذلك في دروس الخيال والمنظور والذاكرة والزخرف والألوان.

٤- زيارة الحدائق والمتنزهات في شهر العسل. دراسة الأشجار وأوراقها وأزهارها وثمارها وتحويرها إلى وحدات زخرفية. رسم بائع فاكهة من الخيال. رسم ميزانه في المنظور ولدراسة الدائرة وأوضاع النظر.

٥- رسم صيد الأسماك وتحويرها. ورسم الفراش في دروس المنظور والزخرف والألوان.

٦- رسم صيد الطيور. دراسة طائر في أوضاع مختلفة في المنظور وفي التحرير الزخرفي. الطيور الملونة كالطاووس والببغاء في دروس الألوان ورسم مساقي الطيور في المنظور والذاكرة وزخرفة الأواني.

٧- رسم كلب الصيد في أوضاع مختلفة مع دراسة الفروق بينه وبين الذئب والثعلب والقط والنمر والأسد ورسم ذلك في قصص. زيارة لحديقة الحيوان لدراسة الحيوانات في أوضاع مختلفة.

٨- الرجوع إلى العروسين. رسم حفل (لسبوع طفل) من الخيال رسم منظور الإبريق المزين بالحلي موضوعاً في صينية بها ماء ونقود

وبندق وفول وحولها الشموع موقدة. استخدام ذلك في دروس الذاكرة وزخرفة الأواني.

٩- دراسة لعب الأطفال واستعمالها في دروس المنظور والذاكرة والزخارف. إطارات ومساحات زخرفية منثورة وموزعة بدون التعرض لذكر المصطلحات الفنية ما أمكن.

١٠- ذهاب الوليد إلى المدرسة. رسم خيالي لفصل بعدما يدق الناقوس. رسم الجرس فوق النظر. رسم خيالي لتسلم الأدوات. رسم حصة ألعاب ولفت التلاميذ إلى أن مثل هذه الدروس تجمع بين الرسم الخيالي والزخرفة الحرة. رسم رحلة للأهرام. رسم قصص تاريخية ودينية وثقافية.

١١- أما رسم المشاهدات والحوادث والمناسبات كالأعياد وشهر رمضان وعيد السعف ويوم مطير وما إلى غير ذلك فترسم في أيام عطلتها في المنازل وتخصص لها كراسات شبيهة بكراسات الذاكرة.

أما رسم المشاهدات والحوادث والمناسبات كالأعياد وشهر رمضان وعيد السعف ويوم مطير وما إلى غير ذلك فترسم في أيام عطلتها في المنازل وتخصص لها كراسات شبيهة بكراسات الذاكرة.

الفنون الطرزية

ومن المستحسن أن تبتدئ التلميذة في المدارس الابتدائية بأعمال اللاسيه أولاً لسهولتها إذ أنه من الممكن لأول وهلة أن تثبت البنت خيوط اللاسيه وحباله المجدولة طبقاً لرسم مرسوم على شفاف ثم تربط بين أجزائها بالخيط فيتماسك اللاسيه في الوضع المخيط عليه ويظهر كأنه وحدة زخرفية متماسكة ممكن أن تزخرف بها المفارش التيل على اختلاف ألوانها والقماش على تباين أصنافه وبعد ذلك تتعلم البنت غرز الفستون والبرودري والكورشيه والتريكو وبتكرار الغرز بعدد خاص وبحساب موضوع تعمل الملابس المطلوبة تحليها الوحدات الزخرفية بشكل أخاذ يدفعني إلى أن أشجع بناتنا على تعلم هذه الفنون لفائدتها العلمية والمادية مقتصراً على النصح الموجز لأترك المجال للأخصاء في ذلك.

الفنون الهندسية

هي من الفنون الجميلة الخالدة الضرورية التي يتجلى فيها النشاط الذهني وإنتاج القريحة وقوة التفكير وسمو الخيال ورقي النفس والإنسان لا يستغنى أبداً عن هندسة العمارة لسكناه في دورها وقصورها ولإقامة شعائرها الدينية في معابدها ولدفنه في رموسها وقبورها كما أنه لا يستغنى في معيشته عن هندسة الطرق والكباري والميكانيكا والسكك الحديدية والري وبقية فروع الهندسة والصناعات الزخرفية من تجارة وحدادة وبرادة وصياغة و ...

وأمثال هذه الفنون هي مقياس الحضارة والمدنية في الأمم وعلى قدر ما يكون منها لكل أمة يكن الحكم في رقيها وانحطاطها وفي دار العاديات المصرية والمتحف القبطي ودار الآثار العربية ومتاحف السكة الحديد والقناطر الخيرية ما يغني عن كثرة الكلام عن هذه الفنون.

صناعة التماثيل

من أهم الفنون التي خلد بها الأجداد ملوكهم وعنهم أخذت الأمم تمجد عظماءها.

وتستعمل التماثيل في عمل وسائل الإيضاح في التعليم علاوة على أن عملها مهنة وفيرة المكاسب.

ويعتمد هذا الفن على علم التشريح وفن الحفر والتلوين إن استدعت الحال. وتختلف طريقة عمل التمثال تبعاً لطبيعة الخامات المعمول منها لأن عمل التمثال من الخشب أو العاج أو الأبنوس أو ما يشابهه يحتاج إلى الحفر بالأزميل أو بالآلات أما التمثيل بالحديد أو النحاس أو البرونز أو الألمونيوم فبصهر المعدن وصبه في مسبك مطبوع في طفله (ترابه) المندى بالماء شكل التمثال بعد تجسيمه بالطين الأسواني (الصلصال) أو الإيليزي (البلاستسلين) إذ تؤتي بالطين وهو قطع على شكل حجارة ويدق وينخل للتخلص من المواد الغريبة المتعلقة به ويوضع غباره في صناديق مبطنة بالزنك أو الصفيح ويعجن بالماء ويترك حتى يتبخر معظم مائه ويصير الطين في قوام المطاط يسهل ضغطه

وتشكيله دون أن يعلق منه شيء بالأصابع أثناء العمل.

وقد يوضع فوقه خيشة مبللة بالماء لكي لا يجف بعد إعداده للعمل.



لوحة (٢٥)

وفي لوحة ٥٢ تمثال السيد المسيح قد وضع أصبعه على صدره بإشارة بليغة تعبر في بساطتها عن مئات العبارات التي نزلت بها آيات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ما يأتي:

من يقولون إني أنا؟ أنا هو الباب. أنا والآب واحد. أنا هو الراعي الصالح. أنا أقول لكم اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم – أنا هو الطريق والحق والحياة – أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا – أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يسلك في الظلمة – أنا قد

جئت نوراً إلى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة – أنا هو لا تخافوا – أنا هو الذي كلمتكم عنه منذ البدء – أنا الذي أكلمكم هو – أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم – أنا هو خبز الحياة من يقبل إلي فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً – أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً – أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيَّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً – السارق لا يأتي إلا ليسرق ويذبح ويأكل وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل – ها أنا آتي سريعاً – أنا أضع كل شيء جديداً – أنا هو الألف والياء البداية والنهاية.

وفي لوحة ٥٣ تمثال لرأس فرعوني أخذت شكلها الحالي بعد أن شكلت قطعة من الصلصال على هيئة بيضاوي ثم جسمت الأنف فالجفون فالخدين فالشفتين ثم هذبت الجبهة ووضعت الأذنين وفي كل لحظة كنت أبل أصابعي بالماء وأصقل الجزء المعمول وإذا ما لاحظت أن جهة تقل عن جهة أزيد عليها قطعة من الطين تكملها. وهكذا سرت في العمل حتى أكملت الرأس وأتقنت تشكيلها. وبعدئذ شكلت الجسم وغرست في الرقبة قطعة صغيرة من الخشب ربطت الرأس بالجسم ثم كسيت الرقبة وشكلت القاعدة وغرست فيها قطعة من الخشب ربطت الجسم بالقاعدة والأحسن أن تربط أجزاء التمثال بالسلك وأخيراً تركت التمثال حتى جف ثم دهنته بسائل مكون من اقة كحول مذاب فيه ٦ أوقيات جمالكة – وبهذه الطريقة عملت تمثال المسيح.



لوحة (٥٣)

عمل قوالب التماثيل وصبها

لما شرعت في عمل قالب للرأس الفرعونية المذكورة فحصت التمثال ووجدت أني لو طبعت الجزء الجانبي في قطعة واحدة من الجص (الجبس) سيتلف كتف التمثال عند نزع قطعة القالب المطبوعة لأن الجبس سيكمن خلفه لوجود التجويف المسمى (Undercut) عند الرقبة، ولهذا طبعت ظهر التمثال أولاً في قطعة واحدة ثانياً دهنت الجزء المراد طبعه بفرجون مغمس بالزيت والصابون المبشور المذاب في الماء المغلي، ثم عجنت قليلاً من الجبس المخلوط بشيء من الأسمنت حتى صارت العجينة في قوام العسل أو اللبن الرايب ثم وضعتها على ظهر

التمثال حتى كادت تجف فنزعتها باحتراس وهذبت أطرافها بسكين ثم طبعت بهذه الطريقة النصف الأعلى من الجانب الأيمن للتمثال ملاحظاً تساوي سمك هذه القطعة بسمك الجزء المطبوع فيه الظهر ثم نزعت هذا الجزء وهذبت من أطرافه ثلاثة فقط لأن الجهة الرابعة كانت مهذبة بتجاورها لطرف من الظهر المهذبة أطرافه الأربعة من قبل ثم أعدت هذين الجزأين ثانياً إلى مكانيهما على التمثال وطبعت الجزء الأسفل من الجانب الأيمن وهكذا فعلت في طبع الجانب الأيسر وبعد التهذيب طبعت الجزء الأمامي كله في جزء واحد ثم فككت الأجزاء الستة وتركتها لتجف تماماً ثم دهنتها بسائل الجمالكة والكحول ثم دهنت كل جزء بالزيت وجمعت أجزاء القالب كلاً في مكانه وربطتها بدوبارة وعجنت قليلاً من الجبس والأسمنت وصببت العجينة في القالب وقلبته كما تقلب محمصة البن بمنتهى البطء حتى استقر مخلوط الجبس في تجاويف الرأس في كل جهة ثم عجنت عجينة أخرى وصببتها في القالب حتى ملأت بقية تجاويفه الداخلية. وبعد قليل فككت القالب وأخرجت التمثال الجديد، ولكي أقفل قاعدته عجنت قليلاً من المخلوط ووضعته على المنضدة وأقمت التمثال عليه فتماسك في القاعدة وقفلها وهذبت أطراف القاعدة بالسكين. ولما جف لونته بالألوان الزيتية بأن جزّعت الطرحة بالأصفر والأخضر الزرعي والأحمر القاني على التوالي ودهنت الوجه بلون البشرة المصرية المائلة إلى السمرة وبينت فيها الحواجب والعيون والشفتين كلا بلونه الطبيعي ودهنت الجسم بالأخضر التركويز والقاعدة بالسيبيا القاتمة.

وهكذا عملت قالب تمثال المسيح بطبع الظهر في قطعة واحدة وكل جانب في قطعة واحدة والوجه في قطعة ومنطقة اللحية واليدين في قطعتين جانبيتين وبقية الجزء الأمامي في قطعة ولونت الشعر والقاعدة بالسينا المحروقة والوجه باللون الأبيض للشرب بحمرة والجلباب بالأصفر الفاقع والثوب بالأحمر القاني وبعد انتهاء تلوينه بالألوان المائية دهنته بالورنيش.

الفنون العملية (الأشغال اليدوية) Handicrafts

يعيب البعض على أهل الفنون بأنهم خياليون وفنونهم كمالية لا لزوم لها وفي هذا القول نصيب من الصحة إذ تعتمد الفنون على الخيال إلى حد كبير. وصحيح هي كمالية على اعتبار أن (الكمال) ومنسوب إليها. أن الفنانين أناس أرهف إحساسهم وسلمت أذواقهم وكرمت نفوسهم. أما القول بأن الفنون لا لزوم لها فقد ظهر خطؤه إذ بينا قبلاً قيمة الفنون في تمصير الأمصار وتخطيط المدن وفي المواصلات وتعبيد الطرق وإنشاء الجسور والكباري وفي وسائل الري – الأمور التي لا تستغنى عنها الجماعات ولا الأفراد.

وأن الذين يعدون الشعر والموسيقى والتصوير أموراً كمالية يمكن للإنسان أن يستغنى عنها هم قوم ماديون لا يقدرون للنفس حقوقها غير عالمين أن الدنيا إن خلت من متعها الظاهرة وزخارفها ونواحي الجمال فيها أصبحت سجناً لا تطيقه نفوسهم.

ولهذا تنبهت حكومات الأمم الراقية فأقرت تدريسها في المدارس منذ الصغر ويضاف إلى ذلك ما للفنون على الإطلاق من فوائد جمة نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر أنها أولاً؛ وسيلة من وسائل التعبير النفسي Self expression فيها يمكن للإنسان سواء أكان كبيراً أم صغيراً أن يعبر عن خواطره النفسية وبها ينفس عن آلامه وآماله.



لوحة (٥٤)

صورة المؤلف بعض أعمال التلاميذ في حصص الأشغال

وتعليم الفنون وسيلة لتغذية الحواس برؤية الصور الجميلة والمجسمات البديعة وبسماع مختلف الأصوات والألحان وبلمس النماذج الطبيعية والصناعية والتمييز بهذا اللمس بين مختلف الأقمشة وغيرها. وبشم الروائح الذكية في

الأزهار وغيرها وفي الأحماض الكيماوية المستعملة في الزنكوغراف وفي التصوير يضاف إلى ذلك أن الفنون وسيلة للتنمية الملاحظة (والذوق) السليم على أن الفنون العملية تقوي القوى العقلية وتربي في الإنسان ملكة التقدير وتساعد على تثبيت المعلومات التي يتلقنها التلاميذ كما بينا قبلاً – وتنمي أيضاً قوة الابتكار علاوة على ما تغرسه في النفس من صفات حميدة منها الدقة في العمل (accuracy) والاعتماد على النفس (self reliance) والتعاون مع الغير واحترام العامل لأن التلميذ قد خبر في المدرسة بعض ما يعمله هذا العامل وعرف قدره إذ يتعلم منذ نعومة أظافره في السنة الأولى كيف يعالج الطين بأنواعه وكيف يعمل منه قوالب يبني بها نماذج للمساكن وغيرها ويعمل تماثيل ودمى وينظم من الخزف الملون عقوداً وفي السنة الثانية يباشر أعمال القش وتغليف الورق المقوى لعمل قواعد لصحاف المائدة وعلب وإطارات صور. وفي السنة الثالثة يزاول أشغال الإركت (fret work) ويمارس النجارة وأشغال الجلد والسجاد والخيزران كالسلال (basketry) وما إلى غير ذلك. وفي السنة الرابعة يعمل علب من الورق المقوى (Card board modeling) ويستعمل الجبس في عمل النماذج ويعالج المعادن اللينة بالضغط والتفريغ (peroter work) لاستخدامها في تزيين أشغال النجارة والأواني الزجاجية ويتعلم أيضاً تجليد الكتب والدفاتر (book blinding) وعمل الكراسي والمناضد باستخدام الخيزران ويستعمل المشمع في الطبع على الورق والقماش (linoleum cutting) وفي لوحة ٥٤ عينات لبعض ما ذكرناه. وقصداً في تشجيع التلاميذ على الاطلاع على المصادر الإنكليزية في هذه الفنون أورد

الكلمة الآتية التي كتبتها بالإنكليزية أيام تتلمذي في شهادة أساتذة الفن:

Handicrafts

It is well known that people surpass other creatures with their capacity of using their hands and their thoughtful minds; so the schools have been founded to increase the children's' mental powers and to teach them how to control their hands in writing, drawing and manual works. Sycologists have lately discovered that hands' movements have special centres of organisation in the mind. These centres have to be obscured of grow up as hands are badly or well regularly used. I have also observed that the skilful children in drawing and manual works are intelligent. I found also that those who are weak in drawing or do not use their hands in handicrafts, have weak mental centres of organising hands. Handicrafts help the teachers in teaching the mentally defectives and the retarded children who cannot be learned without manual works and the method of sential conceptions (الإدراكات الحسية) Children love handicrafts because they interest them. They make mind takes its rest and renew its energy. That makes it ready to understand new lessons without weariness.

Handicrafts increase in children patience, perseverance in their work and self reliance, they also increase in them the sence of beautiful arts specially drawing which assists them on learning the other subjects as history, geography, mathematics, physics and languages etc.

الخطوط lettering

تمهيد: سكن مصرايم بن حام بن نوح وادي النيل وتناسل هناك فسمي الوادي (مصر) نسبة إليه وتسمى أهله مصريين ودعاهم العرب بالقبط ناقلين عن اليونانيين الذين أطلقوا على الوادي اسم (إيجبتس aiguptos) تصحيفاً للكلمة المصرية (إ – كا – بتاح) ومعناها (بيت – روح – بتاح) معبود منف قديماً.

والمصريون أذكياء بالفطرة قد سبقوا غيرهم في الحضارة فهم أول من كتبوا ولقد كانوا يعبرون عن الشيء برسم شكله وصاروا يستعملون الرسم للإفصاح عن المعاني. فإذا ما أرادوا أن يعبروا عن الأكل مثلاً رسموا رجلاً يضع يده في فمه الأمر الذي دفعتهم صعوبته إلى التدرج من الرسم إلى التخطيط مع التبسيط ومن ذلك توصلوا إلى استعمال الرموز بأن كانوا يعبرون عن الحرب مثلاً برسم سهمين متضادين وعن الماء برسم خط منكسر وأخيراً التجئوا إلى استعمال الجناس للتعبير عن شيئين برسم واحد ثم تدرجوا في استعمال الرسوم والرموز للتعبير لا عن كلمتين معاً ولا عن كلمة بأكملها بل عن حرف واحد وسميت حروفهم هذه بالهيروغليفية أو الخط المقدس أو كتابة بيت الحياة. وكانت تستعمل للنقش على المسلات والهياكل وغيرها.

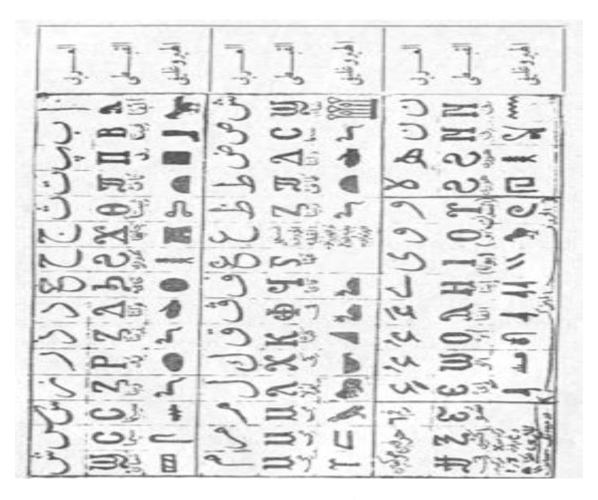
وقد اختزلوا هذا الخط بعض الشيء وأوجدوا منه حروفاً أسهل نوعاً سموها بالخط الهيراطيقي وقد استعمله الكهنة في الكتابات الرسمية على

أوراق البردي والرقوق.

ولقد كتب المصريون لغتهم الفصحى بهذين الخطين وأخيراً اخترعوا في القرن السابع قبل الميلاد كتابة أسهل من الهيراطيقية قد استعملها العامة في كتابة رسائلهم وعقودهم ومؤلفاتهم سموها بالخط الديموطيقي.

وبعد فتح الإسكندر مصر أخذ الأقباط من حروفهم الديموطيقية سبعة أحرف أضافوها إلى الحروف اليونانية الدارجة وقتئذ وكتبوا بهذه الأبجدية لغتهم التي هي لغة أجدادهم وفراعنتهم ولقبوها باللغة القبطية بدلاً من اللغة المصرية على أن الحروف اليونانية تولدت من الفينيقية والفينيقية تولدت من الديموطيقية المصرية كما سترى مما يأتي بعد:

وفي لوحة ٥٥ نجد هذه الأبجدية القبطية وما يقابلها من الحروف الهيروغليفية والعربية الحديثة.



لوحة (٥٥)

١- والحرف (فيتا) ينطق به كالباء العربية إذا كان في آخر الكلمة أو في حكم الآخر وإذا جاء بعده حرف متحرك ينطق به كحرف (٧ في) الإنكليزي.

٢- والحرف (غما) ينطق به كالغين في الكلمات اليونانية إذا جاء بعده أحد الأحرف الآتية (الفا)، (أو)، (ءُ).

وينطق به كالجيم إذا جاء بعده أحد الأحرف الآتية (إي)، (إيتا)، (يوتا) وينطق به كالنون إذا جاء بعده أحد الأحرف الآتية (غما)، (كي)، (اكسى)، (كبا).

٣- الحرف (ثيتا) ينطق به كالتاء إذا سبقه حرف (سيما) أو حرف (شاي).

٤- الحرف (إيتا) ينطق به كالكسرة إذا وقع بين حرفين ساكنين وينطق به كالياء إذا سبقه أو وليه حرف متحرك.

٥- الحرف (تاف) ينطق به كالدال إذا سبقه حرف (لي) في الكلمات اليونانية.

٦- الحرف (ابسلن) ينطق به كالياء إذا سبقه حرف ساكن أو إذا وضع عليه العلامات (جنكم) التي يقابلها في العربي الفتحة أو السكون ويقابلها في الفرنسي اكسنتجي واكسنجراف واكسنسير كمفلكس.

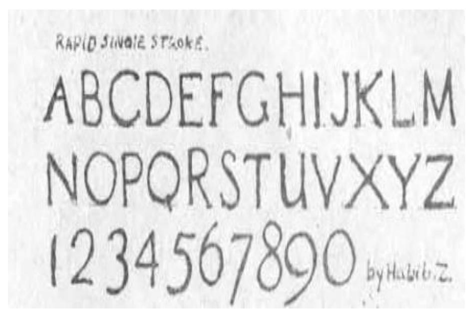
وينطق به (كالفاء) متى وليه حرف (إي) أو حرف (ألفا) وينطق به كالواو

إذا سبقه حرف (أو).

٧- الحرف (كي) ينطق به كالشين في الكلمات اليونانية إذا وليه أحد الأحرف الآتية (إي)، (إيتا)، (يوتا)، (ابسلن).

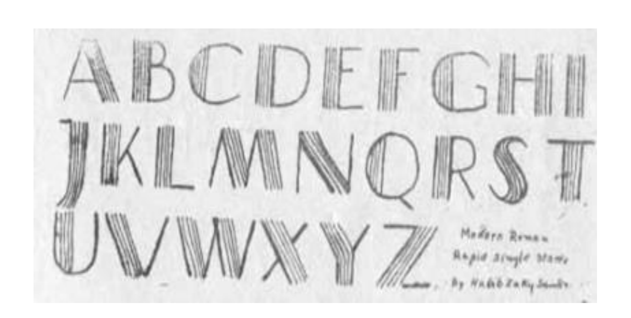
وقد حاكى البابليون المصريين في الكتابة بالرموز البسيطة وكانوا يخطونها بآلات حادة على الطين قبل تجفيفه ولهذا سميت كتاباتهم بالخط المسماري.

ثم تعلم الأشوريون من هؤلاء السومريين (المسماريين) خطهم المذكور ولكن الآراميين في فلسطين كانوا يتفننون في الرقي بعد ما تعلموا حروف الأبجدية الفينيقية ونشروها في آسيا وبلاد فارس فحلت محل الخط المسماري أما الفينيقيون أنفسهم فقد توسعوا في التجارة فنشروا على سواحل الإغريق والطليان حضارتهم وكتابتهم الفينيقية التي اتخذوها من الديموطيقية المصرية وحوروها وكونوا منها اثنين وعشرين حرفاً ساكنة ومتحركة وقد أخذ عنهم الإغريق هذه الحروف وهذبوا هندستها إلى شكلها البسيط الجميل الذي يستعمله الأقباط اليوم في



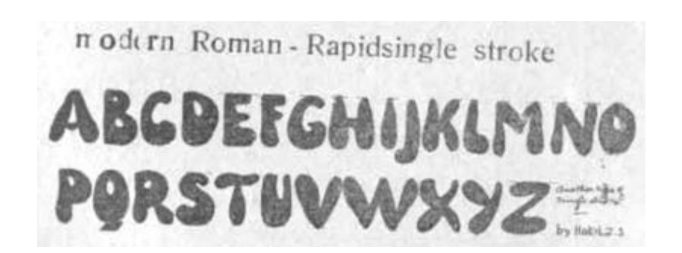
لوحة (٥٦)

كتابة لغتهم الأصلية كما أن الرومان أيضاً أخذوا الحروف الفينيقية المذكورة وألفوا منها الحروف اللاتينية التي تفرعت منها خطوط اللغات الأوربية وفي لوحة ٥٦ عينة للأبجدية المكتوبة بخط مفرد Rapid single stroke ويشبه عندنا خط النسخ المطبوع به هذا الكتاب.



لوحة (٥٧)

وفي لوحة ٥٧ تجد الرومان أحدثوا نوعاً جديداً لهذه الأبجدية.



لوحة (٥٨)

وفي لوحة ٥٨ شكل ثالث لهذا النوع المنفذ بجرة واحدة بالفرجون.

وتلك الأبجدية تشبه في شكلها الخط الفارسي المكتوب به اسمي المطبوع على الغلاف الخارجي لكتابي هذا.

ABCDEFGHIJKLMN
QRSTUVWXYZ

لوحة (٥٩)

123456789

لوحة (٦٠)



لوحة (٦١)

وفي لوحتي ٥٩، ٦٠ تجد طابعاً للحروف الكبيرة (Capital **أو** High case) **كتبها الإيطاليون في القرن السادس عشر الميلادي وسماها الإنكليزي** (Casion old face).

ABCDEFGHIJKLMNO
PQRSTUVWXYZ & &
1234567890 by HabibZ.S.

لوحة (٦٢)

abcdefghijklmnopqr
stuvwxyz &

لوحة (٦٣)

ABCDEFGHIJKLMNQR
STUVWXYZ 234567

لوحة (٦٤)

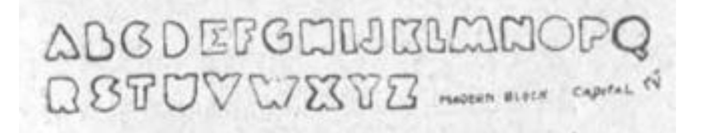
وفي لوحة ٦١ تجد الحروف الصغيرة (small **أو** Lower case**) من هذا النوع ويشبه هذا النوع الخط الثلث لاحتوائه على الزلف الموجود في أطراف الحروف وفي اللوحات الآتية تجد عينات قد حذف الزلف من نهايات حروفها فشابهت في هندستها هندسة الخط الرقعة كما ترى في لوحتي ٦٢، ٦٣ الحروف الكبيرة والصغيرة لطابع مستدير سماه الإنكليز (**Gill sansrif Round block**) وفي لوحتي ٦٤، ٦٥ تجد نفس هذا النوع من الحروف الكبيرة والصغيرة مكتوباً بطابع مستطيل سماه الإنكليز (**Gillsansrif oblong Block**).**

وفي لوحة ٦٦ نجد طابعاً حديثاً لهذا النوع سماه الإنكليز (Modern Broadway**) وأخيراً غالى البعض في التفنن في هذا**

لوحة (٦٥)

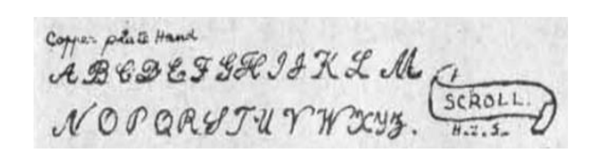
لوحة (٦٦)

النوع الشبيه بخط الرقعة عندنا بأن طمسوا داخله واكتفوا بإظهار الخطوط المحيطية ('Out lines) كما ترى في لوحتي ٦٧، ٦٨.



لوحة (٦٧)

لوحة (٦٨)



لوحة (٦٩)

وفي لوحة ٦٩ نجد نوعاً يشبه خط النسخ عندنا سماه الإنكليز (Copper Plate Hand)



لوحة (٧٠)

وفي لوحة ٧٠ نجد لافتة كتبها المؤلف إعلاناً يحث على زيارة دار الآثار المصرية.

وبينما كان الخط الفينيقي يتبدل ويتشكل يوماً بعد يوم عند سكان ما بين النهرين وبقية الجزيرة العربية حتى وصل قوم هود باليمن إلى إتقان خطهم وسموه بالخط المسند وهو الخط الحميري وكانوا يكتبونه مفصلاً بعضه عن بعض وكانوا يمنعون العامة من تعلمه كما تقول أماشق الخط العربي. وأخيراً تعلمه جماعة من عرب طيء فتصرفوا فيه وسموه بخط الجزم لأنه اقتطع من خط حمير ثم علموه أهل الأنبار ومن الأنبار

انتشرت الكتابة العربية فأخذها عنهم أهل الحيرة ولما قدم الحيرة (حرب بن أمية القرشي) جد معاوية بن أبي سفيان نقل هذه الكتابة من الحيرة إلى الحجاز بعد أن عاد إلى مكة. غير أن انتشارها بين العرب كان قليلاً ثم انتشرت الكتابة في عصر النبي للحاجة إليها في كتابة القرآن والرسائل التي كان ينفذها إلى الملوك والأمراء وقد فأدى بعد غزوة بدر من رأي فداءه من الأسرى ومن لم يكن له فداء أمره أن يعلم عشرة من المسلمين الكتابة.

وقد كتب للنبي جمع من الصحابة منهم عثمان وعلي ومعاوية وزيد بن ثابت وقد كتبوا المصاحف بخط الجزم الذي سموه فيما بعد بالخط الكوفي بعد إنشاء مدينة الكوفة ثم انتقل في عصر الأمويين إلى مصر وبلاد المغرب. وفي القرن الثالث الهجري ظهر الوزير علي بن مقلة ببغداد فحوله إلى الطريقة المستعملة الآن في كتابة المصاحف ثم تلاه أبو الحسن علي بن هلال وهو الذي أكمل قواعد الخط واخترع غالب الأقلام مما أسسه ابن مقلة وفي القرن الثامن هذبه ابن الشيخ فزاد في تنميقه حتى حسنه عثمان الحافظ في القرن الحادي عشر وإليه انتهت جودة الخط.

وفي القرن العشرين ظهرت حروف التاج واخترع غزلان بك خطاط جلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر نوعاً آخر سماه الخط الديواني يشبه في منحنياته الزخرفية وصعوبة قراءته هندسة الخط الأوربي المكتوب به عنوان جريدة الايجبسيان جزيت. وعلى الغلاف الخارجي لكتابي هذا

تجد عينة للخط الرقعة كتبت بها أشعة الفنون وعينة أخرى للخط الفارسي كتبت بها حبيب زكي. وعلى الغلاف الداخلي تجد عينة للخط الكوفي كتبت بها العنوان في دائرة وعينة أخرى للخط الثلث كتبت بها حبيب زكي سمعان في نصف دائرة وفي كلمة الإهداء عينة كتبتها بالخط الديواني وكفى بالخط فخراً وبالكتابة شرفاً أن الوصايا العشر مكتوبة بأصبع الله كما يقول الكتاب المقدس وحسبنا من فضل تحسين الخط ما ورد في الحديث الشريف القائل: الخط الحسن يزيد الحق وضحاً وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: عليكم بحسن الخط فإنه من مفاتيح الرزق ولسان اليد وبهجة الضمير وسفير العقول ووحي الفكرة وسلاح المعرفة وناقل الخبر وحافظ الأثر.

وها هي ذي الكتب والبطاقات والإعلانات واللافتات في كل مكان وخرائط الدنيا تتجلى زينتها بخط الخطاط تملأ كفه بالمال الوفير وكأنها تريد أن تلف يده بالحرير وتمجدها بالذهب، وليس هذا فحسب بل إن القصر الملكي والوزارات بمختلف دواوينها ترحب بتوظيف الخطاطين، كما أن صاحبة الجلالة الصحافة تزين صدر صفحاتها بخط اليد كما تزين الصدور بالأوسمة والنياشين ولولا جودة الخط لما أمكننا أن نتذوق حلاوة الكثير من الأدب الذي ذخره لنا الأولون.

فنون الأدب

الأدب هو التدريب على السلوك الحميد والقول البليغ. والأول يختص به علم الأخلاق. أما الثاني فدائرة اختصاصه في الميادين اللغوية

وما تحوي من فصاحة الكلام وبلاغة التعبير وسلاسة الأسلوب وعذوبة المنطق وروعة التأثير وغزارة المادة وقوة المعاني وسمو الخيال ومتانة النظم وحسن السبك الأمور التي يجمعها لفظان هما النثر والنظم.

النثر

هو كلام غير مقيد بوزن يكتب أو يقال في المحادثة والخطابة وغيرهما وإن عمد صاحبه إلى تحليته بالحلية اللفظية والتزم فيه التقفية سمي بالسجع وغالباً ما يستعمل في الخطابة لتأثيره على الأسماع كما يستعمل في الحكم والتصوف وهناك مثال للسجع في كلمة السعادة وفي قصة (من البؤس إلى النعيم) المطبوعتين في هذا الكتاب[٤].

الشعر وأفانينه

الشعر هو الكلام الموزون المقفى المقول في المدح أو الهجاء أو الفخر أو الرثاء أو الوصف أو التصوف أو الغزل أو الاستعطاف وما إلى غير ذلك من الأغراض، وللشعر خمسة عشر فناً هي العروض القوافي ولزوم مالا يلزم والتسريع والتفويف والتسميط والإجازة والتشطير والتخميس والموشح والدوبيت والزجل والمواليا والمكان وكان والقوما.

العروض:

من أهم هذه الأفانين وهو تفاعيل يعرف بها الشعر الموزون

[٤] وفي جريدة الأهرام تاريخ ٣٥/٦/٣ بحث كتبته في صحة كلمة (مالح) وورودها في اللغة.

والمكسور وما فيهما من زحافات تغير التفاعيل أو علل تزيد على أجزائها أو تنقص منها – مثل مُتَفَاعِلُنْ تزحف بها بتسكين ثانيها المتحرك فتصير مُتْفَاعِلُنْ فتنقل إلى مُسْتَفْعِلُنْ ومثل فَاعِلُنْ تزيد عليها جزءاً فتصير فَاعِلُنُ تُنْ فتنتقل إلى فاعلاتن ومثل مفاعيلن تصير بعد الحذف مفاعي فتنقل إلى فعولن وما إلى غير ذلك من الزحاف والعلل المفصلة في كتب العروض ومنها كتاب ميزان الذهب في صناعة شعر العرب للهاشمي. وكتاب البسط الشافي في العروض والقوافي لجبران ميخائيل.

وللعروض ستة عشر فناً تسمى بالبحور وهي للتقارب وللتدارك والمجتث والمقتضب والمضارع والهزج والوافر والرجز والسريع والمنسرح والكامل والرمل والمديد والخفيف والطويل والبسيط – وواضع هذا العلم هو الخليل الفراهيدي في القرن السابع الميلادي على أثر سماعه أصوات الطبول المختلفة فوضع لها ألفاظاً سماها تفاعيل مثل تتن تن نقلها إلى فعولن وفيما يلي الأوزان كلها مع نزر يسير وجدته عندي من الأشعار التي نظمتها في فجر شبابي:

(١) البحر المتقارب

أجزاؤه ثمانية وهي: فعولن فعولن فعولن فعولن: فعولن فعولن فعولن فعولن ويصح تغيير التفعيله الثامنة إلى فعل أو فع ويجوز استعمال هذا البحر مجزوءاً هكذا:–

فَعُـــولُنْ فَعُـــولُنْ فعـــل   فعـــــولن فعـــــولن فعـــــل

أو

فعـــولن فعـــولن فُـــعْ   فعــــــولن فعــــــولن فــــــع

وقد نظمت على هذا البحر تهنئة بشهر الصيام نشرتها جريدة مصر في ٩ أغسطس سنة ٩٤٥ هكذا:–

إلـى شـعب مصـر الهمـام   وبـــاقي الشـــعوب الكـــرام

هنـــاءً بشــــهر الصــــيام   يــــزف بكــــل احتــــرام

ليهتــف عشــتم أمــامي   بخيـــر إلـــى كـــل عـــام

ودمـــتم لنيـــل المـــرام   وبشـــرى الهنـــا والســـلام

وإتمام للفائدة نبين فيما يلي طريقة وزنها علماً بأن الحرف المشدد في الموزون يحسب بحرفين في الميزان وكل حرف غير منطوق به كألف الوصل وواو الجماعة وغيرها لا يوزن والحرف المتحرك في الوزن يناظره حرف متحرك في الموزون والحرف الساكن هنا يقابله حرف ساكن هناك وتوضيحاً لذلك ترمز بشرطة إلى كل حركة في البحر وفي الشعر مهما كانت فتحة أو ضمة أو كسرة ونرمز بنقطة إلى كل سكون كما يلي:–

فعولن					فعولن					فعل		
فَ	عُ	وْ	لُ	نْ	فَ	عُ	وْ	لُ	نْ	فُ	عُ	لْ
–	–	.	–	.	–	–	.	–	.	–	–	.
إِ	لَ	يْ	شَ	عْ	بِ	مِ	صْ	رَ	الْ	هُ	مَ	امْ
وَ	بَ	اْ	قِ	شْ	شُ	عُ	وْ	بِ	الْ	كِ	رَ	امْ

ونظمت أيضاً مسيرة مار جرجس التي نشرتها صهيون والأنوار وها هي:

سما الخلد فوحى بأحلى عبير وقولي لروح الشهيد الشهير

سلام المسيح يسوع القدير على مار جرجس نجل الأمير[٥]

نشأت تقياً على الأرض براً وكنت سخياً ولازلت بحراً[٦]

تفاضلت ريا ويمناً وذخرا فخذيا حربا ذرا المجد أجرا[٧]

صرفت الشباب لخير العباد فذقت العذاب جزاء الجهاد[٨]

وقدت الجنود لشرع الكمال فنلت الوعيد وأقسى النكال

ولما دهاك عذاب البلايا وهدت قواك شرور البرايا

وأرداك هول خطوب المنون أقامك قول يسوع الحنون[٩]

قم انهض معافى وحياً سليما وسوف تكافأ وتعطى النعيما[١٠]

فكنت تقوم وتؤتى العجائب فتخزي الخصوم بتلك الغرائب

أخيراً رموك أمام الرموس لكي يخرجوك بنشر النفوس[١١]

وقالوا دهاء أقم ذي الرميم أو أرج السماء لها فتقوم

---

[٥] كلمة مار يعني السيد الشريف باللغة السريانية وجرجس كان أبوه أمير بلاده.

[٦] بر: مطيع والجمع أبرار. بحر في السخاء: كريم.

[٧] حريا: مستحقاً. ذرا الشيء: أعلاه.

[٨] النكال: العذاب.

[٩] أردى: أمات – المنون: الموت.

[١٠] خففت همزة تكافأ للضرورة.

[١١] الرموس: القبور. نشر النفوس بعثها وقيامتها من الموت والنشور مثلها.

أو ادع مسـيّا لنـا مـن سـماء   فـإن كـان حيـا أتـى كـي نـراه
ولـو ذا تـأنى تخـذناه ربـا   وإلا أمـت كمـا مـات صـلبا
فقمـت تصـلي بقلـب أمـين   وقلـت بكـل تقـى ويقـين
إليـك إلهـي أنيـب الأمـورا   أقـم مـن تجـاهي فقـاموا نشـورا
فـآمن جمـع شـهود الحضـور   ومجـد شـرع يسـوع القـدير
فهـاج الـولاة بحنـق شـديد   وقـط القسـاة رقـاب الشـهود
فمـت أخيـراً بضـرب السـيوف   وكنـت صـبوراً بـدنيا الحتـوف[12]
ومثلـك يهنـأ بـدار الخلـود   وخصـمك يفنـى بنـار ودود

(٢) البحر المتدارك ويسمى البحر المخترع

يتكون المتدارك من الأجزاء الثمانية الآتية:

فاعِلُنْ فاعلن فاعلن فاعلن   فـاعلن فـاعلن فـاعلن فـاعلن

ويجوز استعمال هذا البحر مجزوءاً هكذا:

فاعلن   فاعلن   فاعلن   فاعلن   فاعلن   فاعلن

أو: فاعلن   فاعلن   فاعلاتن   فاعلن   فاعلن   فاعلاتن

---

[12] الحتوف: جمع حتف وهو الموت.

(٣) البحر المجتث

يتكون المجتث من الأجزاء الأربعة الآتية:

مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلاتُنْ مستفع لن فاعلاتن

ويصح إبقاء التفاعيل الثلاثة الأولى على حالها وتغيير التفعيلة الرابعة الأخيرة إلى مفعولين. ويصح حذف الحرف الثاني من كل تفعيلة من هذا البحر. ويصح حذف الحرف الثاني والحرف السابع معاً في التفعيلة الواحدة.

(٤) البحر المقتضب

يتكون المقتضب من الأجزاء الأربعة الآتية:

مَفْعُولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ مفعولات مستفعلن

ويصح حذف حرف الفاء من التفاعيل كلها، ويصح حذف حرف الواو من التفعيلة الأولى والثالثة.

(٥) البحر المضارع

يتكون المضارع من الأجزاء الأربعة الآتية:

مّفّاعِيلُنْ فاعِ لاَتُنْ مفاعيلن فاع لاتن

يصح حذف النون من كل جزء من هذه الأجزاء

(٦) بحر الهزج

يتكون الهزج من التفاعيل الأربعة الآتية:

مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُن مفاعيلن مفاعيلن

ويصح إبقاء التفاعيل الثلاثة الأولى على حالها وتغيير التفعيلة الرابعة الأخيرة إلى فَعُولُنْ.

ويصح حذف النون من كل تفعيلة ويصح حذف الياء من كل تفعيلة.

ولا يصح حذف الحرفين معاً في تفعيلة واحدة، أنظر البحر الوافر.

(٧) البحر الوافر

يتكون الوافر من الأجزاء الستة الآتية:

مُفَاعَلتُنْ مُفَاعَلَتنْ مُفَاعَلَتنْ مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

ويصح تحويل مفاعلتن إلى مفاعيلين في أي تفعيله هنا وفي المجزوء أيضاً ويصح استعمال فعولن بدلاً من مفاعلتن الثالثة والسادسة.

ويجوز أن يستعمل هذا البحر مجزوءاً هكذا.

مُفَاعَلَتنْ مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

(٨) بحر الرجز

يتكون الرجز من التفاعيل الستة الآتية:

مُسْتَفْعِلُنْ مستفعلن مستفعلن مُسْتَفْعِلُنْ مستفعلن مستفعلن

ويصح إبقاء التفاعيل الخمسة الأولى كما هي وتحويل الأخيرة إلى مفعولن ويصح حذف السين أو حذف الفاء أو حذف السين والفاء معاً من أي تفعيله. وتصح استعمال مفعولن بدلاً من مستفعلن الثالثة والسادسة معاً ويصح استعمال فعولن بدلاً من مستفعلن الثالثة والسادسة معاً. وفي هذا البحر يصح أن يكون لكل بيت قافية تختم كلاً من شطريه.

ويجوز استعمال هذا البحر مجزوءاً هكذا:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن (انظر البحر كامل)

وقد نظمت على هذا الوزن من قطع الأغاني:- الدور والنولوج والطقطوقة المطبوعين في باب الأغاني في هذا الكتاب.

(٩) البحر السريع

يتكون السريع من الأجزاء الستة الآتية:-

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاَتُ مستفعلن مستفعلن مفعولات

يصح استعمال فَاعِلُنْ أو فَعِلُنْ أو فِعْلُنْ بدلاً من مفعولات في الشطرين في وقت واحد. ويصح أن تحذف السين أو الفاء من أي تفعيلة ولا يصح حذف الحرفين معاً من تفعيلة واحدة (أنظر بحر الرجز).

(١٠) البحر المنسرح

يتكون المنسرح من الأجزاء الستة الآتية:–

مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاَتْ مَسْتَفْعِلُنْ مستفعلن مفعولات مستفعلن

ويصح أن تبقى الأجزاء الخمسة الأولى كما هي وتحذف الفاء أو اللام من الجزء السادس مع التزام هذا الحذف في كل بيت ويصح أن تحذف الفاء من التفعيلة الثالثة إذا حذفتها من التفعيلة السادسة. ويصح استعمال فاعلات بدلاً من مفعولات الثانية والخامسة في نفس الوقت.

(١١) البحر الكامل

يتكون الكامل من التفاعيل الستة:–

مُتَفَاعِلُنْ متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

ويصح إبقاء الخمسة الأولى كما هي مع حذف اللام من التفعيلة السادسة فتصير مُتَفَاعِنْ. ويصح تحويل التفعيلة الأخيرة إلى فِعْلُنْ أيضاً. ويصح استعمال فَعِلُنْ بدلاً من التفعيلة الثالثة والسادسة. ويصح تسكين التاء في كل تفعيلة فتنقل متفاعلن إلى مستفعلن (أنظر الرجز) ويجوز

استعمال هذا البحر مجزوءاً هكذا:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

وقد نظمت على هذا البحر القصائد الآتية:-

آمال وأحلام

نشرتها مجلة الشرق والغرب في عددها الصادر في نوفمبر ١٩٤٥ هكذا:

الســـعد قبـــل حمـــامي	أملـــــي مـــــن الأيـــــام
ورضـا الإلـه علـى الـدنا[١٣]	هــــو غــــايتي ومرامــــي
أملـــي أرى الـــدنيا صـــفت	مـــــن وحشـــــة وظـــــلام
وتخلصــــت مــــن قســــوة	وتطـــــــاحن وخصــــــــام
فنــــرى الممالـــك كلهـــا	وطنــــــاً لكــــــل تســــــام
ترعـــى العجـــوز وتعتنـــي	بمعيشــــــــة الأيتـــــــام
وتكـــــافح الأميـــــة	وبطالــــــة الأطغــــــام[١٤]
وتعـــالج الأزمـــات فهـــ	ي معــــــاول الهـــــــدام
وتفـــي الصـــناعة حقهـــا	مــــــن أجـــــرة ومقــــام

[١٣] الدنا جمع دنيا.

[١٤] الأطغام هو العمل في مقابل القوت ومنها الطغام وهم الذين لا يعملون إلا للحصول على طعام بطونهم.

وتزيـــــــل آلام الـــــــورى   مــــــن كربـــــةٍ وســـــقام[15]

وتـــزيح مـــن قانونهـــا الـــ   أحكـــــــام بالإعـــــــدام

كـــي لا تقـــاوم بالقضـــا الـــ   إجـــــــرام بـــــــالإجرام

أملـــي نزيـــل مـــن المـــلا   وثنيـــــــــة الأصـــــــــنام

فنبـــث أديـــان الســـما   فـــــي ســـــائر الأقـــــوام

لتـــدب فـــي الـــدُنيا دبيـــ   ب الـــروح فـــي الأجســـام

فتعـــيش فـــي بحبوحـــة   وســـــــعادة وســـــــلام

وتـــرى النعـــيم ربوعهـــا   بـــدل الجحـــيم الـــدامي

ولســـوف تســـعدني المنـــى   وتحـــق لـــي أحلامـــي

مـــا دامـــت التقـــوى هـــدى   وســـــبيل كـــل تمـــام

وفاء النيل وذكرى سعد زغلول باشا

نشرتها جريدة مصر في **٢٣** أغسطس سنة **١٩٤٥** ومجلة صهيون في عدد سبتمبر سنة **١٩٤٥** على النحو الآتي:

أخلصت للأوطان في دنيا كـا   فرعـي الوفـا لـك نيلهـا وجزاكـا

وجرى بها من فيض حبّة فيك يا   سـعد الحمـى متتبعـاً مسـعاكا

---

[15] الورى: الناس.

يـــروي[16] علـــى طـــول الـــبلاد يــا سـعد (مــا) تحيــا بِهــا ذكراكــا

حتـى تغنـى الكـون باسـمك فـي وزهــت بــه الــدنيا هنــا وهناكــا

فــأنعم[17] بــذكراك التــي فاحــدث وأنعم[18] بمن يقفون[19] إثر خطاكا

عيد سعيد

زار الـــــبلاد فتوجـــــت هاماتهـــــا الأعـــــلام

وسرى إلى الدنيا فعم البشر والأنعام

عيـــــد ســـــعيد قائـــــل لـــــك ثغـــــره البســـــام

مـــولاي دام عـــلاك تحـــ رســـه لـــك الأعـــوام

والـــدهر يقرئـــك التهـــا نـــي ملؤهـــا الأعظـــام

فيزيـــدها بالحـــب أفـــ ئـــدة لهـــا الإكـــرام

ويـــديمها للخلـــد مصـــ ر وللعـــــلا الأهـــــرام

عيــد ســعيد بالتهــاني أقــبلا لزفاف تهنئتي إلى كل الأنام

فتقبلوهــا مــن فــؤادي القائــل الله يجعلـه لكـم عيـد السـلام

أســـمى التهـــاني زفهـــا عيـــد القيامـــة بـــاحترام

---

[16] يروى تتحمل هنا معنيين أحدهما يسقي والثاني يذيع الأحاديث. وكلمة (ما) يقصد بها في الحالة الأولى البلاد التي تحيي ذكرى سعد وفي الحالة الثانية تعود (ما) على الأحاديث والخطب التي تشيد بذكراه.

[17] وأنعم بفتح العين: أهنأ.

[18] أنعم بكسر العين للمدح مثل نعم وهي عكس بئس.

[19] يقفون بتسكين القاف معناها يسيرون متتبعين.

فتفضـــــــــلوا بقبولهـــــــــا   مـــن كـــل قلبـــي والســـلام

(١٢) بحر الرمل

يتكون الرمل من الأجزاء الستة التالية:

فَاعِلاَتُنُ فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

ويصح تحويل فاعلاتن الثالثة إلى فاعلن مع بقاء بقية التفاعيل على حالها ويصح استعمال فاعلن بدلاً من التفعيلة الثالثة والسادسة معاً.

ويصح حذف الألف الأولى من فاعلاتن. ويصح حذف النون ولا يصح حذف الحرفين معاً في تفعيلة واحدة.

ويمكن استعمال هذا البحر مجزوءاً هكذا:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

وهنا يصح تحويل فاعلاتن الرابعة إلى فاعلن

وقد نظمت على هذا البحر القصائد الآتية:

ترحيب السماء بروح الأنبا مكاريوس الثالث وقد نشرته المنارة المصرية في ٤٥/٩/١٥ وصهيون أكتوبر سنة ١٩٤٥.

بلبـــــــل الفـــــــردوس غـــــــن   مـــع جميـــع مـــن لـــديك

وأرســـــــل اللحـــــــن يهنـــــي   مـــن مضـــى اليـــوم إليـــك

أيها الكون المعلى　　　بشر الأنبا يؤانس
كي يجهز المحل　　　بجوار مار مرقس
فالذي قد استقر　　　عندك اليوم وآنس
بطريرك قبط مصر　　　غبطة الأنبا مكاريوس
أتيه من الأعالي　　　علية المرنمين
هاتهم ولا تبال　　　باندهاش الحاضرين
وانشدوا من كل قلب　　　ذلك الحبر الأمين
بالنشيد المستحب　　　"مرحباً بالقادمين"
كنت في كل الأمور　　　كاملاً شهماً أبياً
وستبقى للدهور　　　مثلاً حيا عليا
فاسترح من العنا إن　　　كنت قد عانيت شيا
وتنعم يا شفيع　　　في سما الخلد هنيا

الأنوار، أو وصف الشموس والأقمار

نشر معظمها بجريدة الأنوار في يناير ٩٤٧ والوطنية في سبتمبر ١٩٣٤

قد خرجت مع ضيفٍ　　　ذات ليل للحقول
لاتقاء حر صيفٍ　　　واجتلا[20] الريف الجميل

[20] اجتلاء الشيء هو النظر إليه.

بـــــين روضــــــات ونهــــــر ومهـــــــاً[21] وجوســــــــق[22]

والســــــنى الفضــــي يســـري ســــــــريان الزئبـــــــق

مـــن ســــما وشـــهب ليـــل حــــول بـــــدر جلـــــسٍ[23]

مثـــــل كــــــافور[24] وطـــــل روقبـــــــا بنـــــــــرجسٍ

غيـــــر أن الشــــهب مالـــت نحـــو حســـن الانـــبلاج[25]

فتراحمــــــــت وباتـــــــت بــــين خفــــق وارتجــــاج

مثـــــل جنـــــاتٍ تقــــيم عنـــــد بحــــر كالزجــــاج

كلمـــــا مــــر النســـــيم رقصـــــت مــــع العجــــاج

مثـــــل أبهـــــى راقصـــــات الـــــتفنن فــــي ابتهـــــاج

بعـــــــرائس (الـــــــذوات) فـــــي محافـــــل الـــــزواج

فحـــــدقت (فـــــي) الســـــماء قـــائلاً مـــن فـــي الأعـــالي؟[26]

أرئـــــــــــــــيس وزراء بـــــين أصـــــحاب المعـــــالي؟

---

[21] المها: جمع مهاة وهي بقرة وحشية واسعة العينين. والمها تستعار للنساء لعلاقة المشابهة بينهما في اتساع العيون وجمالها.

[22] الجوسق هو القصر.

[23] جلس جمع جالسات.

[24] الكافور هو نبات قاتم اللون شبهنا به الليل والطل هو نقط الندى التي تشبه في لمعانها نجوم السماء. النرجس زهر أبيض شبهنا به البدر.

[25] الانبلاج يقصد به النور الأبيض. بحر كالزجاج يقصد به البحر الهادي الذي سطحه مثل سطح الزجاج. العجاج هو ما يثار من الغبار وأمواج البحر وعرائس الذوات هم عرائس الأغنياء.

[26] يقال حدق إلى ورنا إلى واستعملت بعدها حرف الجر (في) للضرورة.

أم رســـــول النـــــور قامــــت حولــــه الحـــــور ســــعاة؟

مــــا بــــدا إلا وكانــــت فـــــي ركابــــــه مشـــــاة

أم مليـــــــك يتهـــــــادى بـــه ركـــب فـــي انســـجام؟

بـــــين شـــــعب يتمـــــادى فــــي هتــــاف وازدحــــام

ورنـــــوت (فــــي) النجــــوم قـــــائلاً مـــــن هــــؤلاء؟[27]

يــــا تـــرى حـــور النعـــيم؟ أم ملائـــــــك الصـــــــلاة؟

أم بشـــــــائر الســـــــلام خطهــــــا رب الفـــــداء؟

لهنـــــــــاءة الأنـــــــــام بالســــنى فـــوق الســــناء[28]

أم قصـــــائد الليـــــالي وأناشـــــــيد الســـــــماء؟

صـــاغها وحـــي الأغـــاني مـــــن بـــــدور وضـــــياء

فأجـــــــابني النــــــديم بعــــــد إمعـــــان وقـــــالا

هــــي لا شــــك النجــــوم بينهــــا البـــدر تــــلالا[29]

يـــا لحســـنٍ قـــد حـــواه فــــي محيـــاه البــــديع

مـــــا فتـــــى إلا حـــــواه مـــن خـــلٍ إلـــى ولـــوع[30]

---

[27] يقال حدق إلى ورنا إلى واستعملت بعدها حرف الجر (في) للضرورة.

[28] السنى: النور، والسناء: العلاء.

[29] تلالا: يعني تلألأ مثل اللؤلؤ وشع نوره.

[30] حواه الأولى بمعنى احتوى عليه وحواه الثانية بمعنى حوله. خل: خال. ولوع: مملوء بالحب والرغبة والغية.

فهــو ســـحر قـــد تـــولى نفشـــــه فـــــرط بهــــاه[31]

ولهــــــاروت تخلـــــــى عـــن قليـــل مـــن رقـــاه[32]

هكـــذا ظـــن القـــدامى حينمـــــا رأوه بـــــدرا[33]

فســـموا بـــه كلامـــا وأشـــادوا بـــه قـــدرا[34]

فســرى القـــول يقينـــا عنـــد أهـــل الجهـــل طـــراً

بعـــد مـــا كـــان ظنونـــا صـــاغها الخيـــال شـــعرا

ولهـــذا عبـــدوه وتغنـــوا بـــه فخـــرا

وغـــووا إذ اللهـــوه ورقـــوا باســـمه ســـحرا

البدر بين الأدب والدين

هـــو فرقـــد البـــدور قـــد أحبتـــه النجـــوم

إن ســـها عـــن الحضـــور جـــن ليلهـــا البهـــيم[35]

وإذا مـــا غـــاب عنـــا تلـــبس الـــدنيا الحـــداد

فهـــو يكســـي الكـــون حسـنا كلمـــا آب وعـــاد

وهـــو لليـــل ربيـــع نـــور الكـــون ســـناه[36]

---

[31] بهاء: جمال.

[32] هاروت: إله السحر كما يزعم العرب. رقاه: تعزيمته ونمنمته.السحرية.

[33] القدامى: القدماء.

[34] سموا به كلاما أي قالوا فيه كلاماً قد أعلى قدره.

[35] جن الليل: أسدل ستاره. والليل البهيم المظلم.

[36] نور: أضاء أو أطلع النور والزهر.

فأحبه الجميع   وابتغوا طول بقاه[37]

وهو نور غير أن   طبعه جد عجيب[38]

ما رأى النهار إلا   واستعد للهروب

وهو كوكب معلى   بين آفاق النجوم

إن هوى من فوق حل   في الدنا هول الجحيم

وهو رمز لرسول   قد أتى وسيؤوب

فترى بعد الأصيل   شمس ظهر لا تغيب[39]

إذ نرى رب الفداء   مع ملائك الأعالي

قد أتوا من السماء   فوق مجد وجلال

فاستعدوا للتلاقي   بالصلاة والزكاة

فالصلاة يا رفاقي   خير أسباب الصلات[40]

والزكاة بالسرور   هي خير الحسنات

فابذلوها للفقير   ولكل المكرمات

ابذلوا المال وجودوا   تكسبوا حباً وجاها

---

[37] بقاء: بقاؤه.

[38] جد عجيب: عجيب جداً. والبدر هو رمز إلى الرسول يوحنا المعمدان بدليل قول يوحنا الرائي: رأيت امرأة متسربلة بالشمس والبدر تحت رجليها وحولها أثنى عشر كوكباً أي رأيت أثنى عشر رسولاً مع العذراء أم المسيح شمس البر وقد سجد لها يوحنا وقت زيارتها لأمه.

[39] الأصيل هو الشفق أي نور الشمس عند الغروب أو هو صاحب الأصل العريق مثل يوحنا المعمدان والمقصود بالشمس التي لا تغيب المسيح له المجد.

[40] الصلات جمع صلة.

أجزلـــوا العطـــا تســـودوا فالعطـــا يرضـــي الإلـــه

(١٣) البحر المديد

يتكون المديد من التفاعيل الستة الآتية:

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

ويصح حذف الألف الأولى من كل تفعيلة من هذه التفاعيل. ويصح حذف النون من فاعلاتن. ويصح تحويل التفعيلة السادسة (فاعلاتن) إلى فاعلن أو فَعِلُنْ، وما عمل في آخر الشطر نلتزم عمله في آخر كل شطر من الأبيات كلها.

(١٤) البحر الخفيف

يتكون الخفيف من الأجزاء الستة التالية:

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

ويصح أن تستعمل مفعولن أو فاعلن بدلاً من التفعيلة السادسة وتبقي الخمسة الأولى على حالها. ويصح أن يستعمل فاعلن بدلاً من التفعيلة الثالثة والسادسة في وقت واحد. ويجوز استعمال هذا البحر مجزوءاً مثل:

فـــاعلاتن مســـتفع لـــن فـــاعلاتن مســـتفع لـــن

ويصح استعمال فعولن بدلاً من التفعيلة الرابعة.

(١٥) البحر الطويل

يتكون البحر الطويل من الأجزاء الثمانية الآتية:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

ويصح حذف نون فعولن. ويصح تحويل مفاعيلن الرابعة والثامنة إلى مفاعلن بدون ياء. ويصح استعمال فعولن بدلاً من التفعيلة الثامنة، وما يعمل في آخر البيت الأول يلتزم عمله في آخر كل بيت.

وقد نظمت على هذا البحر تهنئة لجلالة الملك فاروق بتوليه الحكم، وقد نشرتها الوطنية في ٢ أغسطس سنة ٣٧ ومجلة المنارة في ١٣ منه ومجلة الأسبوع في ١٦ منه هكذا:

تفضل تول الحكم يا عاهل الحين فمصر حبتك الآن عرش الفراعين

وأعطتك ملكاً يصحب الخلد مجده وشعباً من الغر الكرام الميامين

يبايعك اليوم الولاء وفاؤه فتهتف باسم (اليوم) كل الأحايين

ويبقي لك الدهر الولاء مقدساً كما أبقت الأسلاف تقديس (آمون)

وينشدك الحب القلوب بأسرها فيشدوا بهذا الحب نبض الشاربين

وما عجب أن بشك الحب نبضنا فأرواحنا قد صيرته لها دين

وحسبك من هذا التدين أنه يوافيك منها كل يوم قرابين

فنعمـاك يـا (فـاروق) بالشـعب إنـه يبـاهي بـك الأقمـار قبـل السـلاطين
ويهنيـك يـا مـولاي إن الحمـى إذا دعـا لـك قـال العـرش آمـين آمـين

وقد حولت هذه القصيدة إلى القصيدة التالية طلباً للإنصاف بالإنابة عن أساتذة الفن وبالأصالة عن نفسي وقد نشرتها مجلة صهيون في عدد يناير سنة ٩٤٧ هكذا:

تفضـل تـول الفـن. أنصـف رجالـه فقـد تعبـوا مـن سـعيهم فـي الـدواوين
ولـم يبـق للمظلـوم غيـرك مرتجـى فأنـت نصير الحـق يـا منصـف الحـين
وخيـر نزيـهٍ فـاق فـي الحـق والنـدى كـرام العـدول الكـاملين الميـامين
يبايعـك الفـن الـولاء ويهتـف كمـا هتـف الأبـرار يـوم الشـعانين
ويبقـي لـك التبجيـل مجـداً مخلـداً كمـا خلـد التـاريخ مجـد الفـراعين
يـدوم علـى الأزمـان فرضـاً مقدسـاً كمـا قـدس الأسـلاف فـي مصـر آمـين
وينشـدك الحـب القلـوب بأسـرها فيشـدوا بهـذا الحـب نـبض الشـاربين
ومـا عجـب أن بشـك الحـب نبضـنا فحـب الـذي أرضـى الآلهـة مـن الـدين
وحسـبك مـن هـذا الـدين أنـه أدام لـك الإجـلال كـل الأحـايين
وأبقـى لـك الأهـرام تجثـو فامهـا أبـو الهـول فـي رفـع الرقـي والقـرابين
فنعمـاك يـا مـولاي فالحـب والـولا ء مـن نعمـة المـولى أيـا منصـف الحـين
وحسـبك أن الفـن أو أهلـه إذا دعـوا لـك قـال الكـل آمـين آمـين

(١٦) البحر البسيط

يتكون البسيط من التفاعيل الثمانية الآتية:

مُسْتَفْعِلُنْ فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

ويصح أن تحذف السين من التفعيلة الأولى والخامسة فقط، لأن ابن مالك يقول في ألفيته:

واخبن بسيط وما قبل أنتها امنعه مُتَفْعِلُنْ فاعلن مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ

ويصح حذف الألف من فاعلن في أي موضع من البحر. ويصح استعمال فعلن بدلاً من التفعيلة الأخيرة الثامنة وما يعمل في آخر البيت الأول يلتزم عمله في آخر كل بيت من القصيدة.

ويجوز أن تستعمل بحر البسيط مجزوءاً هكذا:

مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن

وفي هذه الحالة فقط يصح أن يستعمل مفعولن أو فعولن بدلاً من التفعيلة الأخيرة وحينئذ يسمى البسيط المخلع.

وقد نظمت على هذا البحر قصيدة الإهداء وقصيدة السعادة في باب الغزل والمواليا والقصائد الآتية:

ما للعواذل رقوا

ما للعواذل رقوا ما الذي حدثا من بعد ما جرعوني اللوم والحسدا؟
وما لعيني ترف اليوم في فزعٍ والدمع ينزل منساباً ومطردا؟
وما لقلبي علت أناته هلعاً وقد عهدته قبل الآن لي غردا؟
أين الذي انشغفت من حبه كبدي فحن قلبي وقال اليوم واكبدا؟
يا قلب هل نلتقي بالسعد ثانيةً وهل يفي بالمنى أم لا يفي أبداً؟
يالهف نفسي كتمت السر فانبعثت دلائل الوهم تبلي الروح والجسدا
فواه من كتمٍ بالله تنقذني يا قلب هل صرت بالكتمان منفردا
قد همت في جنبات الصبر وما التمست أهاج الوجد والكمدا
فامتد بي جزعي واشتد بي فزعي ولم أزل بلظى الأوهام متقدا

مولاي رفقاً

مولاي رفقاً أتبلى القلب ومن تعذبه البلوى ولم يهن؟
وهل يحل عذاب القلب من ولهٍ لم يوح قط بغير العين والأذن؟
وإن تسبب قلبي في صبابته فأي شرع يجازي الحب بالأحن؟
وما الرجاء من هوى إن هد بالهم والغم أو بالوهم والوهن؟
وأي فائدة للحب بعدئذٍ ما دام كالبغض يبلي صحة البدن؟
ما كنت أحسب للتشبيب أي حتى تأود جسمي منه كالفنن
ثم انثنى في يد الأشجان منزوياً كغادة زويت في حضن مفتتن

ولـم يـزل هكـذا فيمـا ألـم بـه   حتـى ذوت صـحتي فـي قبضـة

والفكر غير لي شكلي وها أنذا   لـولا هـواك معي مـا كنـت تعرفـني

والهـم أشـعفني والغـم أشـغفني   والـوهم أضـعفني والسـقم أقعـدني

مـا بي حـراك سـوى جفـن أقلبـه   تقليـب منطـرح فـوق الحصـى

وعـارض يتهـادى فـي محـاجره   كمنـتشٍ ثـم يهمـى كالنـدى الهـتن

يخـط فـي الوجـه آيـاتٍ مسـطرةً   ارحـم شـريف الهـوى مـن شـدة

ارحـم محبـاً يعـاني مـن محبتـه   لله والأهـل والأصـحاب والـوطن

ارحم ضـعيفاً إذا مـا غـض نـاظره   قيـل انتهـى المبتلـى فلـيكس

وانظر أمولاي فعل الهجر والوله   كيـف اسـتحل عـذاب الـنفس

وبعد هـذا أتنـأى عـن شـج دنـفٍ   يزهو بمرك في الذكرى أو الوسن؟

وهـل تجـافى وفيـاً دام مبـدؤه   كغايـةٍ يرتجيهـا كـل مفتـتن؟

لا تجـف فـالحق يقضـي للوفـاء   لـه وللحـب يعلـى أشـرف الـثمن

فـاجز الشـريف بمـا يرجـوه مـن   واعـط الـوفي الجـزا مـن أطيـب

ومن وشي سسـه و(اعرض) عن   تأمن عثارك في ما ليس بالحسن

وسالم الناس تسلم من عداوتهم   وتعتبـر مـن أهـالي الفضـل والفطـن

أمـا العـذول فـلا تطلـب إدانتـه   كمـا يقـول آلـه الشـرع والسـنن

أحبـب عـدوك واصـفح عـن   فالصـفح يقضـي علـى الأحقـاد

مـولاي جـد بالصـفا إن كنـت   جـد بـالمنى عـاجلاً إن كنـت

ولا يهـون عليـك الحـر تبئسـه		فـالحر للحـر معـوان علـى الـزمن

جد لي براحة بـالي وإنهـا أملـي		وخيـر مـا أبتغـي إن كنـت تسـألني

يـا روح عجـل فخيـر البـر عاجلـه		ولا تجـب لعـذول كـاد يبئسـني

إن العوازل في شرع الغرام شيا		طين الخصومة وأسأل كل مفتتن

تعذر حبيبك إن ضجت جوانحه		أو قال مشتكياً في السر والعلن

أعـوذ بـالله إن لـم نصـف ثانيـة		فمن صفائك ما يقضي على حزني

ومن تعطفك الإنصاف مكتملاً		ومـن محننتك الابـلال مـن محنـي

وقد نظمت من مخلع البسيط القصيدة الآتية في رثاء أمير الشعراء المغفور له أحمد شوقي بك قائلاً:

في جنة الخلد يا شوقي[41]

مـل عـز أرض الحمـى وابـك		ففـي ثراهـا ثـوى شـوقي

فاجعـل لـه الزهـر إكلـيلاً		وضـعه فوقـه بـالرفق

مـل نـذرف الـدمع مـدراراً		حزنـاً علـى شـاعر الشـرق

فروحـه قـد سـلا الـدنيا		وطـار نحـو ذرا الأفـق

وفـات خلفـه أغصـاناً		تعلـو وتنـزل مـن فـوق

كأنهـا أصـبحت قلبـاً		مـن شـدة الخطـب فـي خفـق

[41] من الوفاء أن أذكر لهذا الرجل مكارم أخلاقه وما أبداه نحوي من عطف وتشجيع حينما كنت أعرض أمامه ما نظمته من الأغاني على الأستاذ محمد عبد الوهاب الموسيقار قبل سفره إلى العراق.

تقـــول للـــريح: يـــا روحـــي مـــا بالـــك اليـــوم فـــي حنـــقٍ؟

ومـــا لغيـــرك فـــي لطـــم؟ قـــل لـــي وربـــك بـــالحق؟

مـــالي أرى الـــورق قـــد صـــارت ثكلـــى مطوقـــة العنـــق؟

هـــل عـــز شـــوقي عليهـــا حتـــى تـــؤثر المـــوت بالشـــنق؟

يـــا مصـــر عـــزي الألـــي فـــاقوا فـــي النثـــر والـــنظم والنســـق

إذا مـــات مـــن فـــاقهم طـــراً بالعبقريـــــة والحـــــذق

إذ قـــال للنثـــر كـــن شـــعراً ففـــاز بالســـبك والســـبق

فشـــــيعيه وقـــــولن مـــع القطـــا وذوى النطـــق:

إلـــى النعـــيم مـــع الهـــادي ... فـــي جنـــة الخلـــد يـــا شـــوقي

وفي ١١ يوليو سنة ٩٣١ أشارت جريدة الضياء إلى قصيدتي التي رثيت بها المرحوم الأستاذ ويصا واصف رئيس مجلس النواب.

الأغاني

هي شعر نظمه الأولون قصائد وتغنوا بها وقد أضاف إليها البرامكة والفرس والأندلسيون والمصريون فنوناً أخرى تذكر فيما يلي:-

المواليا

هي فن من فنون الشعر قد اقتصر وزنه على البحر البسيط المخمس الذي اتحدت فيه القافية من الشطرات الأولى والثانية والثالثة والخامسة وشذت الرابعة. وأول من اخترع المواليا هم أتباع البرامكة بعد نكبتهم

فندبوهم قائلين يا موالي يا موالي علماً أن الموالي جمع مولى وهو السيد وبعد تعاقب الأيام استعملت المواليا في الغناء ونظمت باللغة العامية لأنها سهلة التشكيل يمكن للناظم المبتدئ أن يكيف نطقها على الوزن بسهولة. وقد نظمت منها ما يلي:-

آن الأوان لفؤادي والهنا أدى له   وساق له بلبل ضرب ع العود وغنى

خلاه سرح في نعيم الفرح يهنا له   جادله الزمان بالسرور بعد البكا

وداق حلاوة الهنا يا ناس وراق باله

ياما نهيتك ي قلبي والغرام هواه   اسلاه بقى وروق ي قلبي والأمور لله

وارجع لعشك ي طير من فات قديمه تاه   وإن هزك الشوق لمحبوبك وعز الفراق

يكره ي طير يجمعك يوم الحساب وياه

والله البعاد ده م كان يخطر على بالي   أو كنت أظن السما تبكي على حالي

إن كان لي نار الغرام والجنة للخالي   زيدني عذاب في هواك يا بدر واتهنا

وأحلفك بالإله ما تقول لعزالي

كل الأحبة مع العزال ي ناس مالوا   علي أناو صبحوا الخالي يقول ماله

ما لبخته مال فين هناه فين راح وفين ماله   آه م الزمان هان عزيز النفس من صغره

وساب ي ناس الهموم تلعب بآماله

يا شمس يا اللي الدهب من نورها   تحت الليالي سقيم م الهجر ما

---

[٤٢] ضرب ع العود: مشى ع الغصن أو دق على أوتار العود.

كـادني الفـراق وأخـد كـاس الهنـا منـي والليل لبس توب أساه صعبان عليه

عـايز تطلـي ي عـين مـن قصـرك العـالي لحسـن غيابـك ي روحي راح يجننـي

راسي الجمال يا اللي خدت العقل من هني حبيبك بحسن الصفو يا راسي

ما دام هواك جار عليه والعتب كان آسي واعطف عليه وبلاش كتر الأسيه بقى

ما دام بقيت ي جميل فوق كل شيء راسي

قلـب علـي الزمـان الهـم يـا غلبـي وزاده بـالمر بعـد الصـبر فـي غلبـي

معرفش ليه العذاب ده منه يا ربي وليـه يفكـر علـى الشـوق لأحبـابي

ما دام قلوبهم ي ناس جارت على قلبي

مين قال ي عين (تشبكي) القلب ف هوى الورد مين

ما دام (كتابه) ي عين بس (انكتب) ع الجبين

و (تنقطي) ليه على خدودي بالدموع كل حين

حقك ي عين (تعزمي) ع الصبر يكفاكي

دمعك بقى له (خضاب) من ناره جار ع الجفون

غنـى فـؤادي علـى عـود الأسـى وقـال آه كـادني الهـوى بعـدما سـيد المـلاح ولاه

آه منه يانا ي بخت اللي الزمان هناه كسـر بخـاطري ي نـاس والكسـر زاد

قمت اشتري له دواه م البدر قام غلاه

يللي عليـك الـدلال والحسـن ربـاني ليـه تـنس بعـد الحنـان منـك م ربـاني

أمانـه ترجـع بقـى دي الفرقـة كايـداني وارحـم عليـل عمـره والله مـا سـتمع

واشقي المتيم حلاوة الحب من تاني

يللي أسيت م الدلال الحلو طبعه كدا   وإن رحت تظهر له تأثير حسنه زاد

وفر بقى شكوتك شمت فيك العدا   وقول لقلبك بدل ما تشتكي وتنوح

اصبر تنول دا الغرام انسام وغيم وندا

الدوبيت

مأخوذة عن الفارسية ومعناه البيتان ينظمهما الشاعر من بحر واحد على أن تختم أواخر شطراتهما الأربعة بقافية واحدة مثل.

الحمـــد لغفـــار الـــذنب   والشـــكر لســـتار العيـــب

والســبح دوامـــا لـــك ربـــي   ولـــك التمجيـــد مـــع الحـــب

ويصح أن تتحد ثلاث شطرات في القافية وتختلف عنها الرابعة. ويوجد نوع ثالث من الدوبيت تقفى فيه قافية الشطر الأول من البيت الأول بقافية الشطر الأول من البيت الثاني وتقفى الشطرة الثانية من البيت الأول بقافية الشطرة الثانية من البيت الثاني مثل.

قـــد خرجـــت مـــع ضـــيف   ذات ليـــــل للحقـــــول

لاتقـــاء حـــر صـــيف   واجـــتلا الريـــف الجميـــل

الموشحات والقوافي والزجل

أصلها أغان مصرية نظمها المصريون في مدح فراعنتهم وقالها أبناؤهم الأقباط في الترانيم الدينية، ونقلها عنهم بعض شعراء العرب ومنهم أولاد النجار الحجازي إذ أنشدوها وهم متوجهون إلى المدينة المنورة ليستقبلوا النبي وبأيديهم الدفوف التي رأوا استعمالها في الكنائس.

وقد توسع الأندلسيون في هذا الفن وتفننوا في قوافيه حتى أبدعوا إلى درجة أن تعلق العامة بهذا الفن فنظموه بلغتهم الدارجة وسمي بالزجل تشبيهاً بتغريد الحمام الزاجل.

والأصل في القافية هو القفا أي ظهر الرقبة وقد أطلقها علماء العروض على آخر بيت الشعر وقد تكون جزءاً من كلمة أو كلمة بأكملها أو أكثر من كلمة. والقافية إما أن تكون مطلقة أي متحرك آخرها أو مقيدة أي مختومة بالسكون. ومن يتصفح كتاب مزامير وتسابيح وأغاني روحية لمجمع المرسلين الأمريكان طبع بيرون سنة ٣٦ يجد معرضاً نفيساً للموشحات والقوافي.

وقد أدخل شعراء الأغاني في أيامنا هذه ثلاثة أنواع جديدة من الزجل الغنائي: أولها سموه (المنولوج) ينشده المطرب وحده. وثانيها (الدور) وقد غلب عليه تكرار عباراته وإعادة تلحينها بأنغام مختلفة.

وثالثها (الطقطوقة) ويشترك في إنشادها المطرب تارة وأفراد فرقته تارة أخرى وإليك عينة نظمتها لكل نوع منها.

الدور

ليه يا زمان ديماً مكدر   قلب اللي غاب محبوبه

واللي انكتب له شيء مقدر   لازم يشوف مكتوبه

واللي تجربه الحبايب   ليه تغلبه اللوام

واللي تهذبه التجارب   ما تعذبه الأيام

الطقطوقة

قول لي السعادة فين أراضيها   خلت فؤادي راح يطير بيها

وإن رحت أشكي الناس تقول مالها   هي السعادة حد يشكيها

ارض بنصيبك بالرضا تنولها   ويزول شقاك وتعيش سعيد بيها

وإن حد عاتبك قول لقلبك   بالعند حب وهيم كمان بيها

واللي افتتن ليه وجده يحلى لها   هو اللي تهواه نفس يشجيها

وإلا المحبة تروق لعزالها   وتقوم تجور ع اللي انكوى بيها

إن كان كدا قول للعدا   نار المحبة الذ شيء فيها

المنولوج

قول لي ي بلبل	في شرع مين	قام في العروق	يفرط دموعه
تشجي وتبهل	من غير قانون[43]	ويقول لي نادي	قول للحبيب
وإن قلت لك آه	ليه بس تتبغدد	يكفاك فؤادي	قرب يدوب
شوف قلبي تلقاه	طول معره يتنهد	قوم جودي روحي	للكون بألحانك
عايز يروق	من نار ولوعه[44]	تئس جروحي	ونحن عزالك[45]

غير مسموح تلحين أي أغنية من الأغاني إلا بعد الاتفاق مع المؤلف أو مع شقيقه بشارع نشاطي رقم ١٩ بشبرا.

[43] من غير قانون: من غير حساب أو من غير الآلة الموسيقية المسماة قانون.

[44] ولوعه: غرامه.

[45] تأسى جروحي: تشفى أو تقسو بالألم ويطابقها كلمة تحن في الشطر الثاني – أنظر باب المقابلة والطباق في علم البلاغ.

ملاحظة: أهديت بعض هذه الأغاني إلى مطربة مشهورة منذ زمن بعيد ولي الحرية في بيعها الآن.

الغزل

يغلب على الأغاني وشعر الشباب أسلوب الغزل وهو وصف المحاسن والتعرض للهوى. وقد تعود العرب بدء قصائدهم بالغزل لاعتقادهم بأنه أشهى للنفوس وأبلغ في التأثير، وقد عاف نفر منهم طريقة أبي نواس في التسيب وأنفوا مداعبته الماجنة وتهتكه في الكلام وإباحته في ذكر مالا يجب ذكره لأن ذلك من وسائل التحريض على الفسق ولا يؤمن معه اطلاع الشبان والشابات ومن يستحي من الرجال والإناث.

وقد قيل مرة لأبي السائب المخزومي: أترى أحداً لا يشتهي الغزل والتسيب؟ فقال: أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا. وقد تطرف البعض منهم في مجانبه للغزل سواء أكان عفيفاً أم غير عفيف مثل الوليد ابن رشيد الذي قال في تلخيصه (أرسطاليس): إن النوع الذي يسميه العرب بالتسيب إنما هو حث على الفسوق مهما كان عفيفاً ولذلك يجب أن يتجنبه الولدان وأن يؤدبوا في الأشعار بما يحث على الشجاعة والكرم.

وهذا حكم جائر على الغزل العفيف وما يحوي من شعر كريم وعاطفة شريفة لو تجرد منها الشعر لخلا من أقدس مواضيعه وأسمى أغراضه علماً بأن الشعر بدون غزل عفيف مثل جسم بدون قلب. ولا يمكن للزوج أن يعيش بدون المحبة الطاهرة مع زوجه ولا يستغنى عنها الصديق مع صديقه ولا العابد مع معبوده. وكيف لا وقد حضت كل رسائل الرسول يوحنا اللاهوتي على المحبة الطاهرة وعنه قد أخذ سعد باشا زغلول فقال: يعجبني أن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون. هذا

وقد أثبت العلماء أن العبادة هي غاية لمراحل ثلاث أولها الإعجاب Admiration، وإذا ما اشتد الإعجاب تحول إلى الحب Adoration وهو المرحلة الثانية. وإن اشتد الحب صار عشقاً، ثم توليها بعده يصل إلى المرحلة الثالثة وهي التالية والعبارة Worship.

وقد قال الوحي: الله محبة لأن المحبة لا تسقط أبداً تترفق ولا تحتد وتتحمل ولا تحقد تبذل النفيس لصالح النفوس وهكذا قد أحب الله العالم.

حتى بذل ابنه الوحيد كفارة عنى وعنك وعمن يؤمن به، ومن يتصفح الكتاب المقدس يجد أن سفر نشيد الإنشاد مليء بالغزل الذي ينم عن عمق المحبة وسمو في العاطفة لا يعثر بها المتدين الطاهر العفيف العارف بسر معناها.

وقد نهى علماء اليهود اللاهوتيون شبانهم عن الإطلاع على هذا السفر لعلمهم بأن الشباب ميال إلى مزج الحب بالشهوة ... وعلى كل حال فهذا علاج غير ناجح لأنه يزيد في تشوق الشباب إلى قراءة الغراميات وبلوغ المحرمات ومن الأفيد أن يفسر العلماء هذا السفر وأن يحلوا رموزه ثم يكلفوا شبانهم بالإطلاع على التفسير قبل قراءة السفر، وبذلك لا يحرمونهم من تذوق روحانيته بل يزيدون إيمانهم في محبة المسيح (المنتظر) ولعروسه المقدسة أي كنيسته.

ومن المستحسن أن يستغل العلماء عواطف الشباب لتوجيهها إلى

محبة الفضائل والتغزل في محاسنها وبذلك تسمو أفكار الشباب وتتبرر أعمالهم ويا حبذا لو استغل العلماء أيضاً تلك العواطف الجياشة في الأمور المعنوية ليصرفوا أصحابها عن الأمور المادية والشهوات البهيمية وفي الآتي مثال لما أقول:–

السعادة

هي فاتنة من الفاتنات ليس لها نفس ولا ذات. ولكنها موجودة تنشدها الكائنات. وكائنة عجيبة ليس لها منظر مرموق. ولا قد ممشوق ولكني أراها ممشوقة كل مخلوق. ولا قوام لها كالحسان أو كغصن البان ولكنها مرام كل وجدان. وحبيبة كل إنسان، يتخيلها الأعزب في الزواج من حسناء لها العيون الحوراء. التي تأسر وهي لا حية. وتسكر وهي صاحية تطل من فوق وجنات كالتفاح. لها فعل الجنات بالأرواح. وخدود لها حمراء كالورود. فوق فم يبهر إن تبسم. ويسحر إن تكلم وقوام عادل يحمده الصديق والعاذل. عليه من الحلل والحلي ما يغرر بالمقل ويغري الأبي. لأن المسكين يظن أن السعادة تخامر الأغنياء. ويراها المريض تعاشر الأصحاء ويتخيلها الساذج في بيوت العظماء. كما يتخيلها غيره في الزواج من حسناء. مع أن الحكيم سليمان خبر الأمر فقال: إن الجمال للزوال. والحسن للهباء. أما المرأة الفاضلة فمن يجدها يجد ثمنها يفوق اللآليء – وقد يزعم الأمي أن السعادة بين أحضان العلماء ويخالها الغبي رفيقة الأذكياء وقد لا يسعد بها هؤلاء أو هؤلاء كما نرى في قول القائل:–

ذو العلم يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وقد يتوهم المهموم كما يتهيأ للمخمور أنها في مجالس الأنس والحبور بين الرقص والخمور. تخاصر الناس. وتعاقر الكأس. فيقبل على الطرب. يؤانس الأحباب ويمازج (بنت العنب) بما لذ وطاب، يحتسيها فيجد فيها هناءة الشراب كهيئة السراب. الذي يظهر في الصحراء بمظهر الماء. ويتراءى لقاطع التية، ويتناءى الطامع فيه. يشاغل أنظار كل ماشٍ ولا يبل أوار العطاش ... هكذا رأيت الساعي في طلب السعادة فأحجمت عن السعي رغم الإرادة وسلوت متاعها إذ عرفت طباعها مجتهداً في عملي في هذه الحياة معتمداً في بلوغ أملي على مشيئة الله مبعداً عما يكدرني أو يكدر الغير مني قانعاً بحالي راضياً بما لي صابراً غير قانط طائعاً وخير قانت فاسترحت ونعمت براحتي وسررت واستطعمت بمسرتي وهنئت وتلذذت بهناءتي وشبعت من نعم السعد وقد تراءى لي في الأحلام وفي يقظة الليالي والأيام إذ سعدت برؤيا مليك السلام مخلص الأنام مع بعض التلاميذ في حلم لذيذ ورأيت المريخ وهو في علاه يسايرني في طريقي مسايرة الصديق للصديق. ثم ظهرت السعادة أمام ناظري وتمثلت لي بشراً سويا. مرة بشكل بطريرك جالسته في إيوانه وأخرى بشكل وزير قابلته في ديوانه وتارة برؤية ملوك وأباطرة وتارة بهيئة ملاك في جلال أميرة ... هكذا تجسمت لي طوالع السعد وراحت تعطف علي ورحت انعطف إليها حتى مثلت بين يدي ومثلت بين يديها فأجللتها إجلال الأرض والسماء للسيدة الطاهرة العذراء مريم. فسامح لي العمر وصافحني الدهر وخادتها فهادنتني بلاويه

وابيضت لي لياليه إلى أن أنفت حالي وأشغلت بالي في طلب الزيادة فهجرتني السعادة ومالت عني وعدلت عن قربها مني فسعفت منها وشغفت وسعيت في ربوعها أملاً في رجوعها ولكني لم أجد طامعاً فقيراً مثلي يتمتع بعشرتها ولا طامحاً غريراً بتربع على عرشتها إلا في أحوال الاستثناء فاكتفيت بالبحث عن الراحة هاتفاً من الأعماق سائلاً:

هل يرى راحة الحياة أناس جد فيهم للعزة الأقدام؟

(كلام المؤلف)

فتجاوب الصوت في الآفاق قائلاً:

لا. إذا كانت النفوس كبارا قعبت في مرادها الأجسام

(كلام شاعر آخر)

فنهمت وهمت حتى دفعني الوجد والهيام إلى العتب والملام فأنشدت أقول:

يا حلوة أسرت في لفظها الشهدا	وعبقت بشذا أنفاسها الوردا
وحالف الحسن منها الوجه والقدا	فران بالخد مفتوناً وما ارتدا
.. نسيت يوم بدأنا نخطب الوردا	أن الغصون تعدت حولنا الحد
فعانقت بعضها بعضاً لما جدا	.. نسيت يوم اللقا أن الهوى
فاهتز قلبي فقال الكون يا وعدا	صار الحبيب محباً هائماً جدا
أما كفى عندما أظهرت لي الصدا	أن النجوم لأجلي عانت السهدا

والليل شاطرها التسهيد والوجدا   فمسه من جواها البعض فاسودا

ولم يزل لهواك الخادم العبدا   يا روح لا تبتغي الهجران والبعدا

فالجسم لو فارقته الروح لانهدا   صلي الدنا بمناها واحفظي الودا

يا من بقربك يبقى العيش لي   ما أنت أنسيه أعني بها القصدا

بل (السعادة) أن قالوا بما اعتدا   وغيرها سوف لا أبغي عدا الخلدا

الموسيقى والتلحين والغناء

عرفنا قيمة الشعر وهناك فن أشد تأثيراً منه يسمى الغناء وهو تلحين الكلام أي إخراج الألفاظ عن نطقها العادي بمد النبرات وتقصيرها وبترجيعها وترديدها مع إطلاق الصوت بأنغام عالية ومنخفضة تحدث من دفع الهواء بين عروق العقيرة فتتذب أوتار الحنجرة بتفنن يطرب منه السامع وتترنح أعطافه سروراً ويلتذ به في نشوة ممتعة تزيد الشعر الملحن حلاوة بوسيلتين إحداهما إلقاؤه بالصوت الحسن وثانيتهما تلحينه بأنغام تزيده قوة في التأثير: أما إذا كان التلحين ضعيفاً والمطرب غير عذب الصوت ضاع الشعر تأثيره ومبلغ روعته.

ولما تنبه الأولون إلى الغناء وبلاغة تأثيره اهتموا بالتلحين والموسيقى ووضعوا لها الآلات واستعملوها في شتى المناسبات وفي مختلف الأغراض وقد استعملها العرب في الحداء بعد ما تبين لهم أن الجمال حينما تسمعها تزداد نشاطاً وتسرع في السير تارة وتارة تلتفت في مرح ذات اليمين وذات الشمال الأمر الذي يتطلبه راكبها ليأمن وعورة المسالك وشذوذ الطرق – وقد تتبختر العيس في مشيتها عند سماع الحداء وتميس الهويني مختالة ناسية أتعابها من حمل الأثقال ووعثاء السفر وهذا النسيان يصرف من قلوبها السخط على أصحابها فلا تتحرش لافتراسهم في خلوة الصحراء .. والخيل تسمعها فتطرب لها وتسلس قيادها في الحرب وترقص لسماعها فيرتزق من اتخذوا عرض

رقصاتها سبباً للارتزاق ... والأفاعي تصغي إلى سماعها وتصيخ الحياة والثعابين إلى صفير الرقاة فتلتذ بالسمع وتتجرد من وحشيتها وتخضع لأرادتهم فيأمنون أذاها. ويسمعها أصحاب الأمراض العقلية فيقف سير وساوسهم إلى حد ما ويسمعها للتعب فيرتاح وتهدأ أعصابه ويسمعها الطفل فيلهو عما يبكيه ويكف عن صراخه ويهدأ انزعاجه ويسمعها الشاعر فتنشط شاعريته وخصوصاً إذا تغنى بشعره كما كان يتغنى المتنبي واسحق الموصلي بشعرهما الأمر الذي ساعدهما على الإجادة والنبوغ.

وقد استعملها اليهود في المعابد وإقامة الشعائر الدينية لما لها من تأثير على النفوس قد يسمو بها إلى عرش اللاهوت هنا هي الموسيقى قد أذكت في داود البار روح العبادة التي ألهمته قول المزامير المليئة بالنبوات عن المسيح وعما سيحدث له في كل مرحلة من مراحل وجوده على الأرض.

وقد استعملها المسيحيون في العبادة والترتيل والتقديس والتعميد وفي الأفراح وحتى في الجنازات أيضاً – ولكن على الرغم من سماح الوحي للمؤمنين قديماً بالتوسع في استعمال كثير من الآلات كالعود والرباب والناي والمثاني والمثالث وذوات العشرة أوتار والدفوف والأبواق والصنوج الحسنة الصوت وما إلى غير ذلك من المذكور في المزامير فإن مسيحي اليوم لم يتطوروا مع الزمن في استعمال آلاته الموسيقية الحديثة خشية أن تتطرق العثرات من أنغامها إلى المصلين في الكنيسة ولهذا اقتصرت موسيقاهم على استعمال بعض آلات العهد

القديم كالترينتو والدف والأرغن – وأنا متأكد من استعداد الكنيسة لاستعمال آلات موسيقية حديثة لا تعثر المصلي بأنغامها ولا تثير فيه أية شهوة يتخلف بها فكره عن العبادة – ويعجبني في كنائس الكاثوليك وجود المرتلين مع موسيقاهم في مكان عال بعيد عن نظر أي مصل لكي لا ينشغل عن العبادة برؤياهم أثناء العزف. هذا ولم يهمل المسلمون أيضاً الموسيقى إذ استعملوها في تجويد تلاوة القرآن وتجويده على النحو الحالي هو تلحين ولا شك والتلحين هو موسيقى مهما كانت مجردة من استعمال الآلات المصنوعة.

الرقص

إذا كان الغناء فن يطرب بتحريك أوتار الحنجرة وإظهار محاسن صوتها فالرقص أقوى تطريباً وأشد تأثيراً إذ به تعرض - لا جمال صوت الحنجرة فقط - بل محاسن الجسم وتركيبه وجمال أشكاله بحركات تطرب الأفئدة وتثير العواطف وتأسر الشعور وتجذب الأبصار. ولهذا لم نكن مبالغين إذ عددناه من الفنون الجميلة لأن الفن كما قلنا سابقاً هو كل تلحين أنغام أو سبك كلام أو رسم أشكال أو عمل أشغال أو أي أمر يؤتيه الإنسان من عالم الخيال إلى عالم الحس ليحدث في النفس شعوراً بالارتياح والإعجاب وتأثيراً في العواطف بالطرب والوجدانيات مع الاعتراف بما حوى من جمال ومحاسن.



لوحة (٧١)

والرقص سواء أكان جميعاً أم ثنائياً (زوجياً) أم فردياً فهو متعة للناظرين علاوة على أنه ينشط جسم الراقص ويقوي عضلاته ويذكي حرارته ويحسن صحته ويهضم طعامه ولهذا تقررت مباشرته في المدارس على هيئة ألعاب رياضية قد وضعت لها أصول وتمارين مبنية على علم الطب ووظائف الأعضاء واحترف تدريسها معلمو التربية البدنية فأفادتهم هذه الحرفة الشريفة بالارتزاق منها ولكنها أحياناً ترهق أعصابهم وتذبح أصواتهم بكثرة العمل وتعدد الحصص وقد تعرضهم في الشتاء هم وتلاميذهم للبرد ولهذا يجب تلافي هذه المضار لتكمل فائدة هذا النوع من الرقص الذي لا يختلف عن الذكر عند بعض المسلمين في شرف مقصده وطهارة غيته أما الرقص الزوجي فظاهر من اسمه أن اثنين يباشرانه وأحسن ما يكون بين الرجل وزوجه ليزيد ميله إليها وتمتعه بها إذ تخاصر المرأة الرجل بيسارها وهو يمسك يمينها بيده اليمنى ويطوق خصرها بشماله ويضم صدرها إلى صدره على النحو الظاهر في لوحة ١٩ فتلتصق ثندوتاه بما لها من نهدين لهما تأثيرهما عليه ويتاخم بطنها ببطنه فتتراجع فيتابعها وتقرب فيها صرها وإن دارت يدور معها وإن سارت سايرها والأرجل بين هذا وذلك تتداخل فتصطك الركب وتتلاحم الأفخاد فيشتد الشبق ويقوى الإنغاظ[٤٦] وتلتف الساق على الساق ولا يبقى للمتعة غير الباقي ولهذا لو كانت رقصة التانجو هذه بين امرأة ورجل غير بعلها لكان معثراً في بلاد جوها حار كبلادنا لأن اجتماع ذكر وأنثى على هذا النحو لا يختلف عن الجماع إلا بكونه عند مرضى النفوس كالداء

[٤٦] الاشتهاء والشهوة والغلمة والشبق والإنغاظ حالات متدرجة لشدة الرغبة الجنسية.

السام يستعمل من الظاهر.

وهكذا يكون أيضاً الرقص الفردي إذا كان المقصود منه أن تعرض المرأة محاسن جسمها عارياً ليهيج عواطف الناظرين وتبتز نقود (المتفرجين) أو إذا اتخذته المرأة سلاحاً تؤثر به على الرجل لتنال منه مآرب أخرى كما فعلت هيروديه مع هيرودس الملك وحرضته على قتل أعظم نبي قال: يا هيرودس لا يحل لك أن تتزوج هيروديه امرأة أخيك – لأنها لا تزال على ذمة رجل على قيد الحياة.

التمثيل

إذا كان هذا هو حظ الأدب والغناء والموسيقى من حيث الفوائد والتأثير فالتمثيل أسعد منها وأوفر حظاً وأكثر ربحاً وأعظم سلطاناً لأنه يجمع بينها ويؤلف بين جميع المشتغلين بالفن من شاعر وكاتب وقصصي ومطرب وملحن وموسيقى وراقصة ومصور ومهندس وصانع ومخرج وممثل ومطرز وخياط وخطاط حتى المشتغل بالطباعة يضمه التمثيل إلى دولته.

وحسب هذا الفن فخراً اعتراف الناس بقولهم إن التمثيل هو مدرسة الشعوب ولهذا يجب على الحكومات أن تصون هذا الفن من أن يشتغل به غير المتعلمين – والتمثيل يعتمد على موضوع القصة إلى حد كبير علماً بأن تأليف القصص فن له مركزه: إن ارتقى عالج الشئون الاجتماعية والفردية وخلص المجتمع فما ينزله إلى الحضيض الخلقي والفني والعلمي .. وفي الأدب الأجنبي مصداق لكلامي هذا ومثال ينبغي للقصصيين أن يحتذوا به طريقة مؤلفي رواية كريتن العجيب (Admirable Criton) التي تعالج مسائل الاجتماع في ظروف مختلفة ورواية معالم الطريق (Milestones) التي حررت العقول من قيود الجهل ورواية جزيرة أكنز Treasure island وما إلى غير ذلك من الروايات والقصص التي أنتجتها الآداب الأوربية والأمريكية فكانت ولا تزال من أسباب رقي الشعوب التي تستفيد منها.

وفيما يلي عينة لما دبجه يراعي من القصص التي لا يخفى مغزاها عن فطنة القارئ.

القصص

من البؤس إلى النعيم

عاد الأمير (صادوهو) إلى عرش آبائه في السند أعظم مقاطعات الهند وهو مزود بحضارة الإمبراطورية المصرية العظيمة متحمس لها فخور بإتمام علومه في جامعة تحتمس الثالث بمدينة (طيبة). وما أن وصل إلى حدود وطنه حتى استقبلته الركائب المعدة فجلس مزهواً في ركابه الذي بدأ بعدئذ يتهادى بين فرسان ركبوا الجياد المطهمة ولبسوا التيجان والبز والأرجوان والملابس المختلفة الألوان المرصعة بالدرر والدراري والجواهر واللآليء والأحجار الكريمة الغوالي كالعقيق والياقوت والمرجان والماس والزمرد والفيروز والزيرجد مع الفضة والمسجد المطعم بالبلاتين وما إلى غير ذلك من أوسمة ونياشين لها مناظر خلابة وأشكال جذابة ترنو إليها البصائر قبل الأبصار، وتهفو إليها القلوب قبل الأنظار – وعلى هذه النعم كان رجال الحرس يزيدهم حسناً وجمالاً بل هيبة وجلالاً مناطق ذهبية في خواصرهم وسيوف مهندية من جوانبهم مع رايات في أيديهم خافقات في أعالي ساريات تتطلع إلى آفاق السموات ترف في العلاء وتزف في الهواء هتاف المصطفين من الشعب والجنود حول ركاب ذلك الأمير المنشود.

بلغ الركب ميدان القصر فحانت من الأمير التفاتة فرأى مرعى عليه كوخ حقير بجوار القصر وعلى بابه عجوز فقيرة مرذولة العمر وقفت

تحييه مع وحيدتها في ملابس رثة فكانتا مثل هيكل عظمي بجانب جثة أو مثل شبحين قد وقفا في ذل مر وفاقه وفقر فاغتم الأمير وتشاءم ودخل قصره حزيناً كئيباً تحطم الآمال كاسف البال لا يلوي على شيء غير قوله للجواري: اطردنها من جواري .... فلترحل هذه البائسة عنى ولا تقطن الشعطاء بالقرب مني. وكاد يشتط لولا أن أسرعت أمه وأدخلته إلى حجالها وهي تقول له في شدة الأسى والأسف حرام يا ابني ... حرام دعها ولا تتشاءم من جوارها فالإله يقول لا تتفاءلوا ولا تعافوا .. أتركها وشأنها فلسنا أعظم من الله الذي أوجدها في ملكه ... ساعدها وأسعدها فمن يعطف على المسكين يعطف الرب عليه يوم الدين. فتأثر من كلامها الحنون الرحيم ومن صوتها العذب الرخيم فأن وحن ورق وراق. غير أنه عاد وكلف رجاله بمساومة العجوز في ملكها لتبيع أرضها وترحل عن ملكه فساموها الوعد والوعيد والويل والاضطهاد حتى فرت من الكوخ والرعي مع ابنتها تتوكأ على عكازها وهي تتنبأ بقول داود النبي في المزمور: إن سلكت في وادي ظلال (الأهوال) فلا أخاف لأنك معي عصاك وصولجانك هما يعزيانني. أما الفتاة فكانت كسيرة القلب شاردة اللب إلى أن بلغتا مغارة بين مفازة وجبل فاستوطنتا هناك حيث قضت الأم نحبها وتركت البنت وحدها تقاسي الفزع من حيات البراري وتعاني الهلع من الوحوش الضواري. تذهب بين الفينة والفينة إلى الغابة المتاخمة لتلتقط من جوز الهند ما يقوم بأودها ويسد رمقها.

وفيما تلتقط ثمار جوز الهند ذات مرة سقطت على رأسها ثمرة فشجتها وأوقعتها على الأرض مضرجة بدمائها مغشية عليها إلى وقت

قصير بعده مر أحد النبلاء الذين تعودوا ارتياد الغابات طلباً للاصطياد فوجدها ملقاة بين ميتة وحية فأمر رجاله أن يحملوها تواً إلى المستشفى ولما رجع إلى قصره أخبر زوجته بأمرها فوالتها بالزيارة والرعاية وتولتها بالعطف والعناية حتى تماثلت إلى الشفاء وألبسها الله ثوب العافية: فوق شباب غض وجسم بض قد تجددت صحته واكتسى بجمال رائع حبب إلى الأميرة أن تتخذها وصيفة لها فكانت بنعمة جمالها وفتنتها الصديقة المحببة وأصبحت بفضل كمالها وفطنتها الرفيقة المقربة إلى أن سمحت محاسن الصدف وسنحت سوانح الفرص بزيارة الأميرة صادهو فلمح هذه الحسناء وهي تتنزه في حدائق القصر مع مولاتها فخفق فؤاده لحسنها وهفا قلبه إلى الترنح منها فأسرع إلى الضيف طالباً منه يدها دون أن يتبين أصلها فكاشفته الصراحة من مضيفه بأنها وصيفة للأميرة من وصيفاتها العذارى وليست ابنة أمير من الأمراء ولا قريبة عظيم من العظماء فاغتنم قليلاً وكاد يتظاهر بالترفع عنها لولا أن إرادة الله قد تدخلت وروعة الجمال قد أرغمته على الإلحاح في طلب يدها وأجبرته على الإلحاف في الطلب فزفت إليه بمسرات وهنا لائقين بما يملك من مجد وغنى.

وبعد فض المراسيم ساح العروسان في بعض الأقاليم حيث الجبال العاليات تحتضن الفراديس الزاهرات التي ذكرت الأميرة بحدائق قصره وهيجت حنينه واشتياقه إلى الرجوع إليها فعاد بعروسه إلى عاصمة ملكه حيث احتفى الشعب بهما احتفلت الحكومة بقدومهما إذ أقامت لهما الزينات وأقواس النصر وسيرت أمامهما مواكب الزهر واستقبلتهما بأروع

استقبال وبأبدع زينة قد غيرت معالم المدينة وأشعر العروس بما أصبحت فيه من مجد وسؤدد فأخذت تحيي الجماهير تارة بيدها وتارة بنظرة منها وابتسامة تسحر الألباب وتأخذ بمجامع القلوب فيزداد الشعب إعجاباً بها وهتافاً لها ولزوجها حتى بلغ الركاب ميدان القصر فتذكرت أيام الفقر مع أمها وتأثرت وتحسرت وقالت بصوت خافت: حقاً ما كتبه الله على الجبين حتماً تراه العيون: فمال إليها الأمير بسمعه فوجدها تقول: عظيم أنت يا رب وأحكامك كلها عدل ... إلى أن تمتمت بصوت غير مسموع قائلة بروح داود القائلة: إني أعترف لك بفضلك يا رب لأنك رفعتني من المسكنة وأجلستني مع رؤساء شعبك ... وأخيراً غلب عليها التأثر وحنت رأسها فانحدرت من عينها دمعة أسرعت وكفكفتها دون أن يفطن الشعب إلى تأثرها ولكن الأمير لاحظه عليها وكاد يفاتحها بالسؤال لولا أن الركاب قد وقف فجأة فانتبها هما الاثنان وإذ بهما أمام باب القصر فنزل هو أولاً ومد يمينه لها ومدت يمينها له فأمسكها آخذاً بيدها حتى نزلت بين: أصوات الزغاريد وألحان الأناشيد وهتافات الجنود وخفق البنود – ودخلت مع الأمير متأبطين بين الوزراء محفوفين بالعظماء وصعدا السلم جنباً إلى جنب وهي تلهج بالمزمور القائل: ما أحلى مساكنك "يا ملك" الجنود. تشتاق نفسي للدخول إلى ديار "الملك" وها هو قلبي بين أضلعي قد ابتهج بنعمة الله الحي لأن العصفورة وجدت لها بيتاً واليمامة ملكت عشاً لذاتها لتضع فيه أفراخها ... وهكذا استمرت في تمتمتها حتى استقر بهما المقام في غرفة العرش وهناك تقدم إلى الأمير رئيس ديوانه وألبسه عباءة الأمارة مطرزة بالقصب وموشاة بالذهب

والأحجار الكريمة ومبطنة بالحرير القرمزي ثم سلمه صولجاناً من الذهب الخالص وهو يقول من مزمور ٩٣ الآيات القائلة: "الملك" قد ملك. لبس الجلال والسلطة وائتزر بهما .. وهنا أكملت العروس بصوت خافت قائلة: وأيضاً ثبتت المسكينة فهي لا تتزعزع. ثم تقدمت إليها حماتها وفعلت معها كما فعل رئيس الديوان مع الأمير وهي تلهج بمزمور ٩٧ بالآيات القائلة: الملك قد ملك فلتبتهج الأرض ولتفرح الجزائر لأن العدل والحق قوام كرسيه ... ثم جلس الأمير صادهو وجلست العروس إلى يمينه وهي تتمتم بالمزمور ١١٠ قائلة: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. يرسل لك الرب صولجان عزك من صهيون وتتسلط في وسط أعدائك .. جعلت الكلمة عن يمينك بذهب أوفير .. اسمعي يا ابنتي وانظري وأميلي بسمعك أيضاً: أنسي أهلك وبيت أبيك لأن الملك قد اشتهى حسنك .. وأصبحت ملكاً له وهو ملكاً لك. فتأثرت العروس إذ تذكرت أمها ولكنها غالبت تأثرها بهتاف قائل: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة فصفق لها الحاضرون وبدئوا يقدمون تهانيهم وولائهم للعروسين الكريمين – ثم خرجت الأميرة بصحبة الأمير إلى الشرفة الملكية فأعجب الناس به وهو في مظهر لا يتخلف أيما اختلاف عن مظهر إمبراطور مصر حينما يقف في شرفة القصر يحيي شعبه الحر. مرتدياً تاجه الذهب الزخرف بكل حجر كريم وبكل جوهر مشفف تنعكس عليه أشعة الشمس فتشع منه الأضواء التي تشرح الصدور والقلوب فتسرح الأفكار والألباب وتأسر العيون وتبهر الأنظار. فتركع الجفون وتخشع الأبصار. حيت

تتطلع إلى ذلك العاهل وهو لابس صديره القطيفة الأدكن الموشى بالقصب حول رقبته والمغشي بالذهب فوق كتفيه الموضوع عليها شراريب كالأكوام. تتدلى سلوكهما الذهبية إلى أعالي الأكمام .. كما تتدلى منهما جدائل الحبال الصفراء إلى ما بين الثندوتين. فتزين الصدر مع الأوسمة والنياشين. وتصل إلى حزام المنطقة المطعمة باللآليء فتمون الظهر بالحسن وتمد الخصر بالجمال وتكسب الغمد المغلق بها كل جلال كما تكسب السيف الموضوع فيها هيبة يزيدها رهبة لون القميص الأبيض النازل على ركبتي هذا الرجل نزول ستائر الثلج الأبيض فوق قمم الجبل المتاخم للعاصمة.

وإن أنس لا أنس القفاز الأبيض (الجونتي) إذ يكسو اليد والمقبض ولا أنس الحجال المفضض المذهب وهو يمسك على الجورب فيثبته على الرجلين حتى لا ينزل من منتصف الساقين – بجانب هذا العاهل وقفت عروسه على رأسها تاج من الماس الوهاج والذهب البراق بريق الحبب في الكأس الرقراق تتدلى منه ملاءة من شاش رقيق قد نزل من فوق أعطافها الفياضة بالثياب الفضفاضة ليرافق ذيله أذيالها في حلة وترحالها.

على هذه الحال رأتهما الجماهير المزدحمة في جوانب الميدان بمنتهى الاحتشاد. فأطلقوا لهما الهتافات الداوية والتصفيق الحاد. ثم أصغوا رغم هذا الازدحام. إلى عزف فرق الموسيقى وهي تمر أمام الأمير وعروسه في نظام تام. وخطوات موحدة وأنغام منسجمة انسجام زيهم

وهندامهم على رءوسهم وأجسامهم - وخلفها فرق الفرسان وحملة الأعلام. ثم تلاميذ المدارس يتقدمهم الكشافون بملابسهم الصفراء وقلانسهم الحمراء ومناديلهم الخضراء يحملون في أيديهم العصي الطويل الغليظة دون أن يحملوا في قلوبهم ضغينة أو حفيظة. ثم مرت التلميذات باسمات الثغور منفرجات الأسارير وخلفهن مواكب الزهور التي استرعت الأنظار بحسنها وتنسيقها وبفنها وتزويقها فمال العروس إلى عروسه وأشار لها إلى منظر مصري بمثل أبا الهول يتقدم أهرامات ثلاثة كلها مكسوة بالورد والنرجس والزهر والفل والنعناع والعطر والقرنفل والآس والنور والقاح والريحان وشقائق النعمان والبنفسج والياسمين والعوسج والكمون وما إلى غير ذلك من أشكال وألوان وروائح الفراديس والجنان (جمع جنة) .. ثم أشار لها إلى منظر مراكب مرفوعة القلاع منشورة الشراع بعدها شاهدا منظر عربات وقطار لا ينقصه إلا البخار. ثم مرت أمامهما قافلة من الجمال زانتها الأوراق والأزهار بشكل يزيل الهموم والأفكار ويطيل الآجال والأعمار.

بعد ذلك أشفق الأمير على عروسه من طول الوقوف فحيى الجماهير وتأبط ذراع الأميرة ودخلا فصفق لهما الشعب ثم انصرفوا من الميدان مسرورين متحدثين بما رأوه داعين للعروسين بالرفاء وبالبنين.

وبعد ذلك حل وقت العشاء وجهزت المآدب فتصدرها الأمير مع العروس وهي تتمتم باغتباط قائلة: "أشكرك يا رب لأنك هيأت قدامي مائدة مقابل الذين أحزنوني" أما الحاضرون من رجال القصر وغيرهم فقد

وقفوا أمامها يحوطون الولائم إحاطة الأسورة بالعاصمة وأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً ثم انصرف المدعوون مسرورين ... ثم أدخل الأمير عروسه إلى حجاله وبات بين ثدييها وهو يقول لها كما قال سليمان في سفر نشيد الإنشاد: "ها أنت جميلة يا حبيبتي وحلوة فأكملت قائلة: وكالعسل الأبيض كلامك حلو يا حبيبي وسريرنا أخضر كشاطئ الكوثر، فقال أنت جنة معلقة لم يتمتع بها أحد بعد. أنت ينبوع مختوم عليه نرجس شارون وكالسوسن بين الشوك كذلك أنت يا حبيبتي بين البنات. فقالت له: وكالتفاح بين شجر الوعر كذلك أنت يا حبيبي بين الشبان .. وها هي الروح في العروس تقول تعال ... تعال يا حبيبي واذهبي عنه يا عيون الحساد فها هي شماله تحت رأسي تعانقني ويمينه حول خصري تهاصرني وتخاصرني. فقال لها هو: لا تخافي يا حبيبتي ... تعالي أريني وجهك أسمعيني صوتك، لأن صوتك لطيف، ووجهك جميل ... قد سبت لبي بعينيك ... شفتاك يا عروس تقطران شهد أو تحت لسانك عسل ورائحة ثيابك كرائحة لبنان ... ثم مد يده فأنت له أحشاؤها وتأوهت بصوت جعل أحشاؤها تحن لها وتزداد في (التراحم عليها) حتى سكت وسكن النعاس بين أجفانهما، غير أنها استيقظت في الفجر فوجدت أن ملابسها قد زخرفت بنقط حمراء متباينة الحجم بشكل رائع جعلها تغار عليها من (عرضها) فقامت وغيرتها بثياب الصباحية ورجعت إلى أحضان بعلها وهي تظن انه لم يشعر بما فعلت ولكنه قد تنبه فقعد وداعبها مداعبة ألذ من المدامة للنديم.

وبعد أشهر فطن إليها بعض الخدم وخافوا من أن تنتقم منهم بسبب

اضطهادهم لها ولأمها أيام الكوخ فأوغروا صدر رئيسهم فتقدم إلى الأمير قائلاً: أنا سمعت يا مولاي أن الفقيرة صاحبة المرعى المجاور للقصر قد رجعت فقال الأمير: اتركها وشأنها مادامت تقطن بعيداً في حي الفقراء. فقال رئيس الخدم: وإن كانت تقطن قريبة من جوار مولاي الأمير فماذا أفعل؟ فقال الأمير أأتي بها وأنا أعرف شغلي. فقال الخادم سمعاً وطاعة يا مولاي وذهب. ولكن بعض الخدم وشوا إلى العروس بما قاله لزوجها فابتهلت إلى الله بالمزمور الرابع قائلة: "عند دعائي استجب لي يا إله يرى. في الضيق رحبت بي. تراءف علي واسمع صلاتي ... لا تجعل مجدي عاراً في عيون بني البشر ... ثم طردت من أجست منهم خيفة وعينت بدلهم في خدمة القصر وهي تلهج في صلواتها بمزمور ١٨ القائل: إلهي صخرتي به أحتمي. هو ترسي وقرن خلاصي وملجئي. أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائي.

سمع زوجها بأسباب طرد الخدم فتشاءم وأصبحت علاقته بزوجه فاترة غير أنه كظم همه وكتم سره وصبر حتى يرى ماذا تلد، هل تنجب ولداً أم بنتاً. إن رزقت بابن تركها في القصر كمحظية له وتزوج من غيرها وإن ولدت ابنة طلقها. قال هذا في نفسه، ثم نام فحلم بأنه اجتمع مع جيرانه الأمراء وراحوا يتجاذبون أطراف ملاءة من الحرير الهندي قبض على طرفين منها فرعون مصر وهو ينظر إليها بغضب شديد فانزعج وصحا من نومه. وفي ضحى هذا اليوم زاره ثلاثة من الأمراء فأكرم وفادتهم واحتفى بهم ونزههم في أنحاء إمارته مدة شهر كانوا في خلاله يعقدون الاجتماعات الرسمية لمطالبة فرعون مصر بالاستقلال التام وكان

هو يهدئ من ثائرتهم مبيناً لهم المضار والعواقب إذا ما خرجوا عن طاعة إمبراطور قوي جداً مثل فرعون. قائلاً لهم: إنه يقدر على قمع ثورتنا في أقل من ثلاثة شهور، ويمكنه خلعنا من الحكم وتنصيب غيرنا كما يمكنه تسخير أولادنا بدلاً من تعليمهم ويضاف إلى ذلك قوة الولاة المجاورين لنا وطموحهم في غزو إمارتنا. ولهذا أقترح المطالبة بالاستقلال الداخلي لتدوم صداقة فرعون لنا وحمايته لإمارتنا ... ثم قرر المجتمعون سفر أميرين إلى مصر يحملان قرارات المؤتمر مشفوعة بإمضاء الصادهو، وانقض الاجتماع فودعهم بمثل ما قوبلوا به من التجلة والاحترام.

نجح الصادهو في تزعم المؤتمر ولكنه عزا تهديد مصر له إلى محاولته تطليق زوجه فحاول إرضاءها كما حاول تحسين سياسته مع فرعون واستمرت الحال على هذا المنوال حتى ولدت زوجته بنتاً فاغتم ونغص عيشها حتى التجأت إلى التوسل إلى الله بالمزمور السابع القائل: يا رب. إلهي عليك توكلت. خلصني من كل الذين يطردوني ونجني لئلا يفترس نفسي كأسد هاشماً إياها ولا منقذ ... يا رب إن كافأت مسالمي شراً وسلبت مضايقي بلا سبب فليطارد العدو نفسي وليدرك وليدس إلى الأرض حياتي وليضع في التراب مجدي. قم يا رب بغضبك ارتفع على سخط مضايقي وانتبه لي فحنن الله عليها قلب حماتها فأصلحت ما بينها وبين الصادهو وروقت باله بقولها: من يسعده وزمانه يا ابني ينجب بناته قبل صبيانه. فأحمد الله لأنه أنعم عليك بالذرية ولم يصبك بعقم أمير بمباي أو أمير حيدر أباد الذي ظن أن العقم من زوجه فطلقها، ولكن الله لم يتركها فكانت تتئم من زوجها الثاني. فحمد الصادهو الله وترك الأمر

فصفت له الأيام وكبرت ابنته فتعلق بها لجمالها ولطافتها. ثم زرق ابنة ثانية فحاول أن يقتني محظية في القصر فحالت تقوى أمه بينه وبين بغيته قائلة له: إن الله هو الذي يفتح الأرحام وهو الذي يغلقها، فإن شاء أعطاك وإن شاء حرمك من النسل مهما تعددت أزواجك على أنك ستجلب عليك سخط امرأتك بإيجاد ضرة لها في قصرها وربما فرق السخط بينكما والطلاق بغير سبب الزنا محرم كما تعلم ومشاكله كثيرة وعواقبه وخيمة في الأرض وفي السماء ولهذا أحذرك من طلاق هذه البارة التقية وإلا حرمك الله من عرشك إن حرمتها من عرشها .. وعلى كل حال ماذا يهمك من إنجاب البنين ما دامت البنات تصلح لولاية العهد ولسياسة الملك وها هي نيتو كريس ملكة مصر وحتشبسوت أيضاً ألم تكو أحسن من البنين قالت هذا وانصرفت من أمامه إذ جاء كاتم سرها يخبرها بحضور زائرات. أما ابنها فقد عول على إرغام امرأته على التنازل عن العرش فطالبها بكتابة تاريخ حياتها كما هو المتبع في بلادهم ففهمت الأميرة أنه يريد بذلك إذلالها لترحل عنه فلاطفته وساست أموره وأظهرت ذكاء نادراً في معاملته حتى ألجأته في كثير من الأحيان إلى استشارتها في شئون الإمارة.

وفي ذات يوم جاءه خبر بوفاة فرعون بعد ما حكم فخضع له الدهر وعاش حتى شبع من العمر. فاجتمع الأمراء منتهزين ضعف الفرعون الجديد وطالبوه بالاستقلال فمنحهم استقلالاً داخلياً وأحسن معاملتهم حتى مرت على هذه الحالة المرضية سنة بعدها وضعت أميرة السند ذكراً أسمته (بنجاب) ففرح به أبوه الأمير صادهو وأقام الولائم ودعا الأمراء

والعظماء وأمر بنشر خبر ميلاد ولي عهده على النحو الآتي:

شعبي المحبوب: لقد من الله علينا بولي عهدنا فأسميناه (بنجاب) بعد أن أنجبنا شقيقتيه الأميرتين من زوجنا المحبوبة أميرة الشعب وحيدة والدها التقي المحب لله الذي تبرع بأرضه لرعاية أغنام الفقراء ثم رحل عن هذا العالم الفاني وترك ابنته هذه فاختارتها أميرة بمباي مستشارة لها لما آنسته منها من ذكاء وإخلاص وبهاء وإيناس الأمر الذي دفعنا إلى طلب يدها من ابن عمنا أمير بمباي لكي تنتفع بمواهبها في تدبير إمارتنا وهي وطنها العزيز وأرض آبائها وقد أشركناها معنا في العرش لتنوب عن شعبنا المحبوب في مشاركته إيانا في الحكم الديمقراطي المستقل والمجد لله دائماً آمين.

فنشرت الصحف بشرى الأمير وأفسحت صدرها للتهاني بهذا الحادث السعيد فعمت الأفراح وابتهج الشعب ورفع الأعلام في كل مكان وقام بمظاهرات عظيمة ملأت ميدان القصر حيث أطلقت الهتافات الداوية والنداءات القائلة: ليحيا الأمير صادهو ... ليحيا زعيم الاستقلال ... ليحيا ولي العهد ... ليحيا الأمير بنجاب ... لتحيى أميرة الشعب ... لتحيى أم ولي العهد ... وعلى هذا النحو كانت عبارات التهاني حتى تمت أيام أسبوع في خلاله كان الأمير صادهو يشرف بنفسه على الولائم التي أقامها للفقراء.

بعد ذلك اشتد حب الأمير لزوجه وزاد إعزازه لها واعتزازه بها وبأولادها ولم يعد يفكر في الزواج من غيرها حتى كبر بنجاب وسافر إلى

مصر ليتعلم وعاد بعد نجاحه إلى وطنه فاحتفى به أكثر من احتفاء الأمارة بأبيه لما عاد من جامعة طيبة المصرية ...

أشركه والده في الحكم ليتدرب على تولي أعباء الملك فكان موفقاً ولم يكدر صفوه غير فتاة قد تبنتها أميرة بمباي بعد ما قضت أم تلك الفتاة حزناً على أبيها (مصرايم) البناء المصري الذي استدعاه أمير بمباي من مصر ليبني له القصر فراح على الفور وأعمل الفكر في إنشاء البناء على ساحل الميناء وقد بذله له ما في الوسع وأعمل فيه حسن الصنع فأحكمه إحكاماً استغرق فيه أعواماً ولما تمت العمارة كانت قصراً بديعاً: لم يحكه قصر من القصور. في سالف الأزمان والعصور ففرح به الأمير وصعد قلته وهو مسرور فرأى أمامه البحر والصخور الشماء وخلفه البر والحدائق الغناء تسرح فيها الأنعام والظباء وتمرح فيها الطواويس والطيور بين الورد والآس والزهور. فقال ما رأيت قط أبدع من هذا البناء ولا أبرع منك أيها البناء. قل لي يا مصري. ألم تعمل مثل هذا لغيري. فقال مصرايم: إنها الدرة البكر يا صاحب النهي والأمر ولم أعمل في دنياي غيرها يا أمير بمباي ففرح الأمير لأنه بنى في ملكه بناء فريداً في نوعه وضم إلى شعبه بناء ماهراً في صنعه. وأمر ناظر خاصته بأن يكتب له الإقطاعية القريبة من القصر، فطرب البناء طرباً شديداً أنساه وقوفه على إطار القصر يعلى سور السطح حسب رغبة الأمير فرفع يديه بحالة عصبية ليشكره ويدعوا الله له فهوى من شاهق القصر ووقع فوق الحصى والصخر ولاقى الحتف المريع وذاق الموت الذريع فأسف عليه الأمير والبلاط وأسفت الأميرة والوصيفات ولم يكن أمام الرجل وامرأته إلا أن

يتبنيا طفلة هذا البناء وينعما عليها بقلب الأميرة مدراس واهتمام بتربيتها تربية أميرية وعلماها فنون الحرب منذ صباها.

ولما بلغت سن العشرين احتفل الأمير والأميرة بعيد ميلادها احتفالاً حضره العظماء والأمراء ومنهم أمير السند وزوجه وابنهما الأمير بنجاب البالغ من العمر ٢١ سنة ومكثوا في الضيافة خمسة عشر يوماً فيها شاغل بنجاب مدراس دون أن ينشغل بها أما هي فقد انشغلت بحبه حتى عرفت أمها بذلك واستراحت إلى ما جد بين ابنتها وابن وصيفتها السابقة وفاتحت أمه في زواجه من مدراس فأظهرت لها قبولها الشخصي وقالت لها: لا أظن أن الأمير صادهو أيضاً يعارض في ذلك ولكن لتكن إرادة الله .. إن كان قد جعل له نصيباً فيها فسيأخذها .. وقطعت الحديث معها بسبب حضور رئيس خدم أمير بمباي ونظرت إليه لترى ماذا يطلب فقال لمولاته: مولاي الأمير في شبه إغماء وقد أدخلناه غرفة نومه في الجناح الغربي حسب إشارة الطبيب الخاص فقامت أميرة بمباي ووضعت عن كتفيها عباءة الأمارة وتركتها على ظهر كرسي كان بجوار أميرة السند التي قامت بدورها دون أن تخلع عباءتها عن عطفيها وسارت بجوار مضيفتها حتى قابلتهما في الطريق مدراس وقالت لهما: الطبيب الخاص طمأننا بقوله لا تنزعجوا فالأمير سيفيق ... وها هو الطبيب الخاص يجري له عملية التنفس الصناعي مع باقي الأطباء فتفضلا في هذه الاستراحة الآن ... وأمسكت بعضد أميرة السند وتوجهت بها إلى الاستراحة كما أن أميرة بمباي أشارت بيدها لضيفتها إشارة لا تعني بها غير قولها: تفضلي أنت مع مدراس واستأنفت سيرها بعد الإشارة حتى وصلت غرفة زوجها

ودخلت فوقفت بجوار السرير، فتقدم إليها أحد الأطباء قائلاً: سمو الأمير آخذ في التحسن وسيفيق من هذا الإغماء الذي انتابه على ما أظن بسبب المجهود الذي بذله في عيد ميلاد الأميرة رغم كبر سنه وبلوغه الخامسة والسبعين علاوة على ضعف قلبه فقالت الأميرة: ربنا يشفيه وما كادت تتم عبارتها حتى تأوه الأمير ... وفتح عينيه فوجد أمامه طبيبه الخاص ممسكاً بيده زجاجة نشادر كان يدنيها من أنفه وقت إغمائه بينما وقف أربعة أطباء آخرون: اثنان عن يمينه يدفئان أنامل يمناه بزجاجة مملوءة بالماء الساخن واثنان قد وضعا أنامل يسراه على سخونة الزجاجة الثانية وعند رجليه وقفت زوجه بين رئيس الخدم وطبيب سادس وهما يدفئان قدميه بالماء الساخن الموضوع في الزجاجة الثالثة فحاول أن يجلس حتى جلس والتفت خلفه فلمح الأمير صادهو واقفاً بجوار عمود السرير مع رئيس الوزراء الذي ابتدر سيده بالكلام قائلاً: سلامتك يا مولاي. فرد عليه الأمير قائلاً: الله يحفظك ... خلاص كبرنا فقال الأمير صادهو: شد حيلك. فشكره وقال للحاضرين: تفضلوا اجلسوا فجلس جلهم إلا الأميرة فقد استأذنت وخرجت تاركة رئيس الخدم واقفاً وذهبت إلى الاستراحة فوجدت مدراس مع أميرة السند فوقفتا إجلالاً لها وجلس الثلاثة يتحادثن عن الأمير وعن صحته حتى جاء الوقت الذي يرغم كلاً منهم على دخول غرفتها الخاصة فتفرقن للنوم وعند الصباح دخلت أميرة بمباي غرفة زوجها فوجدته منطرحاً على فراشه مفتوح العينين فحيته تحية الصباح وانحنت تقبل يده على غير عادتها فطوقها بيده اليسرى حتى تلاقت الشفاه وتمت القبلة ورفع يسراه عن كتفيها قائلاً: صلي معي

صلي. فانتصبت بجوار السرير ووجهها كان نحو الشرق ولما سمعته يقول يا أبانا الذي في السموات اشتركت معه قائلة: ليتقدس اسمك ولتأت ملكوتك ولتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض خبزنا الذي للغد أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا لأننا نغفر نحن للمذنبين إلينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين ... غير أنه استأنف صلاته قائلاً: يا رب أطلق عبدك بسلام لأن عيني قد أبصرتا خلاصك ونظر إلى زوجه قائلاً بصوت يشوبه الوهن الشديد: سامحيني فتأثرت من هذا اللفظ وأغرورقت عيناها بالدموع فأسرعت بوضع يدها على جبينها لتخفي دمعها وهي تقول له بنبرة كلها آسى ونغم كلها أسف: الله يسامحك وينعم عليك بالعافية فقال لها بصوت زاد ضعفه عن ذي قبل مع الأبرار إن شاء الله ثم سكت وعيناه مفتوحتان تنظران إليها. فقالت له هل يمكنك أن تجلس فلم يجيبها فأمسكت يده فوجدتها قد خلت من إرادته في تحريكها فتركتها ووضعت يدها على صدره فوجدت قلبه قد سكت فتلفتت حولها فلمحت رئيس الخدم آتيا فقالت له: أسرع بإحضار الطبيب فرجع وحضر مع الطبيب بعد ثلاث دقائق واستأذنا بالدخول ودخلا وجس الطبيب نبض الأمير ثم قال: البقية في حياتك يا مولاتي فمدت يدها وأقفلت عيني الراحل فانقفلتا وأسندت إلى الطبيب عمل اللازم وأمرت الخادم بإذاعة الخبر واتصلت هي برئيس الوزراء فأمر بتنكيس الأعلام على دور الحكومة ونشر في الجريدة الرسمية الخبر القائل: تنعي الحكومة بمزيد الأسف إلى شعبها في بمباي وفي الخارج خبر انتقال

حضرة صاحب السمو أمير بمباي إذ رحل اليوم إلى الأمجاد السماوية في جوار ربه بعد أن عاش من العمر ٧٥ سنة قام فيها بجلال الأعمال في صالح إمارته. فتناقلت الصحف الخبر وأفسحت له صفحاتها الأولى وعلقت عليه وعم الحداد مدة أسبوع بعده أعلنت حكومة بمباي حكومة فرعون بتولية الأميرة مدارس شئون الأمارة وقيادة الجيش بعد انتقال والدها إلى السماء وأذاعت هذا الإعلان في الصحف المحلية وبعد إتمام الواجب رجع بنجاب إلى العاصمة مع والديه.

وبعد سنتين أتممت فيها إصلاح الشئون الزراعية وحفر القنوات وإقامة السدود وخفضت الضريبة عن الفلاح واستوردت أحسن البذور وعقدت المعاهدات التجارية مع البلاد المجاورة وشجعت الصناعات وفتحت المدارس الحربية واحتمت بالجيش ودربته على القتال وأخيراً أغارت على الأقاليم المجاورة وأحرزت الانتصارات المتوالية في محاربة جيرانها الأمراء وضم إماراتهم إلى إمارتها.

فخاف منها الأمير بنجاب ووالده وأراد أن يتحالف مع أمراء أفغانستان ويجمعهم ضدها ولكن أمه ببعد نظرها وبحصافتها نصحته بأن يتقرب إليها دون أن يتزلف وأن يخطب ودها ولا يستكين لها ويحاول أن يتزوج منها بدلاً من محاربتها حقناً للدماء وصيانة لملكه وعرش آبائه وإسعاداً للشعبين فسمع لوالدته وسافر فاستقبلته مدراس استقبال الحليف للحليف وأبرم معها المعاهدات وساعدها في فتوحها فكيفها بشجاعته وبأعماله وسرته بكياستها وسياستها فمال إليها ميل الشاب إلى

ما استهوته بجاذبيتها ومالت إليه ميل الفتاة إلى من وجدت فيه كل آمالها فأحبته على طول الخط لأنه ملأ عينها وأحبها لأنها أحبته وعرفت كيف تضرب له على الوتر الحساس. وذات ليلة اشتبكا معاً بكلام وطعن انتهى بالدم ثم تركها محاولاً أن ينام في مكان آخر ولكن حالته طردت عنه النوم وحرمته من النعاس فراح يطلع على مكتبة قصرها فعرف من سجلات التاريخ أنها ابنة بناء فاغتم وتشاءم وسهر الليالي يفكر في أمرها فلاحظت هي عليه ذلك فظنت أنه انشغل بحبها فزاد ولعها به واشتد غرامها له حتى ولهت منه وصارت متيمة به فتركت التوسع في فتوحها واشتبكت معه ولكن في غرام متأجج لم تهدأ ثائرته إلا بإعلان زواجها منه على شرط أن يضم أملاكه إلى أملاكها ويحكمها هو باسم بنجاب الأول إمبراطور الهند الغربية فرضيت بشرطه على أن يعلن استقلاله التام فأعلنه وتمت مراسيم الزواج على النحو الذي تمتع به والداه ثم جامل عروسه بانتقاله في الصيف من عاصمته في السند إلى عاصمتها في بمباي حيث النعيم المقيم في نعم وافية تحت سماء صافية يجمع بينهما نسيم عليل يشفي كل سقيم وعليل ويفعل بالأشباح فعل الجنة بالأرواح.

وبعد ٢٠٠ يوم من إتمام المراسيم قاست الإمبراطورة مدراس آلام الوضع فظن بعض وصيفاتها أنها ستسقط (سقطا) وأسرعوا بإسعافها بأمهر الطبيبات حتى وضعت ذكراً كامل الخلقة يزينه جمال خارق للعادة ولم يتسرب الشك إلى الكثيرين في القصر غير المعرفة بأن المولود ابن سبعة أشهر – ولما أعلموا الإمبراطور بنجاب بميلاد ولي عهده اندهش وبات يفكر في أمر الوضع قبل تسعة أشهر حتى فادته الوساوس إلى

إساءة الظن بمدراس فترك سريره وقام قاصداً أن يروح عن نفسه بالقراءة في مكتبة القصر وما هي إلا بضع دقائق حتى وقع نظرة على إمضاءه في سجل تشريفات المكتبة من مدة تسعة أشهر تماماً فتذكر ليلة ما كان يجب أن يفعله مع عروسه مدراس بعد كتابة الكتاب وعقد الإكليل كما تذكر اللحظة التي فيها استسلمت له وهي فوق سريرها فأطمأن خاطره وراح يهنئها بالمولود فوجدها في حالة يرثى لها بسبب الخجل والتفكير فيما عساه قد يقال عنها.

وفي تلك اللحظة حضرت والدة بنجاب فوجدت الموقف يسوده سر رهيب إذ أن كنتها الوالدة منقبضة الأسارير مطرقة برأسها إلى الأرض لا تجسر أن ترفع عينها في أي إنسان. وزوجها منشرح الصدر كما لو كان قائداً فاز بالنصر والمولود يصرخ ويعول وهو في يدي الطبيبة الخاصة تلفه في الأقمطة واللفائف – فوقفت دقيقتين تتبين جلية الأمر فرأت الطبيبة تضع المولود بجانب أمه قائلة: أبشري يا مولاتي فإن ميلاد ولي العهد قبل الأوان بعشرة أيام وجودة صحته كما لو كان ابن تسعة أشهر تماماً توحيان إلى بما سيكون عليه من عظمة خارقة للعادة فابتسمت الحماة قائلة: لتكن إرادة الله ثم أسرت إلى كنتها الوالدة بعبارة قد سر لها ابنها بنجاب الأول والطبيبة أيضاً لأنهما رأيا الإمبراطورة مدراس قد ابتسمت منها بعد سماعها مباشرة وهنا حنت الطبيبة رأسها تحية للحاضرين وخرجت لتفسح لهم المجال للكلام فقال بنجاب لامرأته: ماذا أضحكك يا أم بنجاب الثاني فقالت له سمو الأميرة والدتك قالت لي: من أسعده زمانه طلع زرعه قبل أوانه – فلا تعلني للشعب خبر

ميلاد ولي العهد قبل شهرين على الأقل لئلا يحسدوه أو يثيروا الظنون حول ميلاده المبكر فضحك الإمبراطور قائلاً: على كل حال الحمد لله بسلامتك. لا يهمك. وأنا سآمر الوصيفات والطبيبات بعدم إذاعة الخبر حتى تتماثل إلى النقاهة. فقالت له مدراس وأرسل في طلب والدتنا من مصر فقال لها: وماذا أكتب في الرسالة حتى لا تنزعج ولا يلحظ أخوها شيئاً يثير الشكوك. فقالت أمه: هوناً عليكما يا بنجاب فكثيرات يلدن بعد سبعة أشهر وليس في ذلك غرابة أو أي عار. انفذ الرسالة إلى حماتك وقل لها:

حضرة صاحبة السمو أميرة بمباي – قصر راقوتي بمصر:

تحية لائقة بعظمتك وبعظمة صاحب السمو أمير حيدر آباد شقيقك الموقر، وبعد فقد قاربت قرينتنا الإمبراطورة مدراس على الوضع ولهذا يستحسن أن تتفضلي بالحضور. المخلص: بنجاب الأول.

فكتب الرسالة بيده وأنفذها إلى مصر وأخذ يلاطف مدراس ويداعبها ويراعي شعورها حتى مر شهران فيهما كابدت الإمبراطورة المرض بسبب ما عانته من آلام الوضع ومن الخجل والتفكير والندم والخوف من أن يقال إن مدراس (سقطت) أو استسلمت لبنجاب قبل إتمام المراسيم – ومع هذا فقد أعلن بنجاب الأول نبأ ميلاد ابنه بنجاب الثاني ولي عهده المحبوب ففرح الشعب وتوجهوا إلى ميدان القصر ليعربوا عن اغتباطهم بالتظاهر ورفع التهاني فسمعوا من الحرس أن الإمبراطورة مدراس متوعكة لا تتحمل سماع هتافات وإبداء مظاهرات فانصرفوا مقتصرين على

تسجيل أسماء عظمائهم في سجل التشريفات وعلى نشر تهاني أدبائهم وشعرائهم في الصحف مع رفع تضرعاتهم ودعواتهم الصالحة إلى الله لكل يشفي لهم الإمبراطورة فاستجاب لهم ونظر إليها فأخذت تتماثل إلى النقاهة حتى حضرت أمها من مصر مع أمير حيدر آباد وفرحت بولادتها وأشارت عليها باختتان المولود فوافقت وأقامت لولي عهدها حفل ختان كان له في نفسها تأثير أبلها وشفى غليانها إذ رأت الطبيب بعينها وهو يقطع الغرلة ويسيل الدم من سوأة (بنجاب) ابنها البكر فشعرت بأمر أراح نفسها وشرح صدرها وأكمل صحتها كما أتم إخضاعها لرجلها وأكثر من حبها له وتعلقها به وبابنه إلى أن أنجبت أنثى أسمتها هندا فاهتمت بتربيتها حتى أصبحت من أطهر العذارى العفيفات اللواتي لا يوجد أطهر منهن إلا (السيدة العذراء) التي زارت أرض مصر مع القديس يوسف النجار فأنطقت شوقي بك أمير الشعراء فقال ما معناه: على هذه الأرض – أرض مصر قد مشت السماء ذات الطهر أم الكلمة بنت النعمة. والدة المسيح الفادي. موئل النعم والأيادي. القادر أن ينقل الأثيم من الشقاء إلى النعيم لأنه له المجد هو غافر الخطايا ومانح العطايا لكل بادية وحاضرة في الدنيا والآخرة.

العاقبة

نجحت في دروس الرسم في فصول التعليم الابتدائي حصل على شهادة التجارة وطفق يبحث عن عمل فلم يجد في الشركات بعد أن أوصدت الحكومة أبوابها في وجهه فحاول أن يسحب نصيبه من الميراث بنزاع دام ثلاثة شهور بينه وبين أمه وأخواته حتى اضطرت إلى استدعاء عمه ليفض هذا الشقاق. فحضرت أمام باب المنزل سيارة لا يقتنيها إلا الأثرياء ونزل منها السائق ومد يده وأمسك مزلاج باب في السيارة وفتحه قائلاً: تفضل يا سعادة البيك فنزل رجل بدين الجسم محمر الوجه وتحادث الاثنان سوياً مدة دقيقتين بعدهما دخل الرجل البدين دار ابن أخيه وصعد إلى الطابق الثاني فوجد الباب الرئيسي مفتوحاً فدخل ورأى أمامه خادماً وكرسياً من الخيزران بالقرب من الباب فأشار للخادم بالسكوت فسكت الخادم لمعرفته به، ولكنه وقف أمامه حتى جلس الرجل وأصغى إلى مناقشة حادة كانت تنبعث من داخل غرفة مقابلة له فسمع العبارة القائلة: أنا لا أعرف عماً ولا خالاً. فنادى على قائلها المحتد فلم يسرع بالخروج من الغرفة. ولم يلب النداء أولاً إلا امرأة في الحلقة الخامسة من عمرها ابتدرته بقولها: أهلاً وسهلاً يا إبراهيم بك وأعقبتها شابة بمصافحته قائلة: مرحباً يا عمي فابتسم لها وراح ينظر إلى شاب قادم إليه وهو يقول: أهلاً وسهلاً فقاطعه الرجل قائلاً: لا أهلاً ولا سهلاً يا ابني ... أنا كنت أظن أنك ستعمر البيت بعد أبيك ولكني وجدتك طائشاً تحاول أن تستولي على قوت إخوتك لتبدده ولتبعثره ذات اليمين وذات اليسار. فاحتج الشاب بقوله: من قال لك

هذا ... أنا لا أحاول إلا بناء مستقبلي ولا أريد أن أستولي إلا على نصيبي فقط من الميراث. فقال العم: كان ما المستحسن أن تبحث عن وظيفة وتترك الميراث لوقت الضيق أو المرض – أو لكبر السن. فقال الشاب – وكان الأحسن أن تتوسط لي أنت عند معارفك وأصدقائك في الحكومة أو الشركات ولكني خفت على شعورك وخشيت الكسوف[٤٧] فتركتني أبحث بنفسي حتى فشلت وأصبحت عاطلاً عن العمل، وصرت عالة على ميراث أبي. فقال الرجل: يظهر لي أنك شاب تحب الاعتماد على غيرك مثل عليق العنب وحامول البرسيم ... ألم تتعلم في المدرسة وأنت صغير نصيحة الشاعر الحكيم القائل: ما حك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك، فقال الشاب نعم تعلمتها، وها أنذا كلما أحاول أن أعمل بها تمنعوني أنت وامرأة أخيك فقال الرجل لامرأة أخيه: لماذا تمنعينه من البحث عن وظيفة، فقالت هو لا يريد أن يبحث عن وظيفة ولكنه يريد أن يستولي على نصيبه من الميراث فقال الرجل للشاب وماذا تريد أن تعمل بميراثك. فقال الشاب: سأستثمره في التجارة، فقال الرجل: وهل كل من تاجر يكسب: فقال الشاب: علي أن أسعى وعلى الله إدراك النجاح فقال الرجل. أنعم بالله وأوصي امرأة أخيه قائلاً: أعطيه نصيبه وإن ضيعه لا تقبليه في البيت وهنا جاء الخادم بالقهوة وقدم للضيف ولربة البيت فشرب الرجل ثم اعتذر لضيق الوقت وسلم ونزل وركب سيارته ومضى.

---

[٤٧] الخجل.

وبعد أيام تم للشاب أن يسحب نصيبه من الميراث وراح يفكر فيما يتاجر هل يستثمر ماله في المشروع الذي فكر فيه أم يفكر في غيره وأخيراً فاتح جاره التاجر في أمر مشاركته فقبل الجار الفكرة ودرس معه المشروع حتى اتفقا على فتح حانوت لبيع الحلوى ولفائف الدخان في أحد الشوارع الرئيسية في القاهرة. وفعلاً قد استأجرا حانوتاً بالقرب من المصرف الأهلي وجهزاه بما يلزم حتى صار هناك من أروج الحوانيت التي جمعت بين المنظر الرائع وأجود البضائع التي تعاون في تقديمها للشارين رجلان في هندام جميل ومظهر جليل هما (همام) الوارث وجاره (بخيت) التاجر مؤسسا الشركة اللذان تفننا في أساليب البيع وحسن المعاملة حتى راجت التجارة رواجاً يثير الحسد في النفوس وتطمع فيه أكابر اللصوص.

وفي ذات يوم وقفت أمام الحانوت سيارة فخمة نزل منها رجل أنيق اللبس جهوري الصوت. جذل العبارة. وقدم لهمام ورقة مالية جديدة قيمتها خمسة جنيهات طالباً منه علبة لفائف الإمبراطور وعلبة ثقاب شمعي بجراب معدني (علبة سجاير وعلبة كبريت) فأعطاه طلبه واستأذن ليصرف الورقة من المصرف (البنك) تاركاً (بخيت) في المحل يحادث الشاري ثم عاد وهو يقدم له مبلغ ٤٨٨ قرشاً أخذ منها الوجيه ٤٨٣ فقط وهو يقول أنت تعبت في صرف الورقة واستقل سيارته ومضى غير أنه قد تردد على الحانوت خمس ست مرات كان في خلالها يبرز الأوراق المالية الجديدة من مختلف الفئات حتى تضايق منه لما قدم إليه ورقة بعشرة جنيهات فردها قائلاً: ليس عندي فكة .... تفضل اصرفها

من المصرف يا بيك فاحتج الوجيه قائلاً: هذه إهانة ... كيف تعامل زبون المحل بهذه المعاملة؟! ... هل وجدت نقودي مزيفة؟ ... واستمر في الاحتجاج إلى أن احتد بشكل جعل (همام) يلاطفه ويكلف شريكه بأن يصرف الورقة هو بنفسه مشيراً على الشاري بأن يتفضل بالاستراحة في سيارته إلى أن يعود بخيت فأومأ الوجيه برأسه شاكراً ولكنه وقف يحادث (همام) عن التجارة وعن مدى نجاحها بفضل حسن المعاملة مسترقاً النظرات إلى بخيت الذي عول على الانتقام منه بالتأخير في صرف الورقة.

وبعد عشرين دقيقة فيها وثق الشاري صداقته مع همام وعرف منه شيئاً عن رأس مال الشركة عاد بخيت مقدماً إليه باقي النقود فأخذها وعدها وشكره تاركاً له قطعة من النقود الفضية بعشرين قرشاً وهو يقول بابتسامة صفراء (برافو) يا بخيت أفندي ولكن من الذي صرفها لك؟ فأجاب التاجر: صرفها الصراف بعد أن فحصها يا سعادة البيك. قال هذا بخيت وراح يقابل زبوناً أتي فتظاهر الوجيه باندهاش وهمس بالكذب لهمام مدعياً بأن الورقة من عمل يديه ولا يمكن لأي خبير أن يكشف تزييفها لأنه تعلم إتقان طبعها لما كان في أوربا. مسراً في أذن سامعه بأن لا يبيح بذلك لبخيت في نظير أن يناصفه قيمة الورق الذي يتمكن من تصريفه معه ففكر همام وقال في نفسه: مادام الورق متقناً بهذا الشكل فسوف لا نضر بالتعامل به أي أحد، وعلى هذه النية عاهده على كتمان السر وقبل مشاركته في تصريف الورق وتواعدا بالمقابلة بعيداً عن الحانوت واستقل الوجيه سيارته ومضى إلى حيث باع السيارة لوكيل

المصرف تنفيذاً لرغبة أبداها له منذ شهر وتسلم ثمنها فوراً من الأوراق الجديدة بأرقام مسلسلة وسافر إلى طنطا حيث قابل عبد الباسط واتفق معه على عبارات يقولها عند مقابلته في وقت حدده له واستأنف سفره إلى الإسكندرية حيث استأجر في فندق عظيم هناك غرفة أعدها لإتمام ما في نيته.

وفي اليوم الثالث تخلف همام عن الذهاب إلى الشركة وذهب إلى المصرف وسحب من رصيد الشركة مبلغاً كبيراً وضعه في حقيبة جلد صغيرة فيها جلباب نوم وقصد حانوته حيث أخبر شريكه بخيت بسحب المبلغ وعرض عليه دفتر الحساب للتأكيد وتحجج له بحجة مقبولة وقصد المحطة مسافراً إلى الإسكندرية حيث قابل رجلاً لا يتخلف في شيء عن زبون القاهرة صاحب السيارة الفخمة فتعانق الاثنان ثم قال همام: ها أنا قد حضرت حسب وعدك يا خطاب بك فوضع خطاب يمناه تحت إبط همام الأيسر متجهاً نحو باب الخروج وهو يقول في تفكير عميق: ومتى تنوي على العودة يا همام أفندي! فأجابه: بعد تنفيذ ما اتفقنا عليه في الحانوت. فقال خطاب: أليست عندك مهام تقضيها هنا؟ فقال همام. لا. فقال خطاب: وعند من يودع الرجل سره؟! .. فقال همام: عند من يصونه بطبيعة الحال فقال خطاب: إذن فلنذهب إلى الفندق وهناك في غرفتي نتفاهم .. ولما وصلا إلى باب الفندق لمح همام شابة ملكت أنظاره إليها وهي جالسة بجانب شاب لا يتخلف ملامحه عن ملامحها في شيء غير كبر سنه عن سنها ومع ذلك قد ترك لها كرسي المكتب فجلست إليه تطالع كتاباً مكتوباً على غلافه (الرباط

المقدس – توفيق الحكيم) فابتدرهما همام بالتحية فرد عليه أخو الفتاة بأحسن منها أما الفتاة فاكتفت بالتطلع إليه وبعد برهة فيها تفرس همام في الفتاة وأخيها قال له: ألست زاهر عوض رئيس فرقة الكرة بالتوفيقية عام ... فقال زاهر نعم. فقال همام: أدبك الجم ومهارتك في اللعب وتفوقك في الدروس جعلتني أتذكرك. فقال زاهر: أشكرك. وما اسم جنابك لعلي أتذكرك! فقال همام: أنا همام الجيزاوي. فقال زاهر: لنا الشرف يا صديقي ... وأظنك اقتصرت على نوال البكالوريا مثلي فقال همام: لا ولكني التحقت بمدرسة التجارة وتخرجت ثم ساهمت في شركة لبيع التبغ بجوار المصرف الأهلي بالقاهرة وراجت تجارتنا والحمد لله رواجاً يناسب عظمة أخلاقك ففهم زاهر ماذا يقصد فابتسم وهنا دب الخوف في قلب خطاب من تعارف الصديقين فجذب همام من عضده مستأذناً من زاهر وتأهب للصعود على السلم ولكن همام ولى وجهه وتملى من الفتاة متفرساً فيها حتى وصل إلى (بسطة السلم) حيث فتح خطاب الباب الذي يقصده ودخلا وجلسا على أريكة أمامها طاولة بجوار خوان (دولاب) فقال همام تربية زهر أفندي تدل على كرم محتده وشرف أصله. فقال خطاب: ولكن أخته سعاد لا ترغب الزواج إلا من طبيب كما سمعت من أبيها وهو يتكلم مع أخيها منذ أيام. فقطب همام جبينه قائلاً. وأظنك أنت أيضاً قد عدلت عن رغبتك في إبدال الجنيه بخمسين قرشاً! فربت خطاب بيده على كتف همام قائلاً: الرجل بشهامته وبكلام لسانه فاستأنف همام الكلام قائلاً: أنا أحضرت معي مبلغ الخمسمائة جنيه فلم يتمالك خطاب شعوره عندما سمع هذا وصاح بلهجة عصبية قائلاً: وأنا

لا أزال عند اتفاقي ومد يده وأمسك مزلاج الخوان وفتحه وأخرج منه لفة من أوراق الخمسة جنيهات مكتوب عليها (١٠٠) وخمس لفات من أوراق الجنيه مكتوب على كل منها (١٠٠) أيضاً ووضع الكل أمام همام قائلاً: عد. ففحصها همام وقارن جنيهاً بورق قديم كان معه ولم يجد أي فرق فعدها ثم قال: ١٠٠٠ جنيه بالضبط وأخذ يرتبها كما كانت إلى أن وضعها في حقيبته الجلد وهو يظن أنها مزيفة ولكنها ليست كذلك ثم قدم لخطاب أوراقاً مالية قديمة أخذها خطاب وعدها وقال ٥٠٠ جنيه تماماً ومكثت أنامله تلعب بها حتى رتبها ووضعها في جيب حلته وقام منتصباً وخطا خطوتين إلى المشجب القائم بين الخوان وسريرين لا يختلفان عن أسرة الأغنياء وهناك خلع حلته ووضع حول عطفيه رداء قل أن يرى مثله إلا على أكتاف الملوك ورجع إلى جليسه وجلس بجواره يحتسيان زجاجة خمر أحضرها من الخوان حتى دقت الساعة ثماني دقات بعدها قال خطاب أريد أن أنام الليلة مبكراً لأني متعب فقال همام: تفضل. وهنا سمع وقع أقدام سيدة على السلم فقام بحجة غلق الباب بالمفتاح ولكنه فتح الباب ليتبين شخصية القادم فوجدها قارئة الكتاب التي استهوته من أول نظرة فابتدرها بابتسامة أظهرت محاسن وجهه وخفة روحه كما كشفت عن رغبته في الزواج منها كما تكهن لها أخوها وهما جالسين إلى المكتب بأسلوب جعلها تقول: يا ليت ... ولهذا بادلته الابتسامة وأصغت إليه إذ قال: أهلاً يا آنسة سعاد أتقبلين أن أقابل والدك للتكلم معه ... وهنا تهدجت نبرات صوته تهدجاً قد سرى في سمع الفتاة فسرى معه الحب حتى تغلغل في صميم قلبها

الخالي فتمكن وكانت تنتظر منه أكثر من ذلك في هذه الخلوة ولكنها أسرعت وبادلته العاطفة بكل عفة وحياء ... ثم قالت سيحضر في صبيحة الغد إن شاء الله ... وها هو ذا شقيقي في المكتب إن أردت أن تقابله ثم أكملت صعودها على السلم حالما سمعت صديقه يحمحم حمحمة ذات معنى جعلت همام يخجل ويستأذن منها بالدخول وقفل الباب وخلع حلته ووضعها على مشجب بجانب سريره ولبس جلباباً متأهباً للنوم.

مرت ساعات قد مثل فيها خطاب من غط في سباته أما همام فلم ينعس له جفن حتى سمع آذان الديك لثاني مرة ثم أخذته سنة من النوم لم تدم أكثر من ساعتين ثم استيقظ وإذا به يرى (خطاب) جالساً على سريره متوعك المزاج فسأله بعد التحية قائلاً: ما بك يا خطاب بك فقال: حلمت أننا عثرنا في الطريق على نقود فضية بجانب كتابين أحدهما مفتوح والآخر مقفل فرآنا ضابط عظيم حسن الهندام فنظر إلينا بغضب وخلع معطفه ووضعه على كتفي فانزعجت واستيقظت. فقال همام: أنا كثيراً ما كنت أحلم مثل هذا وكانت أمي تفسر لي العثور على النقود بالهموم والفضة بالفضا والكتاب المفتوح تفسيره بالخبر العلني والكتاب المقفل بالخبر السري وحسن الهندام بالأرزاق الواسعة والنظر بغضب دليل على المكيدة ولبس الملابس يشير إلى التستر وعلى كل حال هي أضغاث أحلام رأيتها بسبب السفر الذي تكبدته البارحة يا خطاب بك. فقال خطاب: وعلى كل حال إن هاجمنا البوليس في القطار فلا تقل أنك صاحب الحقيبة وأنا مستعد أن أرد لك نقودك أو أعطيك

ألفاً غيرها حتى لا نتلبس بتهمة التزييف. فقال همام: ومن أين أضمن أنك سترد لي غيرها. فقال خطاب بعد تفكير: خذ نقودك وضعها في الحقيبة أيضاً لكي نتحمل الخسارة معاً إذا طرأ أي طارئ فأخذ همام المبلغ وتصفحه ووضعه في الحقيبة. ثم نهض وارتدى حلته فحاكاه خطاب محاكاة ماكر قد سخر من أبله قد سكر ثم تناولا طعام الإفطار ونزلا وإذ بصاحب الفندق جالس إلى المكتب مع ابنه زهر فابتدرهما همام بالتحية قائلاً: صباح الخير والسعادة. فقال الرجل: أسعد الله صباحك يا ابني فقال همام: أنا أعرف شاباً تاجراً معه شهادة التجارة ويملك النصف في شركة لبيع التبغ رأس مالها يتناسب مع غنى صاحبيها فهل تعطيه ابنتك؟ فقال الرجل أهلاً وسهلاً: فاستأنف همام الكلام قائلاً: وهذا الشاب مستعد لتقديم الشبكة اليوم إذ سبق له أن رأي العروس – وهذه بطاقته فأخذها الرجل وقرأها قائلاً: همام إبراهيم الجيزاوي!؟ أليس هو قريب عيسى إبراهيم الجيزاوي بك مفتش الفنادق الجديد فقال همام: ابن أخيه. فقال الرجل: هو ابن عم والدة قرينتي ... ربنا يوفق. وهنا حضرت الفتاة فجأة وحيت ومدت يدها لتأخذ مفاتيح كانت على المكتب فأسرع همام ومد يده لها فشعرت بحرج بعده مدت يدها له فخلع بيده اليسرى خاتماً من الماس قيمته ١٠٠ جنيه من خنصر يده اليمنى وهي لا تزال تقبض على يد الفتاة ووضعه في بنصرها الأيمن أمام أبيها وأخيها فلاحظ ذلك خطاب وضحك ضحكة تنبه لها همام فترك يد الفتاة قائلاً لأبيها: إن شاء الله بعد أسبوع سأحضر أمي معي من مصر لتزوركم وهنا دقت الساعة ثماني دقات فصافح صاحبي الفندق بشدة

وهو يقول: ميعاد القطار حل .. هيا بنا يا خطاب بك. السلام عليكم يا عمي ... إلى اللقاء يا زاهر أفندي ... وولى وجهه متأهباً للخروج ولكنه ارتد وراح يسلم على الفتاة فحنت رأسها خجلاً ومدت له يدها فأمسكها بكلتى يديه ضاغطاً عليها حتى هتفت بعبارة قد سر لها أبوها وأخوها لأنها دلت على المجاملة والأدب وانفرجت منها أسارير همام لأنها دعاء محبوب وأثلجت قلب خطاب لأنه ظن أن البنت قصدت بها أن تصرف همام من أمامها إذ قالت له: (مع السلامة) فمشى خطاب وهمام يتكلمان عن الإسكندرية ومغانيها حتى وصل بهما الحديث إلى عبارة خطاب القائلة: إنها لا ترغب الزواج إلا من طبيب. فقال همام: وها أنذا قد شبكتها ورضيت ورضى أبوها وأخوها فقال خطاب مرائياً: ربنا يتمم بخير. وهنا وصلا إلى المحطة فتولى همام ابتياع التذكرتين وركب القطار حتى وصل إلى طنطا فهتف خطاب وهو مطل من الشباك قائلاً: عبد الباسط بك. فأجب الرجل قائلاً: أهلاً يا خطاب بك. الحمد لله على السلامة فقال خطاب. الله يحفظك .. إلى أين؟ فقال عبد الباسط: حضرنا لنقابل حرم ابن عمي ... وراح يلقى (العبارات المتفق على إلقائها في الزمن المحدد) قائلاً: وجماعتها منتظرون في الاستراحة انزل سلم عليهم .. يا أخي انزل حي أقرباءك .. الوقت طويل انزل فنزل خطاب مستأذناً من همام فودعه همام بابتسامة بريئة أعقبها بلفظة تفضل.

قام القطار فلم يهتم همام بتخلف خطاب الذي توجه فوراً إلى ناظر المحطة مع عبد الباسط وأخبره بأنه قد نسى في هذا القطار حقيبة بها جلباب نوم أخضر ومبلغ ١٥٠٠ جنيه ورق وذكر في المحضر أوصاف

الخمسمائة جنيه وسلم لكاتب المحضر قائمة مكتوباً فيها أرقام الألف جنيه وذكر المعلومات اللازمة فبلغ الناظر بوليس المحطة مخدوعاً بمنظر الرجلين وأسر بوليس محطة طنطا إلى بوليس شبين بمقابلة القطار حالما يصل فصدع للتنفيذ وهناك هاجم البوليس السري القطار وعثر على الحقيبة وأخذها من فوق الرف دون أن يقدر همام أن يتفوه بأي لفظ لأسباب ثلاثة: أولها خوفه من تلبسه بتهمة التزييف كما أوهمه خطاب وقد قوي عنده هذا الوهم هروب صديقه. وثانيها هو اعتماده على أخذ ألف غيرها من صديقه مدعي التزوير. وثالثها قد يكون من أثر تنشقه بالنشوق الذي قدم له قبل وصول القطار طنطا وببضع دقائق فتاه وعيه وغاب رشده.

وصلت الحقيبة إلى خطاب وتسلمها من البوليس شاكراً واختفى ذلك اللص الداهية أما همام فقد وصل القاهرة حيث رأى سيارة خطاب في ميدان المحطة واقفة عند تمثال نهضة مصر فجرى نحوها وسأل راكبها قائلاً: أهذه سيارة خطاب بك فأجابه الرجل ببساطة: قد اشتريتها منه منذ أيام أمام فلان وفلان وذهبنا جميعاً إلى المصرف حيث سحبت له الألف جنيه التي اتفقنا عليها وأخذها ومضى فقال همام: هل لديك ما يثبت ذلك فقال الرجل بعدما دس يده في جيبه الداخلي. هذه هي ورقة المبايعة وقد سجلتها.

فقال همام أتسمح تذكر صفات الألف جنيه فقال الرجل: لفة بها ١٠٠ ورقة كل منها بخمسة جنيهات وخمس لفات بكل منها ١٠٠ ورقة

من فئة الجنيه. فتنهد همام وأدرك أن الألف جنيه كانت غير مزيفة وإنما أوهمه خطاب بذلك ليحتال عليه ولهذا اقتاد صاحب السيارة إلى البوليس وعمل محضراً قال فيه إن المدعو خطاب طنطاوي قابلني مصادفة في الإسكندرية بعدما انتهيت من المساومة في شراء صفقة من التبغ فجاملني بعرض المبيت علي معه في غرفته التي استأجرها هناك فقبلت للصداقة التي كانت بيننا وعند الصباح بعدما رآني قد انتهيت من عد نقودي ووضعها مع جلبابي الأخضر في حقيبتي الجلد قال لي إنه باع سيارته بمبلغ ١٠٠٠ جنيه عرض علي وضع لفاتها الضخمة في الحقيبة أيضاً لغاية وصوله إلى القاهرة وهناك يتسلمها مني فرضيت بحكم الصداقة وقبيل وصولنا إلى طنطا أخرج علبة نشوق غطاؤها ذو مصراعين فتح أحدهما واستنشق ثم قفله وتظاهر بوضع العلبة في جيبه ولكنه أسرع بإخراجها قائلاً لي لا مؤاخذة يا همام أفندي وفتح المصراع الآخر وألح علي بالتنشق فتنشقت دون أن أسيء الظن وعند طنطا ناداه صديق له اسمه عبد الباسط بك ودعاه ليسلم على قريبات له في الاستراحة فنزل وتخلف عن القطار وبعدها لم أدر ماذا جرى ولكني تنبهت عند القاهرة وأنا أشعر بثقل في دماغي فأدركت أن النشوق مخدر قد احتال علي به في أخذ مبلغي مع مبلغه. فسأله الضابط عن ذكر أوصاف الخمسمائة جنيه والجلباب الأخضر والحقيبة فذكرها وكلف شاري السيارة بذكر أوصاف الألف جنيه فذكرها له كما ذكرها خطاب في المحضر الذي تسلم به الحقيبة وأمضيا بتوقيعهما ومضيا وقد ظهر الهم على همام وبلغ منه كل مبلغ فنشرت الحادث معظم الصحف وعلقت على براعة اللص

وذكائه المفرط فاشتهرت الشركة وراجت وتضاعف مكسبها فدب في جسم همام أمل الحياة وتماثل إلى الشفاء قبل أمه التي اشتد حزنها لفرط همه ثم أدركه الحظ بمبلغ ٢٠٠ جنيه كسبها من اليانصيب فزفت إليه تهاني كثيرة لم يطرب لها بقدر طربه بتهنئة قد وردت إليه من الإسكندرية ثم تمت بعد ذلك نقاهة أمه فطلبت منه طلباً لم تكف عنه إلا بعد أن علق في صدر الحانوت لافتة مكتوباً عليها باللون الأحمر (يقلل الطمع ما ينجمع) وواجهها بلافتة أخرى مكتوباً عليها بالخط الفارسي (عز من قنع وذل من طمع). ثم سافر إلى الإسكندرية هو وأمه وأخته الكبيرة وزاروا (سعاداً) زيارة لم تدم أكثر من يومين ثم رجعوا وبعد أسبوعين جاءت هماماً برقية فضها أمام أمه وأخته قائلاً: الجهاز تم ... كامل سعيد بالجيزة. فزغردت إحداهما وقالت الثانية ربنا يتمم لك بالخير يا بني، وتبادلوا المشورة بكلام نفذه همام بالذهاب إلى المطبعة لطبع مائة بطاقة دعا فيها الأهل والأصدقاء، ثم ذهب إلى الخياط وأحضر حلة الزفاف الرسمية وأنهى عمل كل ما يلزم.

وفي صباح يوم جمعة حضر بخيت وامرأته إلى منزل همام وبعد وقت قصير نزلا مع سيدات قد تزين لحضور العرس ورجال ثالثهم همام وتوجهوا جميعاً إلى المحطة وسافروا إلى الإسكندرية حيث تم في حفل عائلي ابتدأ من مساء يوم أحد بعقد زواج همام من فتاة اسمها سعاد عوض هي صاحبة التهنئة التي وردت إلى همام من الإسكندرية فطرب لها .. وهي أيضاً ابنة صاحب الفندق الذي ألبسها خاتمه الماسي منذ شهور مرت.

وفي الصباح تفقد العروسان الهدايا التي وصلت فوجدا من بينها علبة بها اثنا عشر فنجانا مطعما بالذهب الفضة ومبطناً بالصيني كصحوتها واثنتي عشرة كوباً من نفس الطاقم ولكنها مبطنة بالزجاج البلور وطاقماً آخر للشاي وبطاقة مكتوباً عليها (هدية من عيسى إبراهيم الجيزاوي بك المفتش العام لفنادق الإسكندرية) ففرحت بها سعاد وهي تقول في نفسها هذا الرجل ينفع الفندق ويوفر على أبي كثرة المخالفات التي يدفعها ولكن هماماً قد اهتم من حقارة هذه الهدية في نظره إذا كان يطمع في هدية أعظم منها تناسب غنى عمه الذي كان يود أن يراه موجوداً بنفسه في حفلة زفافه. ترك هدية عمه واستأنف تفقد باقي الهدايا فكان يسر من بعضها ويغتم من بعضها حتى عثر في حقيبة من الورق فتحها فوجد بها عروساً من الحلوى وبطاقة مطبوعاً عليها بالآلة الكاتبة: (هدية من خطاب بك) فقطب جبينه واحمر وجهه وجحظت عيناه وانتفخت أوداجه وترك عروسه تتفقد الهدايا وأخذ العروس الحلوى في حقيبتها وذهب إلى زاهر وسأله قائلاً: من تسلم هذه؟ فقال زاهر: أنا .. أخذتها من غلام قال لي إن (زبوناً) كلفني بإحضارها هنا بعد أن أخذ مني الرخصة وانتظرني مع أخي في ميدان المحطة حتى أرجع وأسلمه إيصالاً منكم بالاستلام. فتأوه همام قائلاً: إنها من خطاب اللص وكان بودي أن أعرف طريقه ولكن ... فقال زاهر ولكن ماذا؟ فقال همام: ولكنه يستعمل ذكاءه في كل أعماله، فقال زاهر: فداك .. لا تهتم ربنا يعوض عليك. ولكن (همام) من شدة غيظه من خيانة خطاب أخذ الحلوى في ملفها ومضى إلى الميناء لقربها من الفندق وهناك طوح بها في عرض

البحر وهو يقول: الله ينتقم منك يا شيطان. ورجع إلى الفندق دون أن يعرف أحد ماذا عمل.

بعد بضعة أيام عاد همام وبخيت مع أسرتيهما إلى القاهرة وحالفتهم السعادة حتى من الله على بخيت بابنة أسماها هدية وفي يوم الاحتفال بمرور أسبوع على المولودة ورد إلى همام خطاب من زاهر يقول فيه إن الله رزقه بتوأمين سمى الذكر (عادلا) والأنثى (عديلة) فرد عليه بخطاب تهنئة وجامل (بخيتاً) بحضوره في حفل (الأسبوع) ومرت الأيام بالبشائر والمكاسب حتى من الله على سعاد وهمام بابن أسمياه (عوضاً) قد جمع بين جمال الملائكة وطهارتهم وذكاء الشياطين ومهارتهم إلى أن ظهرت له في الصحف صورة مكتوباً تحتها: عوض همام الجيزاوي أول البكالوريا هذا العام ولم يبلغ من العمر ستة عشر عاماً فأحيى له أبوه ليلة سرور حضرها الأهل والأصدقاء واجتمع فيها عادل وعديلة وعوض وهدية. وأظهرت هدية عواطفها نحو عوض بشكل يفوق عن إظهار عواطفها نحو عادل لأنه تلميذ في مدرسة الفنون والصناعات. وبعد شهرين نشرت الصحف اسم عوض همام مرة أخرى ضمن أعضاء البعثة الموفدة للتعلم في جامعات أوربا على نفقة الحكومة.

وفي أول أكتوبر سافر عوض مع والديه إلى الإسكندرية وزاروا زاهر أفندي في الفندق ثم ذهبوا إلى الميناء حيث ودعوا الشاب عند ركوبه الباخرة مع زملائه ثم رجعت سعاد مع أخيها زاهر وزوجها همام إلى الفندق حيث شرعت تفكر فيما تعمل بالمبلغ الذي ادخرته لتربية ابنها

من يوم مولده وقد وفر الله نفقة تربيته في المدارس العالية وأخيراً هداها تفكيرها إلى وضع المبلغ في المصرف على أن تستولي على أرباحه كل شهر وتتبرع بها للمستشفى الخيري وعرضت الفكرة على زوجها فوافق واستمرت الحال على هذا المنوال مدة ثلاثة أعوام وثمانية أشهر في خلالها كان عوض يرسل إلى والديه خطابات. وأخيراً أرسل خطاباً قال فيه إنه كسب من سباق الخيل مبلغاً كبيراً لم يذكر قيمته.

وبعد مدة قرأ همام في صحف المساء أن مصرياً استأجر قارباً على ساحل الرفييرا واحتسى فيه الخمر حتى لعبت برأسه واختل توازن القارب فغرق به وقد ظهرت بعد الحادث مباشرة حقيبة مصنوعة من المعدن الخفيف طافية فوق سطح الماء انتشلها رجال الساحل وفتحوها فوجدوا بها حلياً وجواهر مسرورة في منديل ووجدوا بغطاء الحقيبة لافتة صغيرة مثبتة بلحام الأكسوجين محفوراً عليها اسم ع. إبراهيم الجيزاوي بمصر والحقيبة مودعة الآن بمحافظة الإسكندرية.

وقعت عينا همام على الكلمات الأخيرة وقوع الصاعقة على رأسه ظناً أن الحادث وقع لابنه عوض فذهب إلى المنزل في حالة يرثى لها وأخيراً سعاداً فأخذت منه الصحيفة وقرأت الخبر بعينها وهي مذهولة ولم تنبس ببنت شفة حتى ألهم زوجها بقوله وهو متأثر: قد تتشابه الأسماء يا سعاد وعلى كلٍ سأسافر إلى محافظة الإسكندرية لأعاين الحقيبة لعلي أجد فيها أوراقاً تبين شخصية الغريق. فقالت سعاد: سافر .. أسرع .. وخذ زاهراً معك ففي المحافظة له أصدقاء من الموظفين هناك.

فنزل همام في الساعة السابعة مساء وسافر إلى الإسكندرية وترك سعاداً تارة تصلي وتارة تبكي حتى امتلأ المنزل بالحاضرين. هذا يصبرها وذاك يطمئنها وهذه تعزيها وتواسيها وتلك تبكي معها إلى أن انصرف الحاضرون عند ساعة متأخرة من الليل ولم يبق إلا امرأة بخيت أفندي الشريك وابنته هدية فأحضرت سعاد ملابس لهما لتناما على السرير المقابل لسريرها في غرفة نومها وبعد ساعة تقريباً غلب عليهما النعاس أما سعاد فكانت تارة تدخل حجرة الضيوف وتقف أمام صورة ابنها المعلقة على الحائط وهي تقول: أهكذا تفعل يا عوض ... يا ليتك لم تسافر يا عوض ... عوض! رد علي يا ابني .. وهنا قام خادمها الصغير من نومه لقربه منها وحضر إليها قائلاً: نعم: أتنادين يا سيدتي؟ ... ثم انصرف من أمامها لأنه وجدها تبكي ولم تجيب فرجع لينام وتركها تكفكف دمعها ... ثم ابتدأت تصلي ليحافظ الله على زوجها حتى لا تخسره أيضاً ... وهكذا مرت الساعات على سعاد وعلى زوجها الذي أضناه الهم وجار البكاء على عينيه ووجنتيه حتى وصل إلى فندق أنسبائه في منتصف الليل فباتوا ليلتهم ساهرين معه في نكد وغم ووجد وهم وشجو وشجن وأسف وأسى وحزن إلى أن أصبح الصباح فذهب زاهر مع همام إلى دار المحافظة حيث أثبتا قرابتهما بعوض إبراهيم الجيزاوي بالسنة النهائية بكلية الطب بليون بفرنسا وتحرى أولو الأمر بدار المحافظة عن هذا الطالب من السفارة المصرية بفرنسا فردت السفارة بالمسرة أيضاً (بالتليفون) قائلة: بأن الكلية الآن في عطلتها السنوية من منذ ثلاثة عشر يوماً ولا تعرف شيئاً عن أخبار هذا الشاب غير نجاحه في بكالوريوس

الطب الذي ظهرت نتيجته من مدة أسبوع فقط ... وبعد عمل اللازم سلمت المحافظة الحقيبة إلى همام وأخذت عليه تعهداً يرد الأشياء إن ظهر أنه ليس بصاحبها وتسلمت منه إيصالاً بعد أن قدر الخبير قيمة ما بالحقيبة بمبلغ ٨٠٠ جنيه. ولما فحص همام الحقيبة وجدها لا تختلف عن حقيبة أخته (عائدة) التي سرقها منه خطاب مع مبلغ الخمسمائة جنيه فكتم في سره هذه الملاحظات وهو مطمئن بعض الاطمئنان قائلاً في نفسه من أين وصلت هذه الحقيبة ليدي ابني عوض. ومن أين حصل على جواهر ثمنها ٨٠٠ جنيه؟ أنا لا أظن أن المبلغ الذي كسبه من سباق الخيل كبير بهذا المقدار. لابد أن يكون الحادث قد وقع لخطاب اللص وهنا نبهه زاهر لما وجده غارقاً في تفكيره إلى هذا الحد ومضى معه بعد أن تولى ضمانته ولما وصل إلى الفندق ذكره همام بقصة هذه الحقيبة وقال: سأحافظ على ما بها وإن ظهر ورثة لخطاب يطالبوننا بها نرفع عليهم قضية وها هي ذي بلاغاتي عن السرقة لا تزال موجودة في الحكومة ... ثم رجع إلى القاهرة ينتابه عاملان: أحدهما يحزنه من جهة ابنه والآخر يطمئنه ويشعره بتفاؤل.

ولما وصل إلى زوجه قص عليها ما عمله في الإسكندرية على مسمع من امرأة شريكه وابنتها هدية ولم ينته من كلامه إلا ووصلت إليه برقية مثل باقي البرقيات التي تسلمتها سعاد البارحة ففتحها أمامها هاتفاً بعد دقيقة قائلاً: أبي ستصل الباخرة في عصر يوم الأحد ٢١ يونيو الحالي فانتظرني على ميناء الإسكندرية: ابنك الدكتور عوض الجيزاوي.

فتلقفت سعاد البرقية واطلعت عليها بنفسها وقبلتها قبلتين وسكتت برهة بعدها قالت: أنت يا همام الذي أرسلت هذه البرقية وأنت في الإسكندرية لكي لا تحزنني على ابني فأخذ يقسم لها ويحلف أنه لم يرسلها فقالت له: ربما يكون زاهر عمل ذلك ليخفف علينا وطأة الحزن! فقال لها ربما، أنا لا أعرف ... وفي نفس الوقت أحضر ساعي البريد خطاباً مستعجلاً من فندق أخيها: جاء فيه: عزيزي همام: وصلتنا برقية من الدكتور عوض ابنك يطلب فيها أن نقابله على الميناء في عصر باكر ٢١ يونيو الجاري فأحضروا لمقابلته معنا ولكم تحياتي القلبية ولسعاد تحياتي. المخلص زاهر عوض. سمعت هذا هدية فقالت: كيف يكذب أخوك بقوله: احضروا لمقابلته معنا؟ ومع هذا لم ينعس لسعاد جفن ولم يزر الوسن عين همام حتى أصبح الصباح وحضر بخيت وسافروا جميعاً إلى الإسكندرية حيث تناولوا وجبة خفيفة من طعام الغداء مع أنسبائهم في الفندق ثم حل موعد وصول الباخرة فخرج زاهر وابنه عادل وابنته عديلة. مع بخيت وابنته هدية وهمام وزوجه سعاد وانتظروا على الميناء حتى وصلت الباخرة ونزل ركابها أما الدكتور عوض فقد تعمد التأخر حتى لا يفاجئ أهله بفرح شديد يصدمهم. وأخيراً نزل بعدما خف الزحام فلمحته أمه وتلقفته بين أحضانها ثم قبله أبوه في وجنتيه وهكذا فعل خاله زاهر ثم تقدمت عديلة فحياها تحية شاب يميل إليها ثم سلم عليه بخيت وأخيراً صافحته هدية وعادل ثم رجعوا إلى الفندق حيث اتفق بخيت مع همام على أن يباشر كل منهما أعمال الشركة في القاهرة مدة أسبوع فيه يمكث زميله في الإسكندرية يصيف مع الجماعة ثم استأذن

تاركاً زوجه وابنته هدية وعاد إلى القاهرة وبقى الدكتور عوض مع والديه وأسرة شريك والده وأسرة خاله مدة ثلاثة شهور فيها قضوا معظم أوقاتهم على ساحل البحر في جلسات كان يختلي فيها عوض بعديلة تطارحه الألغاز ويطارحها الأحاجي إذ قال لها في مرة: حلي ... وسكت يلاحظها إذ احمرت وجنتيها خجلاً ظناً منها أنه يريد منها أمراً غير مناسب في هذه الخلوة فتنازعها عاملان: أحدهما يدفعها إلى أن تسمع لرغبة خطيبها وتفرط له في عرضها والعمل الثاني يوحي إليها بالرفض. ولما طال سكوته متفرساً في جمال وجهها وتورد خديها وقعت بين نارين قائلة في نفسها إن فرطت أغضبت الله وربما أصبحت عاراً على أهلي إن تركني وإن لم أعطه مشتهاه أغضبته وقد لا أجد غيره فأعيش عانساً بلا زوج وأخيراً إذ لاحظ عليها هذا الإحراج المشوب بالخفر أسعفها بقوله: حلى: كلما ينزل المطر (يعلو) الكوم ففطنت في الحال إلى الأحجية فقالت: الدقيق عندما ينزل من المنخل فابتسم واكتفى وقام كل منهما إلى غرفته الخامسة متأهباً للنوم. وفي ذات مرة اجتمعت هدية وأخوها الصغير كامل الذي لا يجاوز الثامنة من عمره مع بخيت في جلسة جمعت بين عادل وعديلة وأمهما وسعاد وابنها عوض فقال كامل قصي لي قصة يا هدية فقالت: يحكى أن رجلاً غنياً أقام حفل سرور دعا فيه أصدقاءه وبعد التي واللتيا عرض عليهم وساماً ثمنه ألف جنيه وقال هذه مكافأة لمن يكذب لنا أقوى كذبة محبوكة تدل على قوة تفكيره فتقدم إليه أحدهم قائلاً: أنا رأيت بيتاً له أجنحة يطير بساكنيه إلى حيث شاءوا وينزل بهم دون أن يتهدم فقال له الداعي هذا ليس بكذب لأن الفرنجة اخترعوا طائرات

كالمنازل تطير بالناس وتنزل آمنة سالمة. فتقدم آخر قائلاً: أما أنا فرأيت صندوقاً له مفتاح من يلمسه يسمع صوت أهل آخر الدنيا فضحك للضيف قائلاً هذا ليس بكذب لأن سكان أوربا اخترعوا جهازاً سموه راديو يمكنه أن يفعل ما ذكرت فتقدم ثالث قائلاً وما رأيك في نسر باض بيضة وهو طائر فوقعت على مدينة فطيرتها فقال الغني وهذا أيضاً ليس بكذب فهناك ما يسمى بالبيضة الذرية إن ألقتها طائرة على مدينة نسفتها فتقدم جحا وقال: اسمع يا حضرة الرئيس. أتعرف هاتين الزهريتين الموضوعتين في غرفة الاستقبال هذه؟ فقال الرجل مالها؟ فقال جحا هما زهريتا أبي قد ملأهما ذهباً وأقرضه للمرحوم والدك ففطن الداعي إلى ذكاء جحا قائلاً إن قلنا هذا ليس بكذب وجب علينا أن نرد الدين وهو أكثر من ثمن الوسام وعلى ذلك اعترف بوجاهة الأكذوبة قائلاً: إن الوسام هو لك يا ضيفي ولما تسلمه جحا استأذن مع بعض الأصدقاء وذهبوا إلى الدجلة حيث استأجروا معبراً يوصلهم إلى الشاطئ الثاني. وفي منتصف النهر هاج الماء وماج فمالت السفينة وانزعج الركاب فسقط الوسام من يد حجا في اليم ثم هدأ النهر ووصلوا إلى الشاطئ حامدين الله على سلامتهم قائلين حقاً إن الكذب لا ينفع وخيره لا يدوم.

وهنا غار عادل وأراد أن يتكلم فقال: ومن يحل مسألتي هذه .. مركب بها بطيخ أفرغته على سبع مرات وفي كل مرة كانت تفرغ نصف ما بها وأخيراً تبقى فيها بطيخة واحدة فكم بطيخة كانت في المركب أولاً؟ فأجاب معظم الحاضرين كل بجواب وبعدئذ أجابت هدية قائلة (١٢٨) فاعتمد عادل إجابتها قائلاً: صحيح لأن المركب في سابع مرة كان بها ٢

أفرغت نصفهما فبقي واحدة وفي سادس مرة كان بها ٤ وفي المرة الخامسة كان ٨ وفي الرابعة ١٦ وفي الثالثة ٣٢ بطيخة وفي الثانية ٦٤ وفي المرة الأولى كان في المركب ١٢٨ فسر بخيت وقال: أنا عندي مسألة أخرى: فوق شجرة مجموعة من العصافير وعلى الأرض مجموعة أقل منها – إن طارت عصفورة من تحت ووقفت على الشجرة أصبح عدد المجموعة ضعف عدد العصافير الباقية على الأرض. أما إن نزلت عصفورة من فوق الشجرة تساوت المجموعتان فكم عصفورة كانت في كل مجموعة؟ فخمن كل من الحاضرين ولم يصب إلا عادل إذ قال: خمسة عصافير تحت وسبعة عصافير فوق فقال بخيت: نبيه يا عادل أفندي فقال عادل: هل أستحق أن آخذ منك هدية فضحك بخيت قائلاً: الأولى بها الدكتور عوض لأنه تربى من المكاسب التي تعبت فيها مع أبيه فاحتجت أم عادل قائلة: وهل هدية أعظم من عادل – مدرس معه دبلوم الفنون ومرتبه ١٥ جنيهاً. فقال بخيت كل شيء نصيب يا أم عادل وهنا أرادت هدية أن تغير مجرى الحديث لتخفف من حدة أم عادل فقالت لأخيها الصغير: قل لي يا كامل: أنت والحمار واحد أم اثنان، فأجاب الولد على الفور ببساطة: اثنان. فضحك معظم الحاضرين ما عدا عديلة فقد ظنت أنها تعرض بالدكتور حبيبها فقالت: أصغر من حق العنبر ويأخذ الدنيا في بق لما يظهر فردت هدية قائلة: هكذا طبع الشمس لما تنور فربتت أم عادل على كفها مسرورة بإجابتها وتهيئوا إلى الانصراف كل شخص إلى مخدعه وهكذا مرت الليالي والأيام حتى تم بعد ذلك في أقل من شهر زواج الدكتور عوض من عديلة واقتران الأستاذ

عادل بهدية.

وبعد مدة أخضرت المحافظة هماماً وزاهراً بالحضور وطلبت منهما رد الحقيبة بناء على بلاغ مقدم من مجهول قال فيه: إن هماماً ليس له أي حق في استيلائه على الحقيبة التي تسلهما زعماً منه أنها حقيبة ابنه الذي غرق والواقع أن ابنه لا يزال على قيد الحياة يعمل الآن في المستشفى الأميري باسم الدكتور عوض همام الجيزاوي. فرد همام الحقيبة كما تسلهما بالضبط وعقدت المحكمة جلسة أثبت فيها همام أن الحقيبة هي حقيبة أخته (عائدة) وقد سرقها منه خطاب طنطاوي لما علم باحتوائها على مبلغ ٥٠٠ جنيه وناشد المحكمة بالرجوع إلى بلاغاته عن السرقة فحددت المحكمة جلسة أخرى دعت فيها ورثة خطاب طنطاوي بعد إعلانهم في الصحف. وفي الميعاد المحدد حضر همام وعبد الباسط طنطاوي وشهودهما ولما دعي عبد الباسط وحلفه القاضي وسأله قال: اسمي مبسوط طنطاوي. وعمري ٦٢ سنة. مهنتي تاجر أقطان مثل شقيقي الأكبر المرحوم خطاب. وهنا أبرز للقاضي خطابات كان خطاب يرسلها إليه وهو في مرسيليا من مدة سنة بعدها لم يعرف من أخباره شيئاً غير ما قرأه في إعلان الحكومة القائل: ورثة المرحوم خطاب طنطاوي الذي غرق في الرفييرا يفرنسا تدعوهم الحكومة للحضور يوم ١٥ يوليو أمام محكمة الإسكندرية ولهذا حضرت اليوم هنا لأني الوارث الوحيد كما تلاحظون من خطابات شقيقي أنه أعزب وليس له غيري. فقال القاضي: ألم تعرف شيئاً عن هذه الحقيبة وعرضها عليه فارغة فتفرس فيها عبد الباسط قائلاً هذه حقيبة صديقه همام أفندي وقد

قال لي شقيقي إنه قد أخذها من صاحبها بحكم الصداقة ليضع فيها لفات النقود التي باع بها سيارته أمام همام الذي لما رأى أوصاف النقود ادعى في بلاغاته بأنها نقوده قد سرقها منه خطاب فنادى القاضي هماماً وسأله قائلاً: ما هي حكايتك بالضبط فذكر له همام كل ما قاله في بلاغاته متحرياً الصدق مفصلاً مسألة تداخل عبد الباسط الذي مكن (خطاباً) من إتمام الحيلة فرفع القاضي الجلسة للمداولة وبعد ثلاث ساعات فيها راجعت المحكمة بلاغات همام ولاحظت فيها على خطاب مسألة اختفائه بعد تخدير صديقه بالنشوق ولاحظت أيضاً إجادة خطاب لذكر الألف جنيه مع عدم إجادة الخمسمائة والجلباب اللذين أجاد وصفهما همام معترفاً بأن الألف جنيه هي ملك خطاب ولم تنس المحكمة مسألة حضور شاري السيارة مع همام وذكر أوصاف الألف جنيه كما وصفها خطاب ولهذا تبين للمحكمة صدق همام واستغنت عن الشهود مكتفية باعتراف عبد الباسط بأن أخاه كان تاجر أقطان ولم يكن تاجر حلي أو خطاباً غنياً لدرجة القدرة على تجهيز شبكة لخطيبته قيمتها ٨٠٠ جنيه ولهذا حكمت المحكمة لعبد الباسط بمبلغ ٣٠ جنيهاً مصاريف لانتقاله إلى المحكمة هو وشهوده وردت الحقيبة لهمام مع مبلغ الخمسمائة جنيه وأضافت إليه مبلغ ٨٢٠ جنيهاً على اعتبار أنها أرباح المبلغ المسروق مدة الثلاث والعشرين سنة الماضية ففرح همام برد الحقيبة قائلاً لزاهر المال الحلال لا يخسره أصحابه فرد زاهر قائلاً: لو كنت كذبت لضاع منك وبعد زمن يسير أقام حفلة أحيا بها ليلة (أسبوع) حفيده رزق بن الدكتور عوض والعاقبة عندكم وعندنا في المسرات.

قصة الصلبان الثلاثة

قد توثقت الصداقة بين رئيس الأساقفة وأمير المؤمنين بوساطة وزير يهودي كان على جانب عظيم من الدهاء وسعة الحيلة التي أوحت إليه ذات مرة أن يحمل الخليفة على الذهاب إلى البطريرك ليهنئه بحلول عيد الصليب: فذهب معه إلى الدار البطريركية حيث قوبلا بالترحاب والإجلال واستمرا عند الآب البطريرك زهاء ساعة كان فيها يتفرس الخليفة فيما حوله من مظاهر الغبطة والأبهة والجلال التي تحيط بمضيفه العظيم حتى تعجب بما رآه عندما دخل إليهم كبير حجاب القصر البطريركي يمشي الهوينا بكل وقار وتؤده حتى وصل إلى مولاه وانحنى أمامه مقدماً إليه بطاقة (كارت) أخذها منه وأحدق بها قائلاً: دعهم يدخلون فتراجع الخادم موليا وجهه نحو مخدومه وضيفيه العظيمين حتى بلغ الرتاج (الباب الكبير) بعد بضع خطوات وأمسك المزلاج وفتح أحد المصراعين متمتماً بكلمات خافتة بعدها دخل إلى الأبوان أناس تبدو عليهم إمارات الجاه ومخايل الوجاهة وساروا بخطى متثاقلة إلى أن مثل أولهم بين يدي البطريرك وجثا أمامه فمد له صاحب الغبطة يده الكريمة ممسكاً بصليب من الذهب الخالص فقبلها ولثم الصليب ونهض متراجعاً إلى أن احتل أقرب كرسي صادفه وهكذا فعل الباقون بأدب جم جعل أمير المؤمنين يلتفت إلى وزيره متعجباً الأمر الذي دفع الوزير إلى توجيه سؤاله إلى البطريرك قائلاً: لماذا جعلتم اليوم عيد الصليب؟ فقال البطريرك: أظنك تعلم شيئاً عن الملك قسطنطين أحد ملوك الدولة الرومانية الشرقية؟ فقال الوزير: منكم نستفيد. فقال البطريرك: فهمنا من

كتاب السنكسار ومن كتاب الخريدة النفيسة أن هذا الملك بينما كان يقود جيشه لمحاربة وثنيين قد نكلوا بالمؤمنين شاهد في وضح النهار صليباً من نور قد ظهر في السماء مكتوباً عليه (بهذا تغلب) فاندهش مع قواده من هذه الرؤيا وتحيروا في أمرها ثم جاء الليل ونام الملك فظهر له السيد المسيح ومعه صليب وأمره أن يصنع مثاله ويجعله شعاراً له فصدع للنصيحة لما صحا من نومه إذ أحشر بعض المختصين وأفهمهم ماذا يعملون فصنعوا راية رسموا عليها صورته ووضعوا في أعلاها حربة مصفحة بالذهب في وسطها عارضة كونت معها صليباً كللوه بإكليل مزين بالحرفين الأولين من اسم يسوع المسيح وجعل هذا الصليب في طليعة الجيش وتوجه به إلى رومية حيث ألقى الرعب في قلوب جيشها ففر إلى نهر التيبر حيث تزاحم الجنود الفارون فوق جسر هناك فسقط بهم وغرقوا وانتصر قسطنطين فقوى إيمانه بالمسيح فأرسل والدته الملكة هيلانة إلى أورشليم في أوائل القرن الرابع الميلادي لتفتقد حالة الكنائس هناك فذهبت وبحثت عن قبر الفادي بمعرفة رجل من الأشراف اسمه يهوذا فوجدته تحت معبد الزهرة الذي بناه أدريانوس فوق كوم الجلجلة حيث كان اليهود قد تعودوا إلقاء التراب والقمامات خلال ٢٠٠ سنة فيها تكون هذا التل. صرفت الملكة على إزالته حتى ظهر في مثل هذا اليوم قبر المسيح وبجانبه مغارة فيها ثلاثة صلبان كبيرة مع لوحة وأدوات الصلب فتبينت أنه صليب المسيح بأن أحضروا لها خصاً في مرض الموت ولكن علة المرض لم تزل إلا بملامسة صليب من هذه الصلبان الثلاثة قد ظهرت فيه آثار وضع اللوح التي كتب بيلاطس عليها (يسوع

الناصري ملك اليهود) فعرفت أنه صليب المخلص فتبركت به ووضعته في خزانة مصنوعة من الفضة إلى أن احتفلت احتفالاً عظيماً بنقله إلى كنيسة قد شيدتها على اسمه وكرستها في ١٧ توت ولهذا تحتفل فيه الكنيسة القبطية بعيد الصليب بدلاً من يوم العثور عليه في ١٠ برمهات لأنه أحد أيام الصيام الكبير. فمجد الحاضرون الله وهم الخليفة ووزيره بالانصراف مودعين بمثل ما قوبلا به من مظاهر التجلة والاحترام.

رجع الأمير إلى مقر الخلافة وقد حانت منه التفاتة إلى الوزير فوجده غارقاً في تفكير عميق فنبهه قائلاً: فيم تفكر؟ فقال الوزير متظاهراً بالاستياء: أفكر يا مولاي في الله الذي يسبغ نعمته على أناس يعبدون غيره فقال الخليفة: من هم هؤلاء؟ فقال الوزير: هم الذين يعبدون الصليب ويسجدون لتقبيله.

فقال الخليفة: آه ... أنت تقصد صديقنا البطريرك وأهل ملته ... أنا أعرف أنهم لا يعبدون الصليب كما تقول يا يهودي ولكنهم يعبدون سيدنا المسيح عليه السلام لاعتقادهم بأن روحه هي روح الله. فقال الوزير: وهذا شرك بالله يجب عقابهم عليه. فقال الخليفة: من كرم الأخلاق أن لا نسيء إلى أصدقائنا ومحبينا فلنتركهم لله ولهم دينهم ولنا دين. فقال الوزير: حقاً إنكم لعلى خلق عظيم ... ولكن هل يسمح مولاي أن يعمل بمشورة عندي بها يعرف أيهما يحبون أكثر. أخليفة رسول الله أم الصليب المصنوع من ذهب الأرض. فقال الخليفة: قل. فقال الوزير: نكلف صانع الأبسطة بأن يكثر من رسم الصلبان في بساط يفرش في

غرفة مولاي الخليفة وعندما يحضر البطريرك ليرد الزيارة نرى هل يمتنع عن الدخول كي لا تطأ رجلاه البساط أم يدخل مفضلاً ملاقاتك على الصلبان. فقال الخليفة: إنها فكرة جهنمية ... نفذها فنفذها الوزير يوم عيد ميلاد الخليفة. وعند الضحى حضر البطريرك مع تلميذه الذي تردد وتريث وكان يحجم عن الدخول لولا أن رأى سيده قد دخل فدخل معه إلى الخليفة والحاضرين معه ومشى خلفه في الحجرة مع أنها مفروشة بالبساط الصلب دون أن يتوقف عن المسير فاستغرب الخليفة قائلاً له: كيف هان عليك أن تطأ الصلبان بنعليك .. أليست هي شعار دينك؟! فقال البطريرك للصلبان ثلاثة أنواع يا صاحب الفضيلة: صليب يوطأ ويداس، وصليب يقبل ويباس، وصليب يزدان به تاج الراس. وأعظمها صليب ابن الله سيدنا يسوع المسيح له المجد وثانيهما صليب اللص اليمين الذي آمن بلاهوت المسيح في وقت تفرق عنه أتباعه وأنكره بعض تلاميذه أما هو فاعترف بربوبيته قائلاً: أذكرني يا رب إذا جئت في ملكوتك. فأنعم الرب عليه إذ قال: اليوم تكون معي في الفردوس وهكذا نال الملكوت واستحق التطويب الأبدي، أما الصليب الثالث فهو صليب اللص الشمال الذي جدف وكفر بالمخلص متهكماً عليه مع المتهكمين فجوزي بجهنم واستحق صليبه أن يداس بالأقدام.

فسر الخليفة من حسن إجابته وبديهته الحاضرة وقال في نفسه لولا ذكاء هذا القديس لتورطنا معاً ولحدث مالا يحمد عقباه من التفرقة والخصام ولهذا عول علي أن لا يتعرض لأي طائفة في اعتقاها ما دامت غايتها عبادة الله. أما الوزير فقد انتهز فرصة فيها انسل إلى الخارج مخزياً

بسبب مشورته الرديئة وعلم أن الروح القدس ينطق حقاً على ألسنة محبيه ومن المؤامرة ينقذهم كما قال الوحي على السن النبي داود في المزامير كثيرة هي تجارب الصديقين ومن جميعها ينجيهم الرب.

في يوليو سنة ١٩٤٧

اصطلاحات فنية

rectangle	مستطيل	intense	شديد
oval	شكل البيضة	solidity	صلابة
survey	علم المساحة	predominating	متغلب
aqute angle	زاوية حادة	finder	كرتون مفرغ من الداخل على هيئة مشباك صغير يرى من خلاله المنظر المراد رسمه
intersect	يتقاطع	accented lines	خطوط ثقيلة
area	مساحة الأشكال	soft-erazor	أستيكة ناعمة
Landscape pictures	مناظر طبيعية	wash	تلوين مساحة بنغمة واحدة
foliage	تكدس النبات في الرسم	opaque	لون غير شفاف
colour sckeme	مشروع اللون	stool	كرسي
fade = pale	مغبش = مترب	vanishing point	نقطة التلاشي
local colour	لون محلي = لون أصلي	figure drawing	رسم الأشخاص
monochrome	لون واحد	tangent	مماس
blending	مزج اللون	diameter	قطر الدائرة
tertiary colours	ألوان ثلاثية	curve	منحن
natural still	نماذج الطبيعة	cemi-circle	ننصف دائرة

life	الصامتة		
converging	متلاقية	bisect	ينصف
center of vision	مركز النظر	minor axis	المحوري القصير في البيضاوي
Utility	استفادة – استغلال	major axis	المحور الكبير في البيضاوي
set squcare	مثلث قائم الزاوية	cone	مخروط
radius	نصف القطر	perpendicular	عمودي
redii	أنصاف أقطار	diagonal	قطر الأشكال غير الدائرة
right angle	زاوية قائمة	projection	الإسقاط العمودي
hexgon	شكل سداسي	Unity	الربط
ellipse	بيضاوي منتظم	proportion	النسبة
facii	بؤرات	ornament	حلية
focus	بؤرة	even	متساوي السمك
substraction	الطرح	t … square	مسطرة حرف T
polygon	مضلع	compass	فرجار
approximate	التقريب	circumference	محيط الدائرة
scale	مقياس الرسم	parallel	متوازي
order	نظام		

الفهرس